



مصر والسوفيت

من النكسة إلى العبور

دراسة في العلاقات المصرية السوفيتية للفترة

مصر والسوفيت
من النكسة إلى العبور
دراسة في العلاقات المصرية السوفيتية للفترة
(١٩٦٧-١٩٧٣)

الدكتور
يوسف محمد عيدان الجبوري
يوسف محمد عيدان
كلية التربية/ قسم التاريخ

الطبعة الأولى
٢٠١٣م - ١٤٣٤هـ

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ، عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ
بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

الأهداء

إلى ..

روح والدي

رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته

إلى ..

الحنان الدافق

والدتي

إلى ..

العيون البريئة التي تنظر إلي بحب وأمل

اخوتي

أهدي هذا الجهد المتواضع

الشكر والعرفان

أُتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي القدير الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على الأطروحة الأستاذ الدكتور غانم محمد الحفو، الذي كان لدقته المعهودة وعلميته المشهودة دور فعال في ان تخرج الأطروحة بهذا المستوى. ومن الواجب أيضاً ان أُتقدم بالشكر والعرفان إلى أستاذتي الأفاضل الذين تتلمذت على أيديهم وتعلمت منهم أسس البحث العلمي ولاسيما الأستاذ الدكتور إبراهيم خليل احمد العلاف والأستاذ الدكتور خليل علي مراد والدكتور نمير طه ياسين، والدكتور اكرم عبد علي، وأُتقدم بالشكر والامتنان إلى أستاذة قسم التاريخ في كلية التربية جامعة الموصل جميعاً الذين درست على أيديهم في مراحل الدراسة السابقة.

ومن دواعي العرفان بالجميل ان أتوجه بشكري وعرفاني إلى زملائي في السنة التحضيرية لما لمستهم من تعاونٍ ووفاء خلال فترة الدراسة كما أُتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني وأمدني بالمصادر الخاصة بتلك الدراسة.

وان من واجبي تقديم الشكر للمؤسسات العلمية التي زودتني بالمصادر والدراسات ولاسيما المكتبة المركزية في جامعة الموصل والمكتبة المركزية العامة في الموصل ومكتبة كلية التربية في جامعة كركوك والمكتبة المركزية في جامعة بغداد والمكتبة المركزية في جامعة المستنصرية والمكتبة المركزية في جامعة القاهرة ومكتبة كلية الآداب في جامعة عين شمس والمكتبة المركزية في جامعة حلوان ومكتبة الإسكندرية العامة ومكتبة المركز الثقافي الروسي (القاهرة) ومكتبة معهد التخطيط القومي (القاهرة) ومؤسسة الأهرام الصحافية (القاهرة) ومكتبة الأسد (دمشق) ومؤسسة دار البعث (دمشق).

الفهرس

١٥	المقدمة
١٩	التمهيد: بواكير العلاقات المصرية - السوفيتية حتى عام ١٩٦٧
	الفصل الأول
	العلاقات المصرية - السوفيتية حزيران ١٩٦٧ - شباط ١٩٧١
٤٣	المبحث الأول: حرب حزيران ١٩٦٧ وأثرها في العلاقات المصرية - السوفيتية
٤٣	مقدمات حرب حزيران ١٩٦٧
٥٣	اندلاع حرب ٥ حزيران ١٩٦٧
٥٣	الموقف السوفيتي من حرب حزيران ١٩٦٧ وردود الفعل المصرية
٦٨	الصراع على السلطة في ج. ع. م والموقف السوفيتي منه
٦٩	مؤتمر القمة في الخرطوم والموقف السوفيتي منه
٧٢	المبحث الثاني: العلاقات المصرية - السوفيتية آذار ١٩٦٨ - آب ١٩٧٠
٧٢	توجه القيادة المصرية نحو طلب الدعم السوفيتي
٧٥	زيارة الرئيس المصري جمال عبد الناصر للاتحاد السوفيتي تموز ١٩٦٨
٧٨	زيارة غروميكو للقاهرة كانون الأول ١٩٦٨
٨٠	حرب الاستنزاف والدعم العسكري السوفيتي لـ ج. ع. م
٨٣	الدعم السوفيتي لـ ج. ع. م في حرب الاستنزاف
٨٨	زيارة غروميكو للقاهرة حزيران ١٩٦٩
٨٩	زيارة الوفد الحكومي المصري برئاسة أنور السادات للاتحاد السوفيتي كانون الأول ١٩٦٩
٩١	زيارة الرئيس المصري جمال عبد الناصر للاتحاد السوفيتي كانون الثاني ١٩٧٠
٩٨	زيارة الرئيس المصري جمال عبد الناصر للاتحاد السوفيتي تموز ١٩٧٠
١٠١	المبحث الثالث: العلاقات المصرية السوفيتية أيلول ١٩٧٠ - شباط ١٩٧١
١٠١	وفاة عبد الناصر وأثرها في العلاقات المصرية - السوفيتية
١٠٨	العلاقات المصرية - السوفيتية غداة تولي أنور السادات السلطة
١١٢	مبادرة السادات وأثرها في العلاقات المصرية - السوفيتية

الفصل الثاني

العلاقات المصرية - السوفيتية آذار ١٩٧١ - تشرين الأول ١٩٧٢

١١٧	المبحث الأول: العلاقات المصرية - السوفيتية آذار ١٩٧١ - تموز ١٩٧١
١١٧	زيارة السادات السرية للاتحاد السوفيتي
١٢٢	إعلان اتحاد الجمهوريات العربية ١٧ نيسان ١٩٧١ والموقف السوفيتي منه
١٢٥	الصراع السياسي على السلطة في مصر وأثره في العلاقات المصرية - السوفيتية
١٣١	معاهدة الصداقة والتعاون المصرية - السوفيتية ٢٧ أيار ١٩٧١
١٣٨	المبحث الثاني: العلاقات المصرية - السوفيتية تموز ١٩٧١ - حزيران ١٩٧٢
١٣٨	أحداث السودان ١٩-٢٢ تموز ١٩٧١ وأثرها في العلاقات المصرية - السوفيتية
١٤٣	زيارة الرئيس المصري أنور السادات للاتحاد السوفيتي
١٤٨	زيارة السادات للاتحاد السوفيتي شباط ١٩٧٢
١٥١	زيارة السادات للاتحاد السوفيتي نيسان ١٩٧٢
١٥٨	المبحث الثالث: قرار الحكومة المصرية إنهاء مهمة الخبراء السوفيت في مصر
١٥٨	(٨ تموز ١٩٧٢) وأثره في العلاقات المصرية - السوفيتية
١٦٠	دوافع القرار ونتائجه على العلاقات المصرية - السوفيتية
١٦٨	رد الفعل السوفيتي تجاه القرار المصري وأثره في العلاقات المصرية - السوفيتية

الفصل الثالث

العلاقات المصرية - السوفيتية تشرين الأول ١٩٧٢ - كانون الأول ١٩٧٣

١٧٩	المبحث الأول: العلاقات المصرية - السوفيتية تشرين الأول ١٩٧٢ - أيلول ١٩٧٣
١٩٤	المبحث الثاني: حرب تشرين الأول ١٩٧٣ ونتائجها على العلاقات المصرية - السوفيتية
١٩٤	الدعم السوفيتي لمصر أثناء حرب تشرين ١٩٧٣
١٩٧	المبحث الثالث: العلاقات المصرية - السوفيتية ٢٣ تشرين الأول - ٢٣ كانون الأول ١٩٧٣
٢١٠	الدور السوفيتي في الجهود الدولية لتنفيذ قرارات وقف إطلاق النار
٢١٧	مؤتمر جنيف (٢١-٢٢ كانون الأول ١٩٧٣) ونتائجه على العلاقات المصرية - السوفيتية

الفصل الرابع

العلاقات الاقتصادية والثقافية بين مصر والاتحاد السوفيتي

٢٢٥	المبحث الأول: التبادل التجاري والتعاون الاقتصادي بين مصر والاتحاد السوفيتي
٢٢٥	أولاً- التبادل التجاري بين مصر والاتحاد السوفيتي
٢٢٩	ثانياً- التعاون الاقتصادي بين مصر والاتحاد السوفيتي
٢٣٣	المساهمة السوفيتية في إنشاء مشروع السد العالي
٢٣٨	المعونة الاقتصادية - السوفيتية لمصر في المجالات الأخرى

٢٤٥	المبحث الثاني: التعاون المصري السوفيتي في المجال الثقافي
٢٤٦	التعاون المصري السوفيتي في المجال العلمي والتكنولوجي
٢٥١	التعاون المصري السوفيتي في المجالات الأخرى
٢٥٦	الملاحق
٢٥٨	الخاتمة
٢٥٩	قائمة المصادر

المقدمة

شهدت الفترة الواقعة بين حربي حزيران ١٩٦٧ - تشرين الأول ١٩٧٣ تطورات مهمة على صعيد العلاقات المصرية السوفيتية، ومنذ الهزيمة العسكرية في حزيران ١٩٦٧ أعتمدت مصر في تعويض خسائرها العسكرية، ومحاولتها محو آثار العدوان (الإسرائيلي) على الاتحاد السوفيتي، الذي ساهم بدور واضح في إعادة تسليح الجيش المصري ودعم القضية العربية سياسياً، واستمر ذلك التعاون حتى بعد وفاة الرئيس المصري جمال عبدالناصر في ٢٨ ايلول ١٩٧٠، والذي كان يحظى باحترام وتأييد القيادة السوفيتية. إلا ان السنوات التي اعقبت تولي انور السادات السلطة في مصر شهدت نوعاً من الفتور في علاقة البلدين، وعلى الرغم من توقيع الجانبين معاهدة الصداقة والتعاون في ٢٧ أيار ١٩٧١، إلا ان القيادة السوفيتية امتنعت عن تزويد مصر بأسلحة هجومية حفاظاً على سياسة الوفاق الدولي مع الولايات المتحدة، وذلك ما أدى إلى قيام السادات باتخاذ قرار ابعاد الخبراء السوفيت في تموز ١٩٧٢، الذي نتج عنه برود في العلاقات المصرية - السوفيتية، إلا ان المصالح المشتركة بين الجانبين وحاجة كل جانب إلى الآخر ساهم في تطويق أزمة الخبراء السوفيت، ومن ثم عادت العلاقات منذ تشرين الأول ١٩٧٢ إلى شكلها الطبيعي، وساهم الاتحاد السوفيتي من جديد في عملية تسليح الجيش المصري، وخلال حرب تشرين ١٩٧٣ كان للسوفيت دور واضح في دعم القوات العربية عسكرياً، ومناصرة المواقف العربية سياسياً، كما شهدت فترة الدراسة تطورات مهمة في العلاقات على الصعيد الاقتصادي والثقافي، ومن هنا جاء اختيارنا لموضوع (العلاقات المصرية - السوفيتية ١٩٦٧-١٩٧٣ دراسة تاريخية).

تضمنت الدراسة تمهيداً وأربعة فصول وخاتمة، استعرض التمهيد بواكير العلاقة

المصرية - السوفيتية حتى عام ١٩٦٧. اما الفصل الأول فكان بعنوان (العلاقات المصرية السوفيتية حزيران ١٩٦٧ - شباط ١٩٧١)، وتم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث تناول المبحث الأول حرب حزيران ١٩٦٧ وأثرها في العلاقات المصرية السوفيتية، اما المبحث الثاني فتطرق للعلاقات المصرية - السوفيتية بين آذار ١٩٦٨ - آب

١٩٧٠، وتم التركيز فيه على حرب الاستنزاف بين مصر و (إسرائيل) والدعم السوفيتي للجانب المصري في تلك الحرب، وتناول المبحث الثالث العلاقات المصرية – السوفيتية بعد وفاة عبد الناصر وموقف الاتحاد السوفيتي من القيادة المصرية الجديدة التي تمثلت بأنور السادات.

اما الفصل الثاني فكان بعنوان (العلاقات المصرية – السوفيتية آذار ١٩٧١ – تشرين الأول ١٩٧٢)، وتم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث تناول المبحث الأول العلاقات المصرية – السوفيتية آذار ١٩٧١ – تموز ١٩٧١ وتم التركيز فيه على موقف الاتحاد السوفيتي من الصراع السياسي على السلطة في مصر في أيار ١٩٧١، والذي تم على اثره توقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين مصر والاتحاد السوفيتي في ٢٧ أيار ١٩٧١. وتطرقنا في المبحث الثاني إلى طبيعة العلاقات المصرية – السوفيتية بين تموز ١٩٧١ – حزيران ١٩٧٢، وتم التأكيد فيه على انعكاس أحداث السودان في تموز ١٩٧١ على العلاقات المصرية – السوفيتية، والتي أدت إلى فتور في العلاقات نتج عن الموقف المصري المناوئ للانقلاب الشيوعي في السودان، كما تطرقنا فيه إلى زيارات السادات للاتحاد السوفيتي التي قام بها بين تشرين الأول ١٩٧١ – ونيسان ١٩٧٢. اما المبحث الثالث فقد كرس لمناقشة اسباب وذاتج قرار الحكومة المصرية بشأن إنهاء مهمة الخبراء السوفيت.

وكان الفصل الثالث بعنوان (العلاقات المصرية – السوفيتية تشرين الأول ١٩٧٢ – كانون الأول ١٩٧٣)، وتم تقسيمه إلى ثلاثة مباحث، تطرق المبحث الأول إلى العلاقات المصرية السوفيتية، تشرين الأول ١٩٧٢ – ايلول ١٩٧٣ وفيه تم التركيز على محاولة الحكومة المصرية تحسين العلاقة مع السوفيت بعد قرار ابعاد الخبراء، والحفاظ على بعض جسور الصلة مع القيادة السوفيتية في سبيل الحصول منها على اسلحة جديدة، لاسيما بعد ان اصبح الوضع الداخلي في مصر لا يسمح بالانتظار، والاستمرار في حالة (اللاسلم واللاحرب). وتم تخصيص المبحث الثاني لحرب تشرين الأول ١٩٧٣ ونتائجها على العلاقات المصرية – السوفيتية، وتناول المبحث الثالث العلاقات المصرية – السوفيتية، ٢٣ تشرين الأول – ٢٣ كانون الأول

١٩٧٣ وتطرقنا فيه إلى الدور السوفيتي في الجهود الدولية لتنفيذ قرارات وقف إطلاق النار.

أما الفصل الرابع فتطرق للتعاون الاقتصادي والتبادل الثقافي بين مصر والاتحاد السوفيتي وتم تقسيمه إلى مبحثين، تناول المبحث الأول التبادل التجاري والتعاون الاقتصادي بين مصر والاتحاد السوفيتي، بينما تطرق المبحث الثاني للتبادل الثقافي بين البلدين.

أعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من المصادر المتنوعة يأتي في مقدمتها الوثائق العربية والانكليزية بنوعها غير المنشورة والمنشورة، ولا سيما وثائق دار الكتب والوثائق القومية في القاهرة، وملفات البلاط الملكي في بغداد، ووثائق وزارة الخارجية البريطانية، ووثائق الامن القومي الامريكي.

كما أعتمدت الدراسة على مجموعة من الكتب الوثائقية وعلى بعض كتابات الصحفي المصري محمد حسنين هيكل، على إعتبار انه كان قريباً من مركز صنع القرار السياسي في مصر فضلاً عن افادة الدراسة من كتابات بعض الصحفيين المصريين أمثال ابراهيم سعدة ومحمد الديوان، وان كانت لهم اراء متشدة ومبالغ فيها تجاه السياسة السوفيتية في الشرق الأوسط. كما اعتمدت الدراسة على كتاب الصحفي اللبناني فؤاد مطر والموسوم بـ: (روسيا الناصرية ومصر المصرية) والذي يتضمن معلومات ووثائق مهمة وجديدة تعطي القارئ صورة واضحة عن طبيعة العلاقات المصرية – السوفيتية خلال فترة الدراسة. كما افاد الباحث من وجهات نظر بعض الكتاب اليساريين المصريين امثال احمد حمروش وغالي شكري ولطفي الخولي.

واعتمدت الدراسة على مجموعة من الكتب المعربة كان في مقدمتها كتاب : السياسة السوفيتية في الشرق الأوسط ١٩٥٥-١٩٧٥ للباحثة الفرنسية هيلين كارير دانكوس، والذي لا يمكن الاستغناء عنه في معرفة طبيعة العلاقات المصرية – السوفيتية خلال فترة الدراسة، وكتاب روبرت اوين فريدمان الموسوم بـ: السياسة السوفيتية تجاه الشرق الأوسط منذ عام ١٩٧٠، هذا فضلاً عن الكتب الصادرة عن دار التقدم (موسكو)، وقد تميزت اصدارات دار التقدم المعربة عن اللغة الروسية

بتركيزها على الجانب الايجابي في علاقات الاتحاد السوفيتي مع البلدان النامية، وابرار دور الاتحاد السوفيتي في تقديم المساعدات الاقتصادية والثقافية والمعنوية لتلك البلدان، متجاهلةً نقاط الخلاف بين الجانبين ومتغاضية عن المصلحة السوفيتية التي تمثل الدافع الاساسي وراء تلك المساعدات.

وافادت الدراسة من بعض المذكرات الشخصية لشخصيات سياسية وعسكرية، في مقدمتها مذكرات السفير السوفيتي في مصر (فلاديمير فينوغرادوف) الموسومة بـ : مصر في زمن الابهام، ومذكرات مراد غالب، السفير المصري في موسكو الموسومة بـ: مع عبد الناصر والسادات سنوات الانتصار وايام المحن. فضلاً عن مذكرات محمد حافظ إسماعيل (مستشار الامن القومي المصري)، ومذكرات محمود رياض، (وزير الخارجية المصري)، ومذكرات الفريق محمود فوزي، (وزير الحربية المصري).

كما اعتمدت الدراسة على بعض المصادر الانكليزية كان في مقدمتها كتاب (Arms for The Arabs) لمؤلفه Jon Glassman، وبما ان الكتاب يعني في اللغة العربية (أسلحة للعرب)، فقد اعتمدت الدراسة عليه في الوقوف على حجم الدعم العسكري السوفيتي لمصر، كما اعتمدت الدراسة على كتاب (The Struggle for the Middle East) لمؤلفه Walter Laqueur.

وفي الشأن الاقتصادي فضلاً عن اعتماد الدراسة على بعض وثائق دار الوثائق القومية المصرية، افاد الباحث من كتاب: الاتحاد السوفيتي وجمهورية مصر العربية التعاون الاقتصادي المثمر، لمؤلفه تاديوش تيبودورفيتش، الذي يحتوي على معلومات واحصائيات مهمة في هذا الشأن. وفي الشأن الثقافي افادت الدراسة من بعض المقابلات الشخصية التي اجراها الباحث مع بعض الشخصيات المصرية المهمة والعاملة بذلك الشأن.

واعتمدت الدراسة على بعض البرامج الفضائية ولاسيما برنامج رحلة في الذاكرة على قناة روسيا اليوم الفضائية. كما افادت الدراسة من عدد من الصحف كان في مقدمتها صحيفة (الاهرام) المصرية. واعتمدت الدراسة كذلك على بعض مواقع الانترنت، هذا فضلاً عن اعتماد الدراسة على مجموعة اخرى من المصادر

المتنوعة والتي يمكن الرجوع إليها في قائمة المصادر. وفي الختام اضع هذا الجهد المتواضع امام السادة اعضاء لجنة المناقشة المحترمين لإغنائها بملاحظاتهم العلمية السديدة، ومن الله التوفيق.

التمهيد

العلاقات المصرية - السوفيتية حتى عام ١٩٦٧ :

لم تكن للسياسة الروسية أثر واضح في المنطقة العربية، في السنوات التي أعقبت ثورة أكتوبر- تشرين الأول ١٩١٧، وربما لم يكن الروس يأملون في إنجاز أهداف سياسية واضحة في الوطن العربي في تلك الفترة، ولعل ذلك يعود إلى انشغال الروس بقضاياهم الداخلية، أو عدم تفاؤلهم في الأقطار العربية التي كانت غالبيتها خاضعة للاستعمارين البريطاني والفرنسي، فضلاً عن أنها ليست مهياً لتقبل الأفكار (الماركسية)^(١).

وإزاء ذلك فقد انصب اهتمام السياسة الروسية على تحريض الشعوب العربية، وإثارة مشاعر العداء للاستعمار الغربي، واتضح ذلك من خلال النداءات التي وجهتها القيادة الروسية للبلدان العربية خلال مؤتمر شعوب الشرق، الذي عقد في مدينة باكو في أذربيجان، في الفترة من (١-٨ أيلول ١٩٢١)^(٢).

إن عدم اكتراث السياسة الروسية بمشاكل الوطن العربي الداخلية لم يكن يعني في الوقت ذاته، عدم وجود اهتمام روسي بالوطن العربي من الناحية الإستراتيجية، وذلك لقرب الأخير من الحدود الجنوبية لروسيا. وبقدر تعلق الأمر بمصر، فقد حاولت روسيا التقرب من حكومتها منذ عام ١٩٢٢، إلا أن الحكومة المصرية آنذاك اتخذت موقفاً سلبياً من ذلك التقارب. وفيما بعد مكن قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، وإنضمام الاتحاد السوفيتي إلى جبهة الحلفاء مع بريطانيا وفرنسا ضد ألمانيا وحلفائها، من إقامة علاقات دبلوماسية بين مصر والاتحاد السوفيتي، بعد أن أشارت بريطانيا على مصر في عام ١٩٤٣ بضرورة إقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي^(٣).

(١) فادي خليل، "السياسة السوفيتية في المشرق العربي ١٩٤٨-١٩٩١"، مجلة دراسات تاريخية (دمشق)، العددان (١٠١، ١٠٢)، حزيران، ٢٠٠٨، ص ٢٧٢.

(٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: كمال مظهر احمد "حقائق أخرى عن مؤتمر شعوب الشرق"، مجلة آفاق عربية، (بغداد)، العدد (١٢)، آب ١٩٧٦، ص-ص ٨٦-٩٦.

(٣) سلام محمد حمزة الاسدي، الصراع الأمريكي- السوفيتي على مصر (١٩٥٣-١٩٧٠)، أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، (بغداد، ١٩٩٨)، ص ٢٤.

وفي ٦ تموز ١٩٤٣ أرسل مصطفى النحاس^(*) (١٨٧٦ - ١٩٦٥)، (رئيس الوزراء المصري ووزير الخارجية آنذاك)، رسالة إلى ايفان مايسكي (السفير السوفيتي في القاهرة) أعرب فيها عن استعداد مصر لإقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي، جاء فيها ((ان الحكومة المصرية بالرغم من كل المحن، لم تتوقف عن مساندة قضية الديمقراطية، حتى في أصعب أيام الحرب، إلا انها تظن، وكما الاتحاد السوفيتي بان من غير المنطقي، بان اثنتين من الدول تقفان في معسكر نضالي واحد من أجل الديمقراطية، لا تمتلكان علاقات دبلوماسية طبيعية بينهما)).^(١)

وفي ٢٦ تموز ١٩٤٣، أبلغ مايسكي، مصطفى النحاس موافقة بلاده على إقامة العلاقات الدبلوماسية مع مصر، في رسالة جاء فيها ((ان الحكومة السوفيتية تعتبر إقامة علاقات دبلوماسية طبيعية بين الاتحاد السوفيتي ومصر، تبدو وكأنها مساهمة مهمة في تعزيز جبهة النضال ضد ألمانيا وشركائها، وأيضاً تتطابق مع مصالح كلا البلدين، وبحكم ذلك فان الحكومة السوفيتية تؤيد وبرغبة اقترحكم حول إقامة علاقات دبلوماسية طبيعية بين الاتحاد السوفيتي ومصر...)).^(٢)

وفي ٢٧ آب ١٩٤٣ تم إقامة أولى العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وكان التمثيل الدبلوماسي آنذاك بدرجة مفوضية^(٣).

وفي ٩ أيلول ١٩٤٣ تبادل الجانبان مذكرات تعززت بموجبها العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، وتم الاتفاق بينهما على تبادل البعثات الدبلوماسية في أقرب

(*) زعيم سياسي مصري، ترأس حزب الوفد المصري بعد وفاة سعد زغلول عام ١٩٢٧، وبقي في رئاسة حزب الوفد حتى قيام ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢، وكان حزبه يمثل الأغلبية، تولى رئاسة الوزارة المصرية مرات عديدة، ثم اعتزل السياسة بعد ثورة ١٩٥٢، بعد ان لقي من قادة الثورة حملة عداء عنيفة، للنفاسيل ينظر: علاء الحديدي، مصطفى النحاس، دراسة في الزعامة السياسية المصرية، دار الهلال، (القاهرة، ١٩٩٣)، ص ٢٣، وما بعدها.

(١) صحيفة ايفستيا، (موسكو)، العدد ٢١٣، ١٩٤٣/٩/٩.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) "١٥ عام في تاريخ العلاقات العربية - السوفيتية"، مجلة الطليعة، (القاهرة)، العدد (١١)، السنة الثالثة، تشرين الثاني، ١٩٦٧، ص ١٠٣.

وقت. وفي ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٣ عُنِنَ (نيكولاي نوفيكوف) أول وزير مفوض للاتحاد السوفيتي في القاهرة^(١).

وبعد إقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، إقتصرت العلاقات المصرية – السوفيتية على التبادل التجاري بين البلدين^(٢).

وعندما لجأت مصر في عام ١٩٤٧ إلى مجلس الأمن، لغرض التدخل لأجلاء القوات البريطانية عن أراضيها، وقف الاتحاد السوفيتي إلى جانبها، وأعلن إستعداده لتقديم كل العون للحكومة المصرية^(٣).

وحين قامت الحكومة المصرية في ٨ تشرين الأول ١٩٥١، بإلغاء معاهدة ١٩٣٦، التي تم توقيعها في ٢٦ آب بين مصر وبريطانيا، أعلن الاتحاد السوفيتي تعاطفه مع الحكومة المصرية، وأبدى استعداداً لتقديم المساعدة^(٤).

وفي ٢٣ تموز ١٩٥٢ قام مجموعة من ضباط الجيش المصري بانقلاب عسكري، أخذ صفة الثورة التي عرفت فيما بعد بـ (ثورة يوليو)، وقد جاء رد الاتحاد السوفيتي متسماً بالحذر، وفي الأيام الأولى للثورة أصدرت القيادة السوفيتية احكاماً غير دقيقة حول طبيعة الثورة والعلاقات مع القائمين بها^(٥). ووصفت الثورة من قبل الزعماء السوفيت بأنها من صنع (عملاء الغرب) وسينتج عنها قيام نظام دكتاتوري

(١) للتفاصيل حول طبيعة عمل المفوضية السوفيتية في مصر آنذاك ينظر: نيكولاي نوفيكوف، يوميات دبلوماسي في بلاد العرب، ترجمة: جلال الماشطة، دار التقدم، (موسكو، ١٩٨٧)، ص-ص ٣٥-١٢٦.

(٢) ملف العالم العربي، الدار العربية للوثائق، (د. ع. و)، مصر، علاقات خارجية- العلاقات مع الاتحاد السوفيتي، بداية التعاون (١٩٤٣-١٩٥٦)، م-١/١٣٠.

(٣) الاتحاد السوفيتي والعالم العربي، مجموعة من الوثائق السياسية، (إعداد) اسكندر احمدي، دار التقدم، (موسكو، ١٩٨٧)، ص ٣٥.

(٤) "إتحاد الجمهوريات السوفيتية- المسألة القومية وقضية الأممية" مجلة الطليعة (القاهرة)، العدد ١٢، السنة الثامنة، كانون الاول، ١٩٧٢، ص ١٠٩.

(5) Malcolm H. Kerr "Egyptian Foreign policy and the revolution" in: Egypt since The Revolution, Edited by P. J. Vatikiotis, (London, 1967), p. 132.

عسكري في مصر^(١). وخلال السنتين الأوليين من قيام الثورة المصرية كان التعاون المصري - الأمريكي والتنسيق ضد (الشيوعية)، قد وصل إلى ذروته^(٢). إلا أن الموقف السوفيتي تجاه مصر سرعان ما تغير بعد أن علمت القيادة السوفيتية^(٣)، بتوجهات القيادة المصرية الجديدة المعادية لسياسة الأتحاف الغربية^(٤)، وما أن بدأت القيادة المصرية بالضغط على الإنكليز للانسحاب من مصر، حتى أخذ قادة الاتحاد السوفيتي في تغيير موقفهم، وأبدوا تعاطفهم تجاه القيادة المصرية^(٥). وفي ٢٢ آذار ١٩٥٤ كانت العلاقات بين البلدين قد ارتفعت من مستوى مفوضية إلى سفارة، ثم صدر بيان بتعيين عزيز المصري^(*)، سفيراً لمصر في الاتحاد السوفيتي^(٦).

(1) Andrej Kreutz, Russia in the Middle East, Friend of Foe, printed in the United State of America, 2007, p. 109.

(2) Muhammad Abd El-Wahab Sayed- Ahmed, Nasser and American foreign policy 1952- 1956, by LAAM, (London, 1989), p.61.

(٣) بعد وفاة الزعيم السوفيتي جوزيف ستالين (١٨٧٩- ١٩٥٣)، في آذار ١٩٥٣، كانت القيادة السوفيتية الجديدة متمثلة بنيكيتا خروشوف (١٨٩٤- ١٩٧١) أكثر انفتاحاً على المنطقة العربية واستبدل الشاعر (الستاليني)، (من ليس معنا فهو ضدننا) بالشاعر الجديد (من ليس ضدننا فهو معنا)، جورج شكري كتن، العلاقات الروسية العربية في القرن العشرين وأفاقها، سلسلة دراسات إستراتيجية، العدد (٥٣)، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠١، ص ٤٢.

(٤) ولتر لأكور، الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط، ط١، المكتب التجاري للتوزيع والنشر، (بيروت، ١٩٥٩)، ص ٢٢٣.

(٥) بسام العسلي، خروتشوف، سلسلة قادة الكرملين، ط١، دار طلاس، (دمشق، ١٩٨٥)، ص ٢٧٢.

(*) عسكري مصري وسياسي ولد في القاهرة عام ١٨٧٧، عين مدرساً بكلية الأركان في تركيا عام ١٩٠٧، ثم مفتشاً للجيش في ولاية سالونيك، اشترك في مقاومة الغزو الإيطالي لليبيا عام ١٩١١، أسس جمعية العهد عام ١٩١٣، ساهم في تنظيم حركة الفدائيين المصريين في قناة السويس عام ١٩٥١، تم تعيينه سفيراً لمصر في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٤، كان لشخصيته التاريخية في الكفاح السري ضد الإنكليز أثراً بعيداً في جيل الضباط الذي تكون منه تنظيم الضباط الأحرار في مصر فيما بعد. للتفاصيل ينظر: محمد عبد الحميد، أبو الثائرين: الفريق عزيز المصري، كتاب اليوم، العدد (٣٣٣)، دار أخبار اليوم، (القاهرة، ١٩٩٢)، ص ٩ وما بعدها.

(٦) للمزيد من التفاصيل حول طبيعة العلاقات المصرية السوفيتية خلال تلك الفترة ينظر: فؤاد المرسي، العلاقات المصرية- السوفيتية (١٩٤٣- ١٩٥٦)، دار الثقافة الجديدة، (القاهرة،

وإبان أزمة مارس ١٩٥٤^(١)، امتدعت الصحافة السوفيتية عن التعليق على التطورات الداخلية في مصر، ولم تذخر القيادة السوفيتية لأحد طرفي الصراع^(٢). وبعد انتهاء أزمة الصراع السياسي على السلطة في مصر إستمر التقارب بين الجانبين باضطراد، ونتيجة للموقف المصري المتوافق مع سياسة الاتحاد السوفيتي، أبدى السوفيت رغبة في تقديم مساعدات اقتصادية وعسكرية لمصر، كما أبدوا موافقتهم على تزويد الجيش المصري بالسلح الذي يحتاجه، واستيفاء ثمن الأسلحة من المحاصيل الزراعية المصرية^(٣).

كما ساهمت بعض الأحداث الإقليمية بزيادة التقارب المصري السوفيتي. ففي ٢٨ شباط ١٩٥٥، قامت (إسرائيل) بغارة جوية على قطاع غزة ولقي أكثر من (٥٠) جندياً مصرى مصرعهم^(٤)، وذلك ما دفع الحكومة المصرية إلى الإسراع في مسألة الحصول على الأسلحة اللازمة لمواجهة الاعتداءات (الإسرائيلية)، وبعد ماطلة ورفض غربي لمسألة تزويد مصر بالسلح اللازم اتجهت الحكومة المصرية إلى الاتحاد السوفيتي^(٥)، الذي وافق على تزويد مصر بما تحتاجه من أسلحة سوفيتية ضمن صفقة عسكرية عرفت بالصفقة (التشيكية) التي أعلن عنها في ٢٧ أيلول ١٩٥٥^(٦). واعترفت القيادة المصرية فيما بعد بأن الصفقة التشيكية كانت في الواقع

(١٩٧٧)،

ص-ص ٥٦-٦.

(١) أزمة سياسية بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر، وصفت بالصراع السياسي على السلطة وحسمت لصالح عبد الناصر، للتفاصيل ينظر: عبد العظيم رمضان، عبد الناصر وأزمة مارس ١٩٥٤، مطابع روز اليوسف (القاهرة، ١٩٧٧)، ص ٢١ وما بعدها.

(٢) نقلاً عن جمال معوض شقرة، "مصر والصراع مع الغرب ١٩٥٢-١٩٥٤"، مجلة مصر والعالم المعاصر، (القاهرة)، العدد الأول، تموز ٢٠٠٩، ص ٢٨٣.

(٣) د. ك. و. ملفات البلاط الملكي، رقم الملف ٣١١/٢٦٨٧، تقرير السفارة العراقية في القاهرة، المرقم ٥١٥/٢/٨-أ، بتاريخ ١٩٥٥/٦/٢٢، وثيقة رقم (٣٦)، ص ٧٨.

(٤) حسين ابو النمل، قطاع غزة ١٩٤٨-١٩٦٧، تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية، مركز الابحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، (بيروت، ١٩٧٩)، ص ١٠١.

(٥) جرت الاتصالات المصرية - السوفيتية بواسطة صينية، تمت أثناء مؤتمر باننونغ في نيسان ١٩٥٥، ليلي الجبالي، "ثورة يوليو وتحدي السيطرة الأجنبية" مجلة الكاتب (القاهرة)، السنة الرابعة عشر، العدد ١٦٠، ١٩٧٤، ص ١٠٥.

(٦) فواز جرجس، النظام الاقليمي العربي والقوى الكبرى، دراسة في العلاقات العربية -العربية والعربية الدولية، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٩٩٧)، ص ٦٢. هناك من

اتفاقية بين مصر والاتحاد السوفيتي. وبموجب تلك الاتفاقية كان يتعين على مصر ان تحصل على الأسلحة الثقيلة لمبلغ يتراوح بين ٢٢٥ - ٢٥٠ مليون دولار مقابل واردات القطن المصري، ونص الاتفاق كذلك على تزويد مصر بطائرات (ميج ١٥) و (ميج ١٧)، وقاذفات القنابل من طراز (IL 28). والدبابات المتوسطة والثقيلة، والمدفعية، والغواصات ومختلف أنواع التجهيزات^(١). وقد تغير موقف الصحافة السوفيتية تجاه مصر بشكل ملحوظ بعد التوقيع على صفقة الأسلحة، ولم تعد الحكومة المصرية توصف بـ(الرجعية) أو (الفاشية)^(٢).

وفي تلك الفترة كانت مصر تسعى لبناء مشروع السد العالي^(*) وبدأت محادثات مع البنك الدولي بشأن تمويل المشروع، وعلى الرغم من تعهد الاتحاد السوفيتي بالمساهمة في المعونة الفنية، والمعدات ومنح مصر قروض يتم تسديدها خلال خمسة وعشرون عاماً^(٣). إلا ان القيادة المصرية اختارت أن يتم تمويل المشروع من الغرب انطلاقاً من مبدأ التوازن التي كانت حريصة عليه. إلا ان النهج الذي اتبعته القيادة المصرية في مقاطعة الأحلاف الغربية وإعتبار (إسرائيل) العدو الأول للعرب، والتوجهات المصرية نحو المعسكر الاشتراكي^(٤)، ومن ثم اعتراف مصر في ١٦ أيار ١٩٥٦ بجمهورية الصين، بهدف الحصول على مورد جديد

يرى بأن القيادة المصرية استخدمت اتفاقها مع السوفيت عامل ضغط على الغرب في محاولة أخيرة لإجبارهم على توريد السلاح لمصر، وان جمال عبد الناصر كان قد اتصل بسفيري أمريكا وبريطانيا وابلغهما بصفقة الأسلحة وحذرهما من اضطراره لقبولها إذا لم تحصل مصر على أسلحة من الدولتين، ولم يتلق عبد الناصر رداً عليه من قبل السفيرين. د. ك. و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملف 2678311، تقرير السفارة العراقية في القاهرة، المرقم ٨/٢/٥١٥-أ في ١٩٥٥/٦/٢٢، وثيقة رقم (٣٦)، ص ٨٧؛

Keith Wheelock, Nasser's New Egypt, by Stevens and Sons L T d, (London, 1960), p.199.

(١) للتفاصيل ينظر: د. ع. و، مصر - شؤون عسكرية - مصادر السلاح م-١٥٠١/٦.

(2) David J. Dallin, Soviet foreign policy After Stalin, by Methuen and CO LTD, (London, 1960), p. 398

(*) سنتطرق اليه لاحقاً.

(٣) صحيفة الأهرام (القاهرة)، العدد، ٢٠١٥٢، ١١/١٠/١٩٥٥.

(٤) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي رقم الملف 26800311، تقرير السفارة العراقية في القاهرة رقم 2/2٤٩١٠ في أيار ١٩٥٦ الوثيقة (٢٦)، ص ٤٦.

للسلاح^(١). كان سبباً في الافتراق بين مصر والمعسكر الغربي، وتبعاً لكل ذلك أعلنت الولايات المتحدة في ١٩ تموز ١٩٥٦، سحبها عرض تمويل مشروع السد العالي^(٢). وفي اليوم التالي أعلنت بريطانيا تضامنها مع الولايات المتحدة وسحبت هي الأخرى عرضها لتمويل ذلك المشروع، ثم سقط قرض البنك الدولي تلقائياً لارتباطه بمساهمة الدولتين^(٣).

ونتيجة لذلك لجأ عبد الناصر إلى تأميم قناة السويس في ٢٦ تموز ١٩٥٦، لإستخدام عائداتها في تمويل مشروع بناء السد العالي، وذلك ما أدى إلى إستياء الدول الغربية المنتفعة من واردات القناة. وقد أدت تلك التطورات إلى حدوث أزمة سياسية عرفت تاريخياً بـ (أزمة السويس)، وبدأت الدول الغربية في صيف عام ١٩٥٦ بإستخدام لهجة عدائية تجاه مصر^(٤).

جاء الموقف السوفيتي إزاء ذلك متمثلاً بإدانة حازمة لكل الأعمال والتصريحات الغربية الموجهة ضد مصر، ووصفتها الحكومة السوفيتية، في بيانها الصادر في ١٩ آب ١٩٥٦، بأنها تهديد للسلام والأمن العالمي^(٥). كما رفضت الحكومة السوفيتية فكرة الإدارة الدولية للقناة، وعدّت في بيان لها في ١٥ أيلول ١٩٥٦، ان مسألة تدويل القناة تشكل إستفزازاً سيؤدي إلى زيادة توتر الوضع حول قناة السويس، وإثارة أحداث يمكن استغلالها ذريعة لإستخدام القوة ضد مصر^(٦).

(1) Robert Stephens, Nasser Apolitical Biography, printed in Great Britain by Hazell Watson and Viney L T D, (London, 1971), p.183.

(٢) د. ك. و، ملفات البلاط الملكي رقم الملف ٣١١/50040/ تقرير السفارة العراقية في واشنطن، رقم 1/4٣٢١٠ في تموز ١٩٥٦، وثيقة رقم (١٠)، ص ١٦.

(٣) لطيفة محمد سالم، أزمة السويس (١٩٥٦ - ١٩٥٧)، جذور - أحداث - نتائج، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩٧)، ص ١٤٠؛ ر. ل. كارنجا، كيف نجح عبد الناصر، ط ٢، ترجمة: خيرى حماد، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٥)، ص ٧٩.

(٤) للمزيد من التفاصيل ينظر: ميسون عباس حسين الجبوري، أزمة السويس والموقف الدولي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية، ابن رشد، (بغداد، ٢٠٠٥)، ص ٦٤ وما بعدها.

(٥) أ. ادميتش وآخرون، تأريخ السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي (١٩٤٥ - ١٩٧٦)، ج ٢، دار التقدم، (موسكو، ١٩٨٠)، ص ٣٦١.

(٦) مظفر نذير الطالب، السياسة الخارجية السوفيتية في الوطن العربي، (١٩٥٣ - ١٩٦٧)، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٨٢، ص ٢٥٨.

I. D. Ovsyany, Astudy of Soviet foreign policy, printed in U.S. S. R, 1975, p.297.

وعندما بدأت حرب السويس في ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٦، بهجوم (إسرائيل) على سيناء، تبعه هجوم فرنسي - بريطاني على بور سعيد بهدف احتلال قناة السويس^(١)، كان للاتحاد السوفيتي موقفاً واضحاً منها، فمُنذ إبتداء العدوان الإسرائيلي على سيناء، أدان السوفيت على نحو قاطع ذلك العدوان^(٢). وعندما إتسعت آثاره وأصبح ثلاثياً، قام رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي آنذاك نيكولاي. أ. بولغاني (١٨٩٥- ١٩٧٥) ^(٣)، في ٥ تشرين الثاني ١٩٥٦، بإنذار كلٍّ من بريطانيا وفرنسا و(إسرائيل) من خلال رسالة موجهة إلى حكومات تلك الدول^(٤)، أعرب فيها عن ((... النية القوية لدى الاتحاد السوفيتي بإستخدام القوة لوقف المعتدين، وإقامة السلم في منطقة الشرق الأوسط))^(٥).

كما أيد الشعب السوفيتي مواقف حكومته، الموجهة إلى إيقاف أعمال العدوان الثلاثي، وانهقدت اجتماعات جماهيرية في المعامل والمؤسسات والمنظمات

(١) د. ع. و، مصر - شؤون عسكرية - القوات المسلحة ودورها العسكري - حرب السويس ١٩٥٦

م-١٥٠١/٣، لتفاصيل أكثر عن حرب السويس ينظر: أمين هويدي، حروب عبد الناصر، ط١، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٧٧) ص-ص ٤٧-١١٩؛ مجموعة مؤلفين، حرب السويس بعد أربعين عاماً، (تحرير) رؤوف عباس حامد، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية في مؤسسة الأهرام، (القاهرة، ١٩٩٧)، ص ١٤ وما بعدها؛ مجموعة مؤلفين، معركة السويس ثلاثون عاماً، ط١، دار الشروق، (القاهرة، ١٩٨٩)، ص ١٧ وما بعدها.

(٢) ايغور بيليايف، الشرق الأوسط والعرب، من هو العدو ومن هو الصديق، دار الفارابي، (بيروت، ١٩٨٤)، ص ٢٨.

(*) سياسي ورجل دولة سوفييتي، وصل إلى مستويات السلطة العليا في سن متأخرة نسبياً، وفي عام ١٩٤٦، أصبح وزيراً للدفاع، كما أصبح عام ١٩٤٨ عضواً في المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي، تولى رئاسة الوزارة عام ١٩٥٤، ثم اضطر عام ١٩٥٨، إلى الاستقالة بسبب خلافه مع خروشوف، اقترن اسمه بالإنذار السوفييتي الموجه لدول العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦.

عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ١، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٩٠)، ص ٦١٠.

(٣) واي بوجوش وآخرون، السياسة الخارجية السوفيتية بين عامي ١٩٥٥-١٩٦٥، ترجمة: خيرى حماد، دار الكاتب العربى للترجمة والنشر، (القاهرة: د.ت)، ص١٢٨.

(٤) للاطلاع على النص الكامل للرسالة ينظر:

الأسوفيتية. وفي مساء ٥ تشرين الثاني ١٩٥٦، نظمت مظاهرات جماهيرية لعمال موسكو بالقرب من سفارات بريطانيا وفرنسا و (إسرائيل)، وقد حملت تلك المظاهرات شعارات (ارفعوا يديكم عن مصر) و (السويس لمصر)، و (العار للمعتدين)^(١).

وفي ١١ تشرين الثاني ١٩٥٦ وجهت حكومة الاتحاد السوفيتي انذاراً جديداً إلى الدول الثلاث، تمثل بتعهداتها بإرسال أعداد من المتطوعين الأسوفيت للاشتراك في القتال مع مصر، لطرد ما وصفته بـ (المعتدين)^(٢).

وكان أوضح دليل على تضامن الشعب الأسوفيتي مع الشعب المصري هو العديد من العرائض التي قدمها المواطنون السوفيت بمن فيهم الطيارون، ورجال قوات المدفعية، وضباط الاحتياط، يطلبون فيها السماح لهم بالتوجه إلى مصر كمتطوعين^(٣).

كما دعا الاتحاد السوفيتي في يوم ١٢ تشرين الثاني ١٩٥٦ إلى فرض عقوبات على الدول الثلاث في حال عدم انسحابها^(٤)، وقامت الحكومة الأسوفيتية في ١٦ تشرين الثاني ١٩٥٦ بإنذار الدول المعتدية، ومطالبتها بتعويضات مناسبة لمصر نتيجة للأضرار التي لحقت بقناة السويس^(٥).

أتاحت أزمة السويس عام ١٩٥٦، الفرصة الكافية للاتحاد السوفيتي لأن يدخل بشكل واضح إلى الساحة السياسية في الشرق الأوسط^(٦). وشهد عام ١٩٥٧ قمة

(١) ادميتش وآخرون، المصدر السابق، ص ٣٧١.

(٢) صحيفة الأهرام، العدد ٢٥٥٤٤، ١١/١١/١٩٥٦.

(٣) ادميتش وآخرون، المصدر السابق، ص ٣٧٢.

(٤) صحيفة الأهرام، العدد ٢٥٥٤٥، ١٢/١١/١٩٥٦.

(٥) صحيفة الأهرام، العدد ٢٥٥٦٩، ١٦/١١/١٩٥٦.

(٦) صلاح نصر، مذكرات صلاح نصر، ج ١، (الصعود)، دار الخيال، (القاهرة، ١٩٩٩)، ص ٤٣٥، على الرغم من ذلك النجاح الذي حققه الاتحاد السوفيتي في أزمة السويس، إلا أنه ومن وجهة نظر سوفيتية، هناك من يرى أن التحسن في العلاقات السوفيتية -العربية، والسمعة العالية التي حضي بها الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط، جاءت على حساب علاقات الاتحاد السوفيتي مع الغرب، ووجد السوفيت أنفسهم أمام أزمة خطيرة مع البلدان الغربية، جورج سوكلوف، روسيا بين ١٨١٥-١٩٩١، ج ٢، القسم الأول، ترجمة: انطوان حمصي، منشورات وزارة الثقافة (دمشق، ١٩٩٩)، ص ٤١.

الأجواء الصافية في العلاقات المصرية - السوفيتية، وكان نجاح الاتحاد السوفيتي فيه (مزدوجاً)، لم يشمل العلاقات الثنائية فدسب، وانما شمل أيضاً ازدهار وتصادد القوى المحلية الشيوعية في مصر وسوريا^(١).

لكن بعد سنوات قليلة اقتنع الاتحاد السوفيتي ان الرئيس المصري جمال عبد الناصر، حليف متشدد، وله علاقاته بالدول المختلفة، وله مفاهيمه الخاصة. وخلال فترة التضامن المصري - السوفيتي، التي أعقبت أحداث السويس كانت نقاط الخلاف موجودة وعميقة أحياناً، وطبعت تلك القضايا، العلاقات المصرية - السوفيتية بطابعها. فالحياد الذي ربط بين الاتحاد السوفيتي ومصر، كان عند الاتحاد السوفيتي وسيلة للنضال ضد الدول الغربية الرأسمالية، اما بالنسبة لعبد الناصر فكان له معنى أكثر أهمية، إذ كان الحياد يعني وضع حد لسياسة كانت تحد من الاستقلال المصري، ووسيلة لتأكيد السيادة الوطنية أمام أي تهديد خارجي^(٢)، ولم يكن رفض عبد الناصر للانخراط في الأحلاف الدولية انتقائياً، بل شمل كل القوى الأجنبية، ومن هنا نشأ أول سوء فهم مع السوفيت، إذ كانت الرؤية السوفيتية، تتمثل بربط السيطرة الاستعمارية بالدول الغربية وحدها، ولم يقبل الجانب السوفيتي ان توصف العلاقات معه بأنها قائمة على عدم التكافؤ والتبعية^(٣).

ومن الأمور الأخرى التي كانت مصدراً آخر لسوء الفهم المصري - السوفيتي آنذاك مسألة تنامي دور الأحزاب الشيوعية في البلدان العربية، ومحاولة الحكومة المصرية تحجيم وإحتواء نشاط العناصر اليسارية وبالذات الحزب الشيوعي المصري^(٤). إذ كانت القيادة المصرية ترى في تلك الأحزاب - على الرغم من

(١) خيرى عزيز "عبد الناصر والاتحاد السوفيتي" في: كتاب أنيس الصائغ وآخرون، عبد الناصر وما بعد، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٨٠)، ص ٢٥٠.

(٢) بيير روندو، مستقبل الشرق الأوسط، ترجمة: نجدة هاجر وسعيد الغز، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، (بيروت، ١٩٥٩)، ص ١٩٣؛ هيلين كارير دانكوس، السياسة السوفيتية في الشرق الأوسط (١٩٥٥ - ١٩٧٥)، ترجمة: عبد الله اسكندر، ط١، دار الكلمة، (بيروت، ١٩٨١)، ص ٧٤.

(٣) دانكوس، المصدر السابق، ص ٧٤؛ عودة بطرس عودة، عبد الناصر والاستعمار العالمي، ج ٢، دار الوحدة، (القاهرة، د.ت)، ص ص ١٥ - ١٦.

(٤) انطوان شيبان، قرار أمريكا بالفشل في الشرق الأوسط، (دمشق، ١٩٨٤)، ص ٩٠.

ضعفها وتأيدها للسياسة الحكومية - خطراً محتملاً، وهي بذظر هذه القيادة تحمل عقيدة مرفوضة، وغير مرغوب في إنتشارها في مصر والعالم العربي^(١).

كان نشاط الأحزاب الشيوعية العربية في معظم الأحيان عبئاً على الاتحاد السوفيتي، أكثر مما كان ذخراً له، ذلك لأن نشاطات الشيوعيين المحليين أدت في كثير من الحالات إلى تدهور العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والدول العربية^(٢).

وفي شباط ١٩٥٨ استقبل الاتحاد السوفيتي، من دون حماس كبير إعلان الوحدة المصرية - السورية، على أساس ان من نتائج تلك الوحدة امتداد النزعة المعادية للشيوعية من مصر إلى سوريا، التي يتمتع فيها الحزب الشيوعي بقاعدة جماهيرية كبيرة، ومع موقف التحفظ على قيام الجمهورية العربية المتحدة، اضطر الاتحاد السوفيتي إلى الاعتراف رسمياً بها، وإلى مساندة الوحدة على مضض من منطلق ان عدم تأييده للوحدة سيضعف من نفوذه ومصالحه في كل من سوريا ومصر^(٣).

وقد توجهت الجمهورية العربية المتحدة إلى الاتحاد السوفيتي طلباً للمساعدة في ميادين عديدة، وخلال الفترة (٢٩ نيسان - ١٦ أيار ١٩٥٨) قام عبد الناصر بزيارته الأولى إلى الاتحاد السوفيتي، وبدأ أول لقاء عمل مع القيادة السوفيتية. وأعرب خلال تلك الزيارة عن شكره للشعب السوفيتي وحكومته لقاء الدعم الذي قدّم لمصر إبان أزمة السويس، ثم حضر الرئيس المصري استعراضاً للقوات المسلحة السوفيتية. وفي ١٦ أيار ١٩٥٨ نشرت صحيفة برافدا السوفيتية البيان المشترك عن نتائج المباحثات بين حكومتي الاتحاد السوفيتي و ج.ع.م^(*)، وجاء في البيان ((... ان كلتا

(١) للتفاصيل حول موقف عبد الناصر من الحركة الشيوعية في مصر ينظر: عبد القادر ياسين "عبد الناصر والحركة الشيوعية المصرية" في كتاب: جمال عبد الناصر - رؤية متعددة الزوايا، (تحرير) عبد القادر ياسين، ط١، دار الكتاب العربي، (دمشق، ٢٠٠٨)، ص-ص ١٧٣-٢٢٣.

(٢) قاسم محمد جعفر، سوريا والاتحاد السوفياتي، دراسة في العلاقات العربية - السوفيتية، رياض الريس للكتب والنشر، (بيروت، ١٩٨٧)، ص ١٨.

(٣) صادق الأسود "الاتحاد السوفيتي والوحدة العربية" مجلة المنار (باريس)، عدد ١٩، نيسان، ١٩٨٦، ص ٩١.

(*) سنستخدم المختصر (ج.ع.م) دلالة على تسمية الجمهورية العربية المتحدة، وذلك خلال الفترة

(١ شباط ١٩٥٨ - ١١ أيلول ١٩٧١).

الحكومتين تدينان الاستعمار بكافة صوره وأشكاله وتؤيدان حق الشعوب في الاستقلال وتقرير المصير^(١).

مع ذلك لم تكن العلاقات بين ج. ع. م والاتحاد السوفيتي منسجمة بشكل تام، إذ تخللتها بعض الخلافات التي بلغت ذروتها عام ١٩٥٩، إذ تزامنت محاولات عبد الناصر في التضييق على الشيوعيين^(٢)، مع أحداث العراق المتمثلة بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، الذي لعب الشيوعيون العراقيون فيها دوراً بارزاً، واثبتوا قدرتهم على تعبئة الجماهير، وفرضوا وجودهم على القادة الجدد، وعلى الرغم من ان السلطة الجديدة في العراق لم تتألف من الشيوعيين إلا انها لم تكن معادية لهم، وكانت مستعدة في سياستها الخارجية للتقارب مع الاتحاد السوفيتي، أما بالنسبة لعبد الناصر فقد عرّضت تلك الثورة فكرة انضمام العراق إلى ج. ع. م، وتسوية النزاع القديم بين مصر والعراق، وأيضاً لتصبح الدولة الجديدة وسيلة للحد من نفوذ الشيوعيين العراقيين كما حدث في سوريا^(٣).

(١) نقلاً عن آجارشيف، جمال عبد الناصر، ترجمة: سامي عماره، دار التقدم، (موسكو، ١٩٨٣)، ص-ص ١٣٥-١٣٦.

(٢) للتفاصيل ينظر: عبد العظيم رمضان، قصة عبد الناصر والشيوعيين، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٨)، ص-ص ٢٨-٣٢. لم يقتصر نفور النظام المصري من الشيوعيين وملاحقتهم على ج. ع. م بل تعداها إلى بلدان عربية أخرى، ويظهر ان موقف عبد الناصر هذا من الشيوعية يرجع إلى بداية تسنمه مهام الحكم في مصر. وتشير وثيقة بريطانية مؤرخة في ١٥ كانون الأول ١٩٥٥، إلى ان عبد الناصر كان يحذر إطراف عراقية من تسلل الشيوعيين إلى الجيش العراقي، وقد أوحى ذلك للحكومة البريطانية آنذاك، بأن النظام المصري ابعد ما يكون للتقارب مع الكتلة الشيوعية:-

PRO.F.O, 371/113787, from British Embassy in Cairo To Foreign office in 15 December 1955.

(٣) عبد المناف شكر جاسم، العلاقات العراقية -السوفيتية ١٩٤٤-١٩٦٣، ط١، مديرية مطبعة الحكم المحلي، (بغداد، ١٩٨٠) ص-ص ١٠٠-١٠١؛ عبد الناصر وما بعد، المصدر السابق، ص ٢٥٢. كان الحزب الشيوعي العراقي يعارض انضمام العراق لـ ج. ع. م، خشية أن يفقد شرعيته، مثلما حدث للحزب الشيوعي السوري، واتفق عبد الكريم قاسم في ذلك مع الشيوعيين لأسباب خاصة به، وأصبحت تلك نقطة إحتكاك بين قاسم وناصر، الذي خشي من تهديد النظام العراقي الجديد قيادته للحركة القومية العربية، لاسيما ان التحالف الشيوعي-القومي في العراق في بداية ثورة ١٩٥٨، كان يحظى بإعجاب كبير من قبل الاتحاد السوفيتي. ينظر: جويل بينن، العلم الأحمر، السياسات الماركسية والنزاع العربي - الإسرائيلي، ترجمة: كمال السيد، دار الثقافة الجديدة، (القاهرة، ١٩٩٦)، ص ١٨٨.

وعلى الرغم من تأكيد الاتحاد السوفيتي على مسألة عدم التدخل في الشؤون الداخلية العربية، إلا أن السوفيت كانوا قلقين من توسع سطوة عبد الناصر، فحملته من أجل الوحدة العربية كانت تهدد مصالحهم الحيوية في المنطقة^(١).

وشهدت العلاقات بين ج. ع. م والاتحاد السوفيتي في أواخر عام ١٩٥٨ مرحلة من الفتور، وتبادل الاتهامات، فبينما وصف الجانب السوفيتي إجراءات عبد الناصر بالمناهضة للشيوعية، اتهم عبد الناصر الاتحاد السوفيتي بأنه يؤلب الشيوعيين في سوريا ومصر ضد وحدة البلدين خاصة والوحدة العربية عامة^(٢).

واستمرت الحكومة المصرية بسياستها المناهضة للشيوعية. فقد وقف عبد الناصر مع التحرك العسكري المناهض للشيوعيين في مدينة الموصل في ٨ آذار ١٩٥٩ بقيادة العقيد عبد الوهاب الشواف. وفي ٢٨ آذار ١٩٥٩ جرت في ج. ع. م عملية اعتقال واسعة ضد الشيوعيين المصريين^(٣).

ومع ذلك كان كلاً من الجانبين المصري والسوفيتي يحاول الخروج من تلك الأزمة، وكان عبد الناصر محافظاً على اتصالاته غير الرسمية بالسفارة السوفيتية في القاهرة، لأنه كان يعتقد أن تلك الاتصالات تسهل الكثير من الأمور وتعطي له مرونة كبيرة في العمل وإمكانية التراجع عند الضرورة^(٤).

(١) جرجس، المصدر السابق، ص ١٨١، وتشير وثيقة بريطانية إلى أن السياسة السوفيتية آنذاك كانت تدعو إلى تقارب العراق مع إيران بدلاً من البلدان العربية.:-

CAB. 21/5997, Foreign Office Committee paper – Iraqi – Egyptian Relations in 23 November 1959.

(٢) وصف توتر العلاقات المصرية – السوفيتية آنذاك بأنه صراع بين القومية العربية والشيوعية. حديث للدكتور مراد غالب، السفير المصري السابق في موسكو في برنامج (ملفات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ – من عهد الملك فاروق حتى عهد السادات)، تم عرضه على قناة (دريم ٢) الفضائية في يوم الخميس الموافق ٢٤/٣/٢٠٠٥، توقيت العرض الساعة العاشرة مساءً؛ محمد حسنين هيكل، عبد الناصر والعالم، دار النهار للنشر (بيروت، ١٩٧٢)، ص ١٩٥. ؛ لطفي الخولي، مدرسة السادات السياسية واليسار المصري، منشورات العالم العربي، (باريس، د. ت)، ص ١٢٢.

(٣) فتحي عبد الفتاح، شيوخيون وناصريون، منشورات مؤسسة روز اليوسف، (القاهرة، ١٩٧٥)، ص ٣٢.

(٤) ممدوح أنيس فتحي، مصر من الثورة إلى النكسة، مقدمات حرب حزيران – يونيو ١٩٦٧، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط ١، (الإمارات، ٢٠٠٣)، ص ١٦٤.

واستشعر الجاذبان المصري والسوفيتي ضرورة العودة للتعاون ونبذ البرود بينهما، وكان الزعيم السوفيتي نيكيتا خروشوف(*) (١٩٥٣-١٩٦٤)، هو البادئ بالتصريح بأن ((الاتحاد السوفيتي ليس في صراع مع مصر))، في الوقت الذي كان عبد الناصر لا يزال يؤكد فيه على ان الاتحاد السوفيتي قوض بنفسه رصيد الصداقة الذي كونه في القاهرة خلال الفترة (١٩٥٥-١٩٥٨). إلا انه بعد ذلك بعدة أشهر، اعترف عبد الناصر بأن السوفيت لم يحاولوا أبدا استخدام سلاح المعونات الاقتصادية للضغط على ج.ع.م، ثم شهد عام ١٩٦٠ عودة العلاقات بين البلدين إلى مرحلة التفاهم^(١).

وفي تشرين الأول ١٩٦٠ ألتقى عبد الناصر وخروشوف في الجمعية العمومية للأمم المتحدة، وقررا عبر اتفاق مشترك العودة إلى روح التفاهم المتبادل. وفي أيار ١٩٦١ لم تتردد القيادة السوفيتية عند استقبالها وفداً برلمانياً مصرياً برئاسة أنور السادات (١٩٧٠-١٩٨١)، في مهاجمة القومية العربية واعتبارها إيديولوجية تجاوزها الزمن، وتأكيد هذه القيادة أيضاً على ان الشيوعية هي نهاية المطاف، وذلك ما دفع السادات إلى الرد بعنف على القيادة السوفيتية^(٢).

(*) زعيم شيوعي ورجل دولة سوفيتي حكم الاتحاد السوفيتي من ١٩٥٣-١٩٦٤، ولد في مقاطعة كورسك الواقعة على الحدود الفاصلة بين روسيا واورانيا من عائلة يعمل أفرادها في المناجم، انتسب إلى الحزب الشيوعي السوفيتي عام ١٩١٨، وانتخب عضواً في اللجنة المركزية للحزب عام ١٩٣٢، ثم أصبح في عام ١٩٣٧ عضواً في مجلس السوفيت الأعلى، وبعد وفاة ستالين عام ١٩٥٣، وإذناء المحاكمات السياسية استطاع خروشوف الانفراد بالسلطة وقيادة الحزب الشيوعي السوفيتي، وانتهج سياسة انفتاح وتفهم، وتأييد مع بلدان العالم الثالث، وفي عام ١٩٦٤ تمت تنحيته عن جميع مناصبه الحزبية والإدارية، توفي في ١١ تشرين الثاني ١٩٧١ في موسكو. موسوعة روسيا اليوم - شخصيات - متاحة على الرابط:

<http://arabic.RT.com.News-all-info>.

(١) بلغت شدة الهجوم المتبادل بين ناصر وخروشوف إلى حد الشتائم المتبادلة، إلا ان العلاقة بينهما جرى إنقاذها كما يبدو بسبب وجود العدو الغربي المشترك. سعيد أبو الريش، جمال عبد الناصر - آخر العرب، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ٢٠٠٥)، ص٢٦٧.

(٢) دانكوس، المصدر السابق، ص٧٩.

كما أدت وفاة فرج الله الحلو (١٩٠٦ - ١٩٦١) (*) (أحد القيادات الفعلية للحزب الشيوعي اللبناني) في إحدى الأسجون السورية عام ١٩٦١، إلى حدوث شيء من البرود في العلاقات بين ج. ع. م والاتحاد السوفيتي، واتهمت صحيفة برافدا، القيادة السياسية في ج. ع. م، بتدبير حادث القتل^(١).

وعلى العموم فإن علاقة الاتحاد السوفيتي بـ ج. ع. م لم تتأثر كثيراً بذلك الأحداث الصغرى، واستمرت عادية على نحو عام، وحين أصدرت الحكومة المصرية قرارات التأميم في تموز ١٩٦١، التي أدت إلى إشراف الدولة على معظم النشاط الاقتصادي في البلاد، ومن ثم فقدان القطاع الخاص جزءاً كبيراً من وسائل نشاطه وبالتالي من سلطته السياسية^(٢). كانت تلك الإجراءات تلقى استحساناً من قبل العلماء السوفيت، الذين كانوا يعدّونها من مآثر عبد الناصر^(٣).

(*) سياسي لبناني، واحد القيادات الفعلية للحزب الشيوعي السوري اللبناني، ولد عام ١٩٠٦ في قضاء جبيل (غرب لبنان)، نشأ في وسط عائلة لبنانية محدودة الدخل، في عام ١٩٣١ التحق بالمدرسة الانجيلية في مدينة حمص في سوريا، ثم انتقل إلى الكلية الارثوذكسية في دمشق وحصل فيها على الشهادة الثانوية، إلا أنه لم يتابع دراسته الجامعية، وبعد انضمامه للحزب الشيوعي السوري اللبناني، أرسلته قيادة الحزب في ١٩٣٣ إلى موسكو للالتحاق بدورة في أحد المعاهد السياسية العليا، التي كانت تعد فيها الملاكات الحزبية الشيوعية، وبقي في موسكو عاماً كاملاً، انتُخب في عام ١٩٣٧، سكرتيراً للحزب الشيوعي اللبناني، وعندما صدرت جريدة صوت الشعب في ربيع ١٩٣٧، عمل محرراً رئيساً فيها. وفي عام ١٩٤٤ تم انتخابه مجدداً سكرتيراً للحزب، في ٢٥ حزيران ١٩٥٩، اعتقلته أجهزة المباحث في دمشق وقيل أنه توفي جراء التعذيب، للتفاصيل ينظر: كريم مروءة، الشيوعيون الاربعة الكبار في تاريخ لبنان الحديث، فؤاد شمالي - فرج الله الحلو - نقيولا شاوي - جورج حاوي، دار الساقى، (بيروت، ٢٠٠٩)، ص-ص ٤٣-٩٠.

(١) نقلاً عن هاشم بهبهاني، الاتحاد السوفيتي والقومية العربية ١٩١٧-١٩٦٦، ترجمة: عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ط١، (بيروت، ١٩٨٩)، ص ١٩٩.

(٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: ممدود مراد، من كان يحكم مصر، (شهادات وثائقية)، ص ١، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٧٥)، ص ٢٣ وما بعدها.

(٣) يفغيني بريما كوف، الشرق الأوسط - المعلوم والمخفي، ترجمة: علي العرب وعبد السلام شهباز، دار اسكندرون، (دمشق، ٢٠٠٦)، ص ١٥؛ جوكوف وآخرون، العالم الثالث، قضايا وآفاق، ترجمة: دار التقدم، (موسكو، ١٩٧١)، ص ١٩٠؛ فينو غرادوف، التأميم الاشتراكي للصناعة والبنوك، ترجمة: مجيد بكتاش، دار التقدم، (موسكو، د. ت)، ص ٢٤٩. وترى الباحثة الفرنسية هيلين دانكوس أنه على مدى عامين تجاهلت موسكو عملياً الاشتراكية الجديدة ولم تهتم إلا بالحياة السياسية المصرية والتوجهات الخارجية لعبد الناصر، دانكوس، المصدر السابق، ص ٨٦. وعلى أية حاله فإن هناك من يرى أن تلك القرارات لم تات لمصلحة اليسار المصري،

ولم تستمر الوحدة المصرية - السورية طويلاً، إذ انتهت في ٢٨ أيلول ١٩٦١، بسبب وجود عناصر مناوئة لها في الداخل والخارج، وجاء موقف الاتحاد السوفيتي متمثلاً باعترافه الفوري بحكومة الانفصال، وإعلان الجمهورية العربية السورية من جديد في ٢٨ أيلول ١٩٦١، معبراً بذلك عن فتور حماسه لدولة الوحدة^(١).

وعندما تطورت أحداث اليمن بعد انقلاب ٢٦ أيلول ١٩٦٢^(٢). كان للاتحاد السوفيتي موقف مطابق للموقف المصري، في مسألة تأييد ودعم الجمهورية اليمنية الجديدة^(٣). إلا أنه لم يشأ التدخل مباشرة لمساندة الثوار تجنباً للدخول في مواجهة مع الغرب، لذا فقد أثر السوفيت أن يكون تدخلهم بصورة غير مباشرة، ولعبت ج. ع. م دور الوسيط بين الاتحاد السوفيتي وثور اليمن، بحيث كان السوفيت يزودون ج. ع. م بما يحتاجه اليمنيون من أسلحة سوفيتية^(٤).

ولم يعط السوفيت تأييدهم السياسي الصريح للتدخل المصري في اليمن، وان كانت التعقيبات السوفيتية قد تحدثت عنه بما يفيد التأييد الضمني، بيد أن الموقف

بدليل أن عبد الناصر قال لبعض المقربين منه حين إصدار تلك القرارات، في رد على مخاوف البعض من التقارب مع الشيوعية ((إنني أضع بذلك حاجزاً يمنع أي تقدم شيوعي لعشر سنوات)) ينظر: رفعت السعيد، تأملات في الناصرية، ص ٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٧٩)، ص ٤٧.

(١) بشار الجعفري، السياسة الخارجية السورية ١٩٤٦ - ١٩٨٢، ط ١، دار طلاس، (دمشق، ١٩٨٧)، ص ٣٥٦.

(٢) انقلاب مسلح قام به ضباط يمنيون بقيادة عبد الله السلال نجح في الإطاحة بحكم الإمام البدر، وتم الإعلان عن نظام جمهوري جديد كانت له توجهات قومية متعاطفة مع ثورة ١٩٥٢ في مصر، وكانت ج. ع. م، أول دولة عربية اعترفت بالجمهورية اليمنية، كما حظيت تلك الجمهورية باعتراف وتأييد الاتحاد السوفيتي، للتفاصيل ينظر: أحمد الرحومي وآخرون، أسرار ووثائق الثورة اليمنية، دار العودة، (بيروت، ١٩٧٩)، ص ٥٣ وما بعدها.

(٣) كان السوفيت يعتقدون أن الأنظمة الجمهورية أكثر تقدمية من الملكية، لقاء مع أوليج بيريس

(السفير السوفيتي السابق في اليمن)، ضمن برنامج رحلة في الذاكرة، تم عرضه على قناة روسيا اليوم الفضائية، في يوم الجمعة الموافق ٢٠٠٨/١٢/٥، توقيت العرض: الساعة الثامنة والنصف مساءً.

(٤) إباد تر كان إبراهيم يوسف الدليمي، النشاط السوفيتي تجاه شطري اليمن والموقف العربي والدولي منه (١٩٦٢ - ١٩٧٩)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة ديالى، ٢٠٠٦، ص ٤٧.

السوفيتي لم يقف عند حد التأييد الضمني، بل انه قدم مساعدات للثورة اليمينية، تمثلت بتقديم الأسلحة والعتاد والمشورة الفنية^(١).

وعلى الرغم من التحسن النسبي في العلاقات المصرية – السوفيتية إلا ان مسألة التضيق على الشيوعيين واعتقالهم في ج. ع. م، كانت تشكل مصدر قلق للاتحاد السوفيتي، ومع ذلك كان السوفيت يقبلون ذلك على مضض، وفي الظاهر يعدّون ذلك شأنًا داخلياً يبدو ذا أهمية قليلة، إذا ما قورنت بمسألة ابعاد البلدان العربية عن الولايات المتحدة الأمريكية^(٢). وكانوا بذلك يولون السياسة الخارجية المصرية أهمية اكبر من السياسة الداخلية^(٣).

وفي ١٨ حزيران ١٩٦٣ وقعت اتفاقية عسكرية بين الاتحاد السوفيتي و ج. ع. م، وبموجبها، وافق السوفيت على تسليح ج. ع. م بأسلحة دفاعية بالدرجة الأولى، لمنع خطر هجوم إسرائيل. مع هذا فلم تزود ج. ع. م إلا بكمية قليلة من الطائرات الهجومية، والصواريخ التي كان من شأنها ان ترفع من إمكانية مصر الهجومية^(٤). وفي ربيع عام ١٩٦٤، اتخذ عبد الناصر قراراً بالإفراج عن كافة الشيوعيين المعتقلين، وقبل ذلك القرار بارتياح سوفيتي^(٥).

(١) عاطف السيد، عبد الناصر، وأزمة الديمقراطية – سطوة الزعامة وجنون السلطة، (القاهرة، ٢٠٠٢)، ص ١٥٦.

(٢) المفارقة هنا في الموقف السوفيتي هذا تظهر إذا علمنا ان تلك الفترة كانت قد شهدت تحسناً واضحاً في العلاقات المصرية – الأمريكية، وكانت هناك رسائل ودية متبادلة بين القيادتين المصرية والأمريكية وتفاهم في وجهات النظر، ولا شك في ان ذلك التقارب كان مدعاة لقلق السوفيت وشكوكهم. ينظر: مصر وأمريكا- عرض تاريخي لتطور العلاقات المصرية الأمريكية، (اعداد) مركز الدراسات السياسية الإستراتيجية، مؤسسة الأهرام، (القاهرة، ١٩٧٦)، ص-ص ٢٦-٢٧.

(٣) دانكوس، المصدر السابق، ص ٩٧.

(٤) Jon D. Glassman, Arms for the Arabs, The Soviet Union and war in the Middle East, the Johns Hopkins university press (Baltimore and London, 1977) p.36.

(٥) في موسكو وصف ذلك القرار بأهم خطوة للسلطة الثورية في ج. ع. م، وهناك من رأى في هذا الإجراء خطوة تمهيدية كانت تهدف الى تهيئة الأجواء للزيارة المرتقبة لخرشوف. ايغور بيليابين، يفغيني بريما كوف، مصر في عهد عبد الناصر، ط١، ترجمة: عبد الرحمن الخميسي، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٧٥)، ص ٢٢٩، الكسي فاسلييف، مصر والمصريون، ط١ شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، (بيروت، ١٩٩٤)، ص ٣٢١.

ودخلت العلاقات المتنامية بين ج. ع. م والاتحاد السوفيتي مرحلة جديدة بعد الزيارة التي قام بها خروشوف إلى ج. ع. م خلال الفترة (٩-٢٥ أيار ١٩٦٤) لحضور الاحتفالات التي اقيمت بمناسبة إنتهاء المرحلة الأولى، وبداية المرحلة الثانية من بناء مشروع السد العالي وقد استقبل الزعيم السوفيتي بترحاب رسمي وشعبي كبير في ج. ع. م^(١). وقد نوهت القيادة المصرية أثناء الاحتفالات بالتضامن العربي - السوفيتي، وأكدت على ان السد العالي سوف يكون رمزاً لتلك الصداقة، بينما أكدت القيادة السوفيتية على ان المساعدات السوفيتية للدول النامية، خلافاً للغرب تستند على مبادئ المساواة، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لتلك البلدان^(٢).

وتلت زيارة خروشوف زيارة قام بها وفد مصري خلال الفترة ١٥-٢٣ أيلول ١٩٦٤، كان الغرض منها توقيع اتفاقيات خاصة بالمساعدة المالية والفنية^(٣). واستمر تحسن العلاقات بين ج. ع. م والاتحاد السوفيتي على الرغم من إبعاد خروشوف عن السلطة في ١٤ تشرين الأول ١٩٦٤. وفي ١٩ تشرين الأول ١٩٦٤ وصل إلى القاهرة، الكسندر شيلبين (نائب رئيس الوزراء السوفيتي)، وأعلم القيادة المصرية بأن الاتحاد السوفيتي عازم على الوفاء بالتزاماته كافة تجاه ج. ع. م^(٤). وفي ٦ تشرين الثاني ١٩٦٤، وصل وفد مصري إلى موسكو للاطمئنان على موقف القيادة السوفيتية الجديدة من التزامات الاتحاد السوفيتي تجاه ج. ع. م.

(١) د. ع. و - مصر، العلاقات مع الاتحاد السوفيتي - علاقات أوثق (١٩٦٤-١٩٦٧)، م-١٣٠٣/٣.

(٢) أثناء تلك الزيارة منح عبد الناصر، خروشوف أعلى وسام للبلاد، المتمثل بقلادة النيل، وقام خروشوف بالمقابل بمنح كل من عبد الناصر وعبد الحكيم عامر لقب بطل الاتحاد السوفيتي، ووسام لينين، وقد قبلت تلك الخطوة من خروشوف بنوع من الاستياء في موسكو، ربما لكونها كانت قراراً فردياً من قبله، لاسيما وان ذلك الوسام لم يمنح من قبل لزعماء غير شيوعيين باستثناء الرئيس الجزائري احمد بن بلا عام ١٩٦٣. الكسي فاسلليف، روسيا بين الشرقيين الأدنى والأوسط، من الرسولية إلى البراغماتية، ترجمة: المركز العربي للصحافة والذشر (موسكو)، منشورات مكتبة مدبولي، (القاهرة، د. ت)، ص٨٦.

(٣) د. ع. و - مصر، العلاقات مع الاتحاد السوفيتي - علاقات أوثق (١٩٦٤-١٩٦٧)، م-١٣٠٣/٣.

(٤) المصدر نفسه.

وقد أكد الكسي كوسيجين (١٩٠٤-١٩٨٠)^(*) (رئيس الوزراء السوفيتي) ان التغيير الذي حدث في القيادة السوفيتية لن يمس بعلاقات الاتحاد السوفيتي الخارجية وان سياسة التعامل مع العالم العربي وافريقيا من خلال القاهرة، هي سياسة تقررت في المكتب السياسي السوفيتي كخط استراتيجي ولم يكن خروشوف إلا معبر عنها^(١). وخلال تلك الفترة بدأ السوفيت ينظرون إلى التحولات الاقتصادية والاجتماعية في ج.ع. م بمنظار آخر، ووصفت التجربة المصرية المتمثلة بالاستقلال السياسي، واشراف الدولة على الموارد الرئيسية للاقتصاد بأنها طراز جديد للتنمية في المنطقة العربية. ج.ع. م. تقوم بتحول ثوري وديمقراطي، وتسير في طريق التطور (اللاراسمالي) الذي يقود في النهاية إلى الاشتراكية^(٢).

ونتيجة لذلك وبايحاء سوفيتي، قرر الشيوعيون المصريون في نيسان ١٩٦٥، حل جميع تنظيماتهم، والانضمام إلى التنظيم السياسي الوحيد الذي اعتمدته القيادة المصرية آنذاك (الاتحاد الاشتراكي العربي)^(٣).

شهد عام ١٩٦٥ تازم في العلاقات بين ج.ع. م والولايات المتحدة الأمريكية، نتيجة للسياسة الخارجية المصرية المعارضة للنهج الأمريكي، والموقف المصري

(*) زعيم سياسي ورجل دولة سوفيتي، ترأس حكومة الاتحاد السوفيتي خلال الفترة (١٩٦٤-١٩٨٠) ولد في سان بطرسبورغ من اسرة عمالية، والتحق بالجيش السوفيتي، وهو لم يتجاوز الخامسة عشر، عُيِّنَ عام ١٩٣٩ وزيراً للصناعة النسيجية، ثم تنقل بين وزارة المال والصناعات الخفيفة، واثناء ذلك ارتقى سلم المسؤوليات داخل جهاز الحزب الشيوعي السوفيتي الذي كان قد انتمى إليه عام ١٩٢٧، وفي عام ١٩٦٠ عُيِّنَ نائباً أول لرئيس الحكومة وفي عام ١٩٦٤ أصبح رئيساً للوزراء، إذا كان احد أعضاء القيادة الثلاثية التي أطاحت بخروشوف، وقد حافظ على ذلك المنصب حتى تشرين الأول ١٩٨٠، حيث قدم استقالته لأسباب صحية، ثم توفي بعد عدة أسابيع. ينظر: عبد الوهاب ألكيالي، موسوعة السياسة، ط٢، ج٥، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٩٠)، ص-ص ٢٣٤-٢٣٥.

(١) محمد حسنين هيكل، الانفجار ١٩٦٧، ط١، دار الشروق، (القاهرة، ٢٠٠٤)، ص ٨٩.
(٢) الفرد هاليدي، السياسة السوفيتية في قوس الأزمة، ط١، مؤسسة الأبحاث العربية، (بيروت، ١٩٨٢)،

ص-ص ٧٢-٧٣.

(٣) د. ع. و، مصر، العلاقات مع الاتحاد السوفيتي - علاقات أوثق، (١٩٦٤-١٩٦٧) م- ١٣٠٣/٣.

من الجمهورية اليمنية، لذا قررت الولايات المتحدة في ١١ حزيران ١٩٦٥ قطع المعونة الاقتصادية عن ج. ع. م^(١). وعقب ذلك بفترة قصيرة قام الاتحاد السوفيتي بتعويض ج. ع. م القمح الذي كانت تؤمنه الولايات المتحدة لها، وأرسل في حزيران ١٩٦٥ (٣٠٠) ألف طن من القمح، لسد الاحتياجات المحلية المصرية^(٢).

وفي ٢٥ آب ١٩٦٥، قام عبد الناصر بزيارة للاتحاد السوفيتي إذ استقبل استقبالاً حافلاً على المستويين الرسمي والشعبي، وجاء في البيان الذي أذيع عقب المحادثات المصرية - السوفيتية، ان ج. ع. م، عبرت عن تقديرها الكبير للمساعدة الاقتصادية والفنية التي قدمها الاتحاد السوفيتي، بينما أبدى القادة السوفيت ارتياحهم للجهود التي تبذلها ج. ع. م في سبيل إنشاء دولة اشتراكية ديمقراطية^(٣). وفي أثر تلك الزيارة تم في تشرين الثاني ١٩٦٥ تأسيس جمعية الصداقة العربية - السوفيتية في القاهرة^(٤).

ورداً على زيارة عبد الناصر قام كوسيجين بزيارة للقاهرة خلال الفترة (١٠-١٨ أيار ١٩٦٦)، للتعرف على المشروعات التي تجري إقامتها بمساعدة الاتحاد السوفيتي، وشدد أثناء زيارته على استمرار دعم الاتحاد السوفيتي للسياسة المصرية^(٥).

(١) كانت الولايات المتحدة تقدم لـ ج. ع. م معونة اقتصادية قيمتها خمسون مليون دولار لشراء القمح والمواد الغذائية الأخرى، ينظر: مصر وأمريكا، عرض تاريخي، المصدر السابق، ص ٣٧.

(٢) "الخلاف المصري - السوفيتي"، ملف وثائقي، مجلة السياسة الدولية، العدد (٤٥)، السنة الثانية عشرة، تموز، ١٩٧٦، ص ٢٢٨.

(٣) د. ع. و - مصر - العلاقات مع الاتحاد السوفيتي- وعلاقات أوثق (١٩٦٤-١٩٦٧)، م- ١٣٠٣/٣.

(٤) فؤاد المرسى خاطر، العلاقات المصرية - السوفيتية ١٩٥٧-١٩٧٠، دار دلتا للطباعة والنشر،

(طنطا، د. ت)، ص ١١٨.

(٥) د. ع. و - مصر، العلاقات مع الاتحاد السوفيتي، علاقات أوثق (١٩٦٤-١٩٦٧)، م- ١٣٠٣/٣.

وشهدت الفترة ٢٢-٢٧ تشرين الثاني ١٩٦٦، زيارة قام بها عبد الحكيم عامر (١٩١٩-١٩٦٧) (*)، (القائد العام للقوات المسلحة المصرية) إلى موسكو على رأس وفد اقتصادي وعسكري مصري (١).

ويبدو ان تطور العلاقات المصرية - السوفيتية خلال الفترة (١٩٤٣-١٩٦٧) كان اضطرارياً في بعض الاحيان أكثر من كونه اختيارياً، وان المصلحة المشتركة لكلا الجانبين كانت العامل الأساس وراء نمو تلك العلاقات وتحسنها، ومتى ما ظهر تضارب في المصالح ظهرت الخلافات، ويلاحظ ان العلاقات الاقتصادية بين البلدين لم تتأثر بتدهور العلاقات السياسية وبقيت تسير ضمن مسارها العام. وخلال الفترة التي سبقت حرب ١٩٦٧ كانت ج. ع. م بحاجة لدعم الاتحاد السوفيتي أكثر من قبل، وبالذات إلى الدعم العسكري السوفيتي، والحاجة التي اقتضتها الضرورة للأسلحة السوفيتية التي باتت تمثل المصدر الوحيد لتسليح الجيش المصري آنذاك.

(*) عسكري مصري تخرج في الكلية العسكرية عام ١٩٣٨، عضو اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار ومجلس قيادة الثورة، أصبح قائداً للقوات المسلحة برتبة لواء عام ١٩٥٣، ووزيراً للحربية ونائباً للقائد الأعلى برتبة مشير، عقب قيام الجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٨، تولى منصب نائب رئيس الجمهورية، استقال من مهامه في ٩ حزيران ١٩٦٧، قبل انه مات منتحراً في أيلول من العام نفسه. بعد ان اتهم بالتآمر للقيام بانقلاب عسكري والاستيلاء على السلطة. للتفاصيل ينظر: رشاد كامل، حياة المشير محمد عبد الحكيم عامر، ط١، دار الخيال، (القاهرة، ٢٠٠٢)، ص ٣٣ وما بعدها.

(١) عبد الناصر وما بعد، المصدر السابق، ص ٢٥٥.

الفصل الأول

العلاقات المصرية – السوفيتية حزيران ١٩٦٧ – شباط ١٩٧١

المبحث الأول

حرب حزيران ١٩٦٧ وأثرها في العلاقات المصرية – السوفيتية.

– مقدمات حرب حزيران ١٩٦٧ :

شهدت الفترة الواقعة بين شهري أيار ١٩٦٦ – حزيران ١٩٦٧، تأزماً كبيراً في العلاقات بين العرب و(إسرائيل)، إذ لم يمر أسبوع دون انتشار الأخبار في ج.ع.م. وسوريا، عن وجود حشد عسكري (إسرائيلي) على الحدود السورية، مع ما يمثله ذلك من تهديد خطير^(١). وقد دفع ذلك التهديد، الدول العربية، إلى عقد إتفاقيات دفاعية فيما بينها، ففي ٤ تشرين الثاني ١٩٦٦ عقد ميثاق دفاع مشترك بين ج.ع.م. وسوريا^(٢).

ومع مطلع عام ١٩٦٧ بدأت بوادر حرب واسعة النطاق بين العرب و(إسرائيل)، تلوح في الأفق، وبدأ يتسع نطاقها خلال شهر آذار ١٩٦٧، عندما بدأت (إسرائيل) تكثف هجماتها برأً وجواً، لملاحقة الفدائيين الفلسطينيين، الذين يأتون من داخل الأراضي السورية^(٣).

(١) أديب صالح عبد اللهبي، العلاقات السورية – السوفيتية (١٩٤٦-١٩٦٧)، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٤، ص ٩٥.

(٢) د. ع. و، مصر – العلاقات المصرية – السوفيتية – حرب حزيران ونتائجها، (١٩٦٧-١٩٧٠).

م-١٣٠٢/٧. ويشير أحد المصادر إلى أن صلات سوريا بالاتحاد السوفيتي، تعتبر أحدث منها بالنسبة لج.ع.م، وأن تلك الصلات أخذت بعد شباط ١٩٦٦ أشكالاً مختلفة، جعلت سوريا موضع اهتمام سوفيتي أكثر من أي قطر عربي آخر، فقد نشأ احتكاك ثقافي، لم يكن له نظير في ج.ع.م، كما اختار السوفيت سورياً مركزاً لتعليم أبنائها اللغة العربية، كما اتسع في تلك الفترة نطاق المساعدات الاقتصادية السوفيتية لسوريا، وأن ذلك الاهتمام السوفيتي المتزايد بسوريا، هو الذي دفع الحكومة السوفيتية إلى عرض وساطتها لعقد ميثاق دفاع مشترك بين ج.ع.م. وسوريا. صلاح العقاد، مأساة يونيو ١٩٦٧، حقائق وتحليل، ط١، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٧٥)، صص ٢٠٥-٢٠٦.

(٣) أبو الريش، المصدر السابق، ص ٣٣٠.

تزامنت تلك التطورات على الجبهة السورية - (الإسرائيلية) مع زيارة اندريه اندريافتش غروميكو^(*) (١٩٥٧-١٩٨٥) (وزير خارجية الاتحاد السوفيتي) إلى القاهرة، خلال الفترة ٢٩ آذار - ١ نيسان ١٩٦٧، التي حاول فيها اقناع الحكومة المصرية بسحب قواتها من اليمن، وكان القادة السوفيت، قد وضعوا إستراتيجية تفصيلية لتحقيق ذلك الانسحاب، بشكل يضمن لـ ج. ع. م كرامتها في تلك العملية، إلا أنهم لم يتوصلوا إلى نتيجة مع الحكومة المصرية^(١).

وفي ٧ نيسان ١٩٦٧ تأزم الموقف بين سوريا و (إسرائيل)، عندما قامت الدبابات السورية بإطلاق نيرانها على أحد الأهداف (الإسرائيلية)، وقد ردت (إسرائيل) بغارة جوية على دمشق، استخدمت فيها طائرات الميراج الفرنسية، واشتبكت مع المقاتلات السورية في قتال جوي واسع^(٢).

وفي ١٨ نيسان ١٩٦٧، التقى مراد غالب^(*) (١٩٦١-١٩٧٢) (السفير المصري في الاتحاد السوفيتي) بسيمينوف (نائب وزير الخارجية السوفيتي)، وقد تضمن ذلك

(*) سياسي سوفيتي ولد عام ١٩٠٩ في بيلوروسيا، دخل السلوك السياسي عام ١٩٣٩، وفي آب ١٩٤٣، أصبح سفيراً للاتحاد السوفيتي في الولايات المتحدة، ووزير خارجية الاتحاد السوفيتي (١٩٥٧-١٩٨٥)، رئيس مجلس السوفيت الأعلى (١٩٨٥-١٩٨٨).

Who's who in the Soviet Union, Edited by Borys Lewytyzi, (New York, 1984) p.116.
(١) تناولت المباحثات المصرية - السوفيتية، مسألة توثيق التعاون بين الاتحاد الاشتراكي العربي والحزب الشيوعي السوفيتي، وتعهد الاتحاد السوفيتي بتزويد مصر بمعونات اقتصادية حتى نهاية عام ١٩٦٧، كما دفع الاتحاد السوفيتي ١٤٥ مليون روبل لـ ج. ع. م، جزءاً من القرض الذي وعدت القيادة السوفيتية السابقة بتقديمه للحكومة المصرية، وتعهد غروميكو بتقديم ٣٠٠ مليون روبل أخرى للمشروعات الإضافية الخاصة بتخطيط الاقتصاد المصري. كما تناولت المباحثات مجموعة من المسائل الأخرى، مثل الموقف في الشرق الأوسط ومشكلة فيتنام. كرستوف فون ايمهوف، مبارزة في البحر المتوسط، موسكو تضع يدها على الشرقيين الأدنى والأوسط، وزارة الأعلام المصرية، الهيئة العامة للاستعلامات، سلسلة كتب مترجمة تسلسل (٧٠٧)، (القاهرة، ١٩٦٩)، ص ١١٨؛ صحيفة الأهرام العدد ٢٩٣٣١، ١٩٦٧/٤/١.

(٢) إسماعيل صبري مقلد، الصراع الأمريكي السوفيتي حول الشرق الأوسط - الابعاد الإقليمية والدولية، منشورات ذات السلاسل، (الكويت، ١٩٨٦)، ص ٢٦٨.

(*) دبلوماسي ورجل دولة مصري، ولد في القاهرة، بدأ حياته طبيباً، ثم توجه للعمل الدبلوماسي، ليصبح مختصاً في الشؤون السوفيتية، عُين عام ١٩٥٦، سكرتيراً ثانياً في السفارة المصرية في الاتحاد السوفيتي، وفي عام ١٩٥٩، تم تعيينه نائباً لوزير الدولة للشؤون الخارجية، في عام ١٩٦١ عُين سفيراً لـ ج. ع. م في الاتحاد السوفيتي، ثم وزيراً للخارجية المصرية عام ١٩٧٢، ثم سفيراً لـ ج. ع. م في يوغسلافيا ١٩٧٤ إلى حين استقالته في كانون الأول ١٩٧٧، توفي يوم

اللقاء رجاءً سوفيتياً بتأييد ج. ع. م لسوريا إزاء الاستقرايات (الإسرائيلية). وفي يوم ٢١ نيسان حصل لقاء آخر بين غالب و سيمينوف ، تم النقاش فيه حول بعض الأمور الداخلية وقال سيمينوف ((يظهر ان هناك عملية إلقاء قبض على بعض الشيوعيين في ج. ع. م، ونحن لا نريد أن نتدخل، لكننا نخشى من محاولات الغرب، لا ستغلال اضطهاد الشيوعيين في مصر كمادة للدعاية ضدنا عالمياً))^(١).

وفي ١٣ أيار ١٩٦٧، وأثناء زيارة قام بها وفد يمثل مجلس الأمة المصري برئاسة أنور السادات إلى الاتحاد السوفيتي^(٢). أبلغت القيادة السوفيتية أعضاء الوفد المصري، بأن الهدف من وراء الحشود (الإسرائيلية) على الجبهة السورية هو التمهيد لمهاجمة سوريا وغزوها^(٣).

وفي نفس اليوم قام مندوب المخابرات السوفيتية، الذي كان يعرف باسم (سيرجي)، وكان يعمل مستشاراً سوفيتياً في القاهرة، بطلب مقابلة عاجلة مع صلاح نصر، (مدير المخابرات المصرية العامة)، لينقل إليه رسالة من موسكو، تفيد بأن هناك حشوداً (إسرائيلية)، تتمثل بأحد عشر لواء مجتمعة أمام الجبهة السورية، وتزامن ذلك مع ورود تقرير من السفير السوفيتي في القاهرة إلى وزارة الخارجية المصرية، يؤكد فيه أيضاً ورود معلومات عن حشود (إسرائيلية) على الحدود الشمالية مع سوريا، تهدف إلى قيام (إسرائيل) بهجوم مفاجئ ضدها خلال فترة تتراوح من ٤-٥ أيام^(٤).

يشير ليونيد ميديدكو (ضابط الاستخبارات العسكرية السوفيتية السابق)، إلى ان المخابرات السوفيتية كانت قد أبلغت الحكومة السوفيتية، بتفاصيل حول نية

الثلاثاء الموافق ١٨/١٢/٢٠٠٧. عبد الجليل النعيمي " مراد غالب رائد دبلوماسيتين رسمية وشعبية" صحيفة الوقت (البحرين) العدد ٦٧٢، ٢٤/١٢/٢٠٠٧.
(١) هيكل، الانفجار ١٩٦٧، ص ٤٩٥.
(٢) للإطلاع على تفاصيل تلك الزيارة ينظر: صحيفة الأخبار (القاهرة) العدد ٤٦٤٢، ١٦/٥/١٩٦٧.

(3) Mohamad, H. Heikal, Sphinx and Commissar, the Rise and fall of Soviet influence in the Middle East, Ollins, (London, 1978), p.174.

(٤) فتحي، المصدر السابق، ص ٣٢٠؛ وجيه أبو ذكري، مذبح الأبرياء في ٥ يونيه، ط٣، المكتب المصري الحديث، (القاهرة، ١٩٨٨)، ص ١٣٨.

(إسرائيل) القيام بحرب تهدف إلى الإطاحة بالنظام المصري، لكن الحكومة السوفيتية لم تهتم بتلك المعلومات ولم تأخذها مأخذ الجد^(١).

وربما كان السوفيت يريدون من وراء ذلك، أن تقوم الحكومة المصرية ببعض الإجراءات العسكرية المحدودة في سيناء، كمناوره هدفها إفهام (إسرائيل) باستعداد مصر للتضامن مع سوريا عسكرياً^(٢). وربما كانت هناك خديعة (إسرائيلية) لجس نبض القيادة المصرية في وقت كان المستهدف الأول هو ج. ع. م.

إلا إن تحذيرات السوفيت لـ ج. ع. م لم تأت بنتيجة، إذ تمكنت (إسرائيل) من استدراج القيادة المصرية إلى الحرب. ففي ١٥ أيار ١٩٦٧، اصدر المشير عبد الحكيم عامر قراراً بإعلان حالة الطوارئ، تضامناً مع سوريا، ووفقاً لميثاق الدفاع المشترك بينهما^(٣).

ويظهر ان تقييم عبد الناصر، لردود الفعل المحتملة على قراره بإعلان حالة الطوارئ، جاء في ضوء ما تم من اتصالات بين المسؤولين الأمريكيين والسوفيت إبان الأزمة، والاتفاق على أن يمارس كل منهما الضغط على حليفه في المنطقة، لمذعه من اللجوء إلى هجوم مسلح، وعلى ذلك فقد تصور الرئيس المصري ان الولايات المتحدة، ستحول دون لجوء (إسرائيل) إلى استخدام القوة، فحاول إستغلال الفرصة لتحقيق مكسب سياسي، دون التعرض لمخاطر الحرب^(٤).

وبعد اقتناع الحكومة المصرية بتصميم (إسرائيل) على مهاجمة سوريا، طلبت في ١٦ أيار ١٩٦٧ من سيشو يوثانت (١٩٠٩-١٩٧٤) الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة، أن تقوم الأخيرة بسحب قوات الطوارئ التابعة لها. وفي ١٨ أيار ١٩٦٧، أعلنت الأمم

(١) لقاء مع ليونيد ميديدكو (ضابط الاستخبارات العسكرية السوفيتية السابق)، ضمن برنامج رحلة في الذاكرة، تم عرضه على قناة روسيا اليوم، في يوم الجمعة الموافق ٢٠٠٩/٦/٢٦، توقيت العرض: الساعة الثامنة والنصف مساءً.

(٢) بثينة عبد الرحمن التكريتي، جمال عبد الناصر، نشأة وتطور الفكر الناصري، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ٢٠٠٠)، ص ٢٩٥.

(٣) أمين هويدي، أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧، وعلى حرب الاستنزاف، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٧٥)، ص ٤٤.

(٤) ممدوح محمود مصطفى منصور، الصراع الأمريكي السوفيتي في الشرق الأوسط، مكتبة دبولي،

(القاهرة، ١٩٩٦)، ص ٣٣٥.

المتحدة ان جميع القوات التابعة لها سوف تسحب، وبالفعل غادرت قوات الطوارئ الدولية سيناء في ١٩ أيار ١٩٦٧. وحلت محلها قوات مصرية^(١).

وفي ٢٢ أيار ١٩٦٧ أصدرت ج. ع. م قراراً بعدم السماح بمرور السفن (الإسرائيلية)، والسفن التابعة لدول أخرى تحمل مواد إستراتيجية إلى (إسرائيل) - بما في ذلك ناقلات البترول- في خليج العقبة^(٢).

وفي ٢٣ أيار حذر الاتحاد السوفيتي الولايات المتحدة من القيام بأي استفزاز

ج. ع. م وأكد تأييده لخطوة الحكومة المصرية بطلب سحب قوات الطوارئ الدولية، لكنه تجاهل أي إشارة إلى قرار الحكومة المصرية بفرض الحصار على خليج العقبة^(٣).

ويبدو إن السوفيت رحبوا بخطوة إرسال الحشود إلى سيناء وربما أيضاً بسحب قوات الطوارئ الدولية، فإذا تراجعت (إسرائيل) بعد تلك الخطوات، التي تزامنت مع رسائل تحذيرية عديدة وجهتها إليها الحكومة السوفيتية فأن موسكو تستطيع ان تتفاخر بأنها قد ردت (إسرائيل) ومنعتها من القيام بعدوان على سوريا دون ان تتكبد أي خسائر، أما رد الفعل السوفيتي إزاء قرار إغلاق خليج العقبة فقد كان غامضاً، وتشير بعض الشواهد إلى عدم الرضا السوفيتي، فقد تأخرت الصحف السوفيتية عن نشر

(١) د. ع. و، مصر، العلاقات مع الاتحاد السوفيتي من حرب حزيران ١٩٦٧ إلى وفاة عبد الناصر،

م-١٣٠٣/٤؛ طه المجذوب، هزيمة يونيو، حقائق وأسرار من النكسة حتى حرب الاستنزاف، دار الهلال، (القاهرة، ١٩٨٩)، ص-ص ٧٣-٧٤.

(٢) أمين هويدي، ٥٠ عام من العواصف، ما رأيته فُلتته، ط٢، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٤)، ص ١٩٦.

(٣) عمر الخطيب، مصر والحرب مع إسرائيل، (١٩٥٢-١٩٧٣)، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧٧)، ص ٤٨، ان الحكومة المصرية لم تسدّش الاتحاد السوفيتي قبل اتخاذها قرار إغلاق خليج العقبة بوجه الملاحة (الإسرائيلية)، وان السوفيت كانوا قلقين من تلك الخطوة، وكانوا قد حذروا عبد الناصر من القيام بمثل تلك المبادرة، التي وصفوها بالخطيرة، وأوضحوا له بان عليه ألا يتوقع تدخلاً سوفيتياً مباشراً في الصراع العربي - (الإسرائيلي)؛ جرجس، المصدر السابق، ص ٢٨٧.

الخبر، ثم أعلنته بدون تعليق، واعترف القادة السوفيت في أحاديثهم الخاصة بأن القرار كان مفاجأة لهم^(١).

كما اعتقد السوفيت بأن تلك الخطوة ستشكل تصعيداً لازمة بشكل يتجاوز الحدود التي يريدونها لها، ومبرراً لـ (إسرائيل) للقيام بالعدوان. وفي ٢٤ أيار ١٩٦٧ أصدر الاتحاد السوفيتي بياناً رسمياً حذر فيه ج. ع. م و (إسرائيل) من استخدام القوة، وكان ذلك البيان جزءاً من الخيارات السوفيتية أتي استخدمت لتهدئة الحالة ومنع الاتجاه نحو الحرب^(٢).

وفي تلك الأثناء مارس الزعماء السوفيت ضغطاً على حلفائهم العرب بغية دفعهم للتراجع عن إصرارهم على المواجهة العسكرية مع (إسرائيل)، وأوضح السفير السوفيتي في القاهرة للمسؤولين المصريين إن حكومته تعارض أي ضربة عسكرية استباقية ضد (إسرائيل)^(٣).

وفي ٢٥ أيار ١٩٦٧ سافر شمس بدران^(*) (وزير الحربية المصري)، في مهمة عاجلة إلى موسكو لمدة أربعة أيام، حيث تم هناك لقاء بين بدران والحكومة

(١) نقلاً عن: العقاد، المصدر السابق، ص ٢٤٩؛ يغال ألون، إنشاء وتكوين الجيش الإسرائيلي، ترجمة: عثمان سعيد، دار العودة، (بيروت، ١٩٧١)، ص ١٩٥

(٢) الخطيب، المصدر السابق، ص ٤٨؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى، الولايات المتحدة والمشرق العربي، سلسلة عالم المعرفة، تسلسل (٤)، (الكويت، ١٩٧٨)، ص ١٧٥.

(٣) مقلد، المصدر السابق، ص ٢٧٤. بينما يشير مصدر سوفيتي إلى أن السفارة السوفيتية في مصر، سربت للقيادة المصرية معلومات خاطئة، قام بنشرها (تشوفاخين) (السفير السوفيتي في إسرائيل)، مفادها أن (إسرائيل) لا يمكنها الدفاع عن نفسها عند تعرضها لأي هجوم عربي، وذلك بسبب تخلفها الاقتصادي وهبوط روحها المعنوية. ايمهوف، المصدر السابق، ص ١٣٠، ثم تعززت لدى القيادة المصرية نظرة إلى (إسرائيل) على أنها تابعة للولايات المتحدة فيما يتعلق بقدرتها العسكرية والسياسية على العمل المستقل أو المزدرد، وأن ذلك الاعتقاد شجع القيادة المصرية على إمكانية وقوف مصر بوجه (إسرائيل) في حالة وجود ظروف دولية مناسبة. مصر في التقارير الدولية، (إشراف) علي الدين هلال، (إعداد)، معتز سلامة وآخرون، مركز البحوث والدراسات السياسية، (القاهرة، ٢٠٠٧)، ص ١٠٦.

(*) عسكري مصري، مواليد ١٩٢٩ تخرج عام ١٩٤٨ في الكلية الحربية المصرية، شارك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨، ساهم في ثورة ٢٣ يوليو - تموز ١٩٥٢، أصبح فيما بعد مديراً لمكتب المشير عبد الحكيم عامر، ثم وزيراً للحربية عام ١٩٦٦، حوكم بعد الهزيمة العسكرية عام ١٩٦٧ بتهمة محاولة الانقلاب على النظام المصري. للتفاصيل ينظر: حمادة حسني، شمس بدران - الرجل الذي حكم مصر ٤٨ ساعة. منشورات مكتبة بيروت، (القاهرة، ٢٠٠٨)، ص ١٥ وما بعدها.

السوفيتية، ويبدو ان الغرض من تلك الزيارة يتمثل في حث الجانب السوفيتي على دعم ج. ع. م، عسكرياً وتأييدها سياسياً في حالة حدوث صراع عربي - (إسرائيلي) جديد^(١).

وقد كان الرد السوفيتي حاسماً وواضحاً، فقد رفض السوفيت ان تبدأ ج. ع. م الحرب، وأكدوا على ضرورة حل المسألة بشكل سلمي، لأن الولايات المتحدة لن تسمح للعرب بإحراز نصر عسكري، وفي حالة لجوء العرب إلى الاتحاد السوفيتي، فإن الأخير لن يكون طرفاً في الحرب^(٢).

وفي ٢٦ أيار وصلت برقية سرية من مراد غالب، موجهة إلى الحكومة المصرية توضح موقف القيادة العسكرية السوفيتية الذي أكد على ان ج. ع. م، قد حققت النصر في المعركة السياسية، ولذا فهي ليست بحاجة للقيام بعمليات عسكرية، ومن ثم فهم يرون ضرورة عدم تصعيد الموقف، وقد قامت الحكومة المصرية نتيجة لذلك بالاتصال بشمس بدران الموجود في موسكو، للتأكد من الموقف السوفيتي^(٣).

وفي فجر ٢٧ أيار ١٩٦٧ أيقظ ديميتري بوجي دايفيف، السفير السوفيتي في القاهرة (١٩٥٦-١٩٦٧)، الرئيس المصري جمال عبد الناصر من نومه، لإبلاغه برسالة عاجلة من القادة السوفيت، يطلبون منه فيها أن لا تكون ج. ع. م هي البادئة بإطلاق النار، وربما يكون ذلك الإجراء، مبنياً على إشارة أمريكية للاتحاد السوفيتي، مفادها بأن ج. ع. م، ستقوم بالهجوم على (إسرائيل)^(٤).

وفي اليوم نفسه كان اللقاء الثاني بين شمس بدران وكوسيجين وتمت مناقشة أبعاد الأزمة، وأكد السوفيت التزامهم بتنفيذ عقود التسليح مع ج. ع. م، كما أكدوا استجابتهم لطلبات الأسلحة الجديدة التي تقدمت بها الحكومة المصرية، مع تأكيدهم

(١) للاطلاع على تفاصيل المباحثات ينظر: هويدي، ٥٠ عاماً من العواصف، المصدر السابق، الملحق الوثائقي، الوثيقة رقم (٢)، ص-ص ٤٠٨-٤٢٤.

(٢) لقاء مع بوغوس أكبوف (من أبرز الدبلوماسيين السوفيت في مصر ١٩٦٠-١٩٧٧)، ضمن برنامج رحلة في الذاكرة، تم عرضه على قناة روسيا اليوم، يوم الجمعة الموافق ٢٠٠٩/٧/١٧، توقيت العرض: الساعة الثامنة والنصف مساءً.

(٣) مراد غالب، مع عبد الناصر والسادات، سنوات الانتصار وأيام المحن ط١، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠١)، ص ١٢١.

(4) Fred Webling, Irresolute princes, Kremlin Decision Making in the Middle East Crises, 1967-1973, Macmillan press LTD, (London, 1997) p.57.

على ضرورة الأخذ بالاعتبار، ان شحن أي أسلحة سوفيتية لمصر سيعني قيام الحرب^(١).

كان من واجب السوفيت، في تلك الظروف، وهم يطلبون من الحكومة المصرية الالتزام بعدم البدء بإطلاق النار، أن يحصلوا على تعهد واضح ومحدد من الولايات المتحدة الأمريكية بأن (إسرائيل) لن تقوم بالبدء بالعدوان، وأن تضمن تنفيذ ذلك كدولة عظمى، وبذلك لا يكون دورهم مقتصرأ على نقل رسالة أمريكية إلى ج.ع. م بأسلوب مهذب^(٢).

وعند مغادرة موسكو شعر بدران من حديث سيرجي، ج، غريشكو^(*) (وزير الدفاع السوفيتي) معه، عند توديعه في المطار حين قال له (نحن معكم) ، بأن ذلك دليل على ان الاتحاد السوفيتي سوف يتدخل سياسياً وعسكرياً إلى جانب العرب في حالة حدوث حرب مع (إسرائيل)، كما استشف من حديث غريشكو أيضاً بأن ذلك التدخل سيكون مباشراً^(٣).

(١) هويدي، ٥٠ عاماً من العواصف، الملحق الوثائقي، وثيقة رقم (٣) محضر الاجتماع الثاني بين السيد شمس بدران (وزير الحربية)، ورئيس وزراء الاتحاد السوفيتي في ١٩٦٧/٥/٢٧، ص-ص ٤٢٦-٤٣٥.

(٢) محمود رياض، مذكرات محمود رياض (١٩٤٨-١٩٧٨) البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط، ج ١، ط ٢، دار المستقبل العربي، (القاهرة، ١٩٨٥)، ص ٨١.

(*) عسكري سوفيتي من مواليد ١٩١٠، تخرج في الكلية البحرية عام ١٩٣١، وفي عام ١٩٤١، وأثناء الحرب العالمية الثانية، قاد وحدات بحرية متعددة في الأسطول السوفيتي المتواجد في البحر الأسود، وفي عام ١٩٥٦، شغل منصب قائد البحرية السوفيتية، حصل على عدة أوسمة وجوائز منها ميدالية بطل الاتحاد السوفيتي، وجائزة الدولة من الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٠.

Who's Who in the Soviet Union, Op. Cit., p.112.

(٣) كان غريشكو يقصد من عبارة (نحن معكم)، تقديم الدعم المعنوي والمساندة السياسية إلا ان تلك العبارة. فُسرت من قبل الجانب المصري، على أنها إحياء بالدعم والمساندة العسكرية المباشرة في حالة حدوث حرب. محمد فوزي، حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧-١٩٧٠، ج ١، ط ٢، دار الوحدة، (بيروت، ١٩٨٣)، ص ٩٥؛ اهرن برغمان، جيهان الطهري، إسرائيل والعرب، حرب الخمسين عاماً، ترجمة: سالم سليمان العيسى، ط ٢، دار الأوانل (دمشق، ٢٠٠٤)، ص ٩٤.

ومن المرجح ان بدران تقادى ان يبلغ عبد الناصر بنصيحة القادة السوفيت له بالاحذر، وبعبكس ذلك فقد نقل إليه تأييدهم التام^(١). وهنا تجسدت مشكلة الخوف والمجاملة في التعامل مع الرئيس حتى في القضايا المصيرية وهي مشكلة من مشاكل السياسة العربية.

ومع موجة الحماس التي رافقت الفهم الخاطئ لشكل التأييد السوفيتي للدول العربية، بدأت مظاهر التصعيد واضحة في الموقف العربي، وفي ٣١ أيار ١٩٦٧، أبرمت اتفاقية دفاع مشترك بين ج. ع. م والأردن، لغرض إحكام الحصار على (إسرائيل)، وذلك ما دفع الجانب (الإسرائيلي) إلى تشكيل وزارة حرب في ١ حزيران ١٩٦٧^(٢).

وبعد تحرك الوضع كله باتجاه التصعيد، كان السوفيت يسعون جاهدين للحيلولة دون نشوب حرب عربية - (إسرائيلية) جديدة، وذلك لسببين جوهريين: أولهما يعود إلى معرفتهم أكثر من أي طرف دولي آخر، بعدم امتلاك الجانب العربي للأسلحة، التي تجعله قادراً على إحراز الانتصار على (إسرائيل) في تلك الحرب، وثانيهما، هو ان الولايات المتحدة في تصورهم كانت مستعدة لأن تدخل بدور عسكري مباشر إلى جانب (إسرائيل) إذا تطورت الحرب لغير صالحها. إلا إن محاولات السوفيت في تهدئة الأوضاع لم تفلح، وربما يعود ذلك إلى المواقف المتناقضة للسوفيت أنفسهم منذ بداية الأزمة، فهم في موقفهم المعلن دافعوا بقوة عن الحق العربي في ذلك الصراع، وأظهروا تجاوبهم الكامل معه، بينما تمثل موقفهم السري من الصراع بالضغط والإلحاح باتجاه منع التصعيد لمنع قيام الحرب، وما سوف تحمله لهم معها من مخاطر وإحراجات، ونتيجة لذلك كان لا بد أن تخرج الأمور عن سيطرتهم، ليفرض الموقف نفسه عليهم^(٣).

(١) مصطفى كامل السيد، "ملاحظات حول طبيعة السلطة في الدولة الناصرية" مجلة دراسات عربية، (بيروت)، العدد (١٠)، السنة السابعة عشر، آب ١٩٨١، ص ٩٦.

(٢) فوزي المصدر السابق، ج ١، ص ٩٧؛ ديان يعترف، (إعداد) شوقي إبراهيم، دار التعاون للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٧٧)، ص ١٨٧؛ جمال علي زهران، توازن القوى بين العرب وإسرائيل بين حربي ١٩٦٧-١٩٧٣، ط ١، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٨٨)، ص ١٨٧.

(3) Glassman, Op. Cit., p.44.

يتضح من ذلك بأن الاتحاد السوفيتي كان يعلم جيداً بمسألة التفوق العسكري (الإسرائيلي)، وضعف القوات المصرية، التي كان الجزء الرئيس منها في اليمن، وذلك كله يعني، ان السوفيت لم يكونوا بحاجة إلى جهد لكي يصلوا إلى نتيجة واضحة، مفادها ان قيام (إسرائيل) بالضربة الأولى، بعد التزام ج. ع. م بعدم البدء بالحرب فيه خطورة واضحة على الجانب العربي، لذا كان يجب على السوفيت أخذ الضمانات الكافية من الولايات المتحدة بأن لا تكون (إسرائيل) هي البائدة بالحرب.

– اندلاع حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ :

بدأت الحرب صباح يوم الاثنين ٥ حزيران ١٩٦٧، عندما شنت القوات (الإسرائيلية) غارة جوية أسهمت فيها (٤٩٢) طائرة، غارت في ثلاث طلعات وتمكنت من توجيه ضربة بالغة التدمير للقوات الجوية المصرية، وهي مكشوفة في مدارجها، دون غطاء جوي، وكُرّس سلاح الطيران (الإسرائيلي) جهده لمساعدة القوات المدرعة (الإسرائيلية)، لتوجيه ضربات شديدة التدمير لبقية القوات المسلحة المصرية^(١). وانتهت في ١٠ حزيران ١٩٦٧ باحتلال (إسرائيل) للضفة الغربية وقطاع غزة وصحراء سيناء ومرتفعات الجولان^(٢).

– الموقف السوفيتي من حرب حزيران ١٩٦٧ وردود الفعل المصرية :

من خلال تحليل موقف الاتحاد السوفيتي خلال الفترة التي سبقت الحرب يتضح ان السوفيت كانوا يققون موقف المؤيد للعرب في مواجعتهم للسياسة التوسعية (الإسرائيلية). وتمثل ذلك الموقف في الدعم السياسي والعسكري السوفيتي للدول العربية دون التدخل العسكري المباشر إلى جانب العرب، الذي كان فضلاً عن صعوبة تحقيقه –حتى لو رغب السوفيت بذلك بسبب عدم وجود وضع ملائم يمكنهم من القيام بذلك التدخل- فإنه سيؤدي إلى صدام مسلح حتمي مع الولايات المتحدة^(٣).

(١) للتفاصيل ينظر: جان ديزيك، تادوزو الشوفسكي، الأسرار والخفايا السياسية لحرب الأيام الستة، ط١، ترجمة: منصور أبو الحسن، منشورات دار علاء الدين، (دمشق، ٢٠٠٢)، ص-٥٠-٥١؛ فطين أحمد فريد علي، "الضربة الجوية الإسرائيلية في الخامس من يونيو ١٩٦٧"، المجلة التاريخية المصرية، (القاهرة)، المجلد (٤٤)، العدد (٢)، تشرين الثاني ٢٠٠٦، ص-ص١٢٥-١٦١.

(٢) د. ع. و، مصر، العلاقات المصرية – السورية، حرب حزيران ونتائجها. (١٩٦٧-١٩٧٠)، م-١٣٠٢/٧؛ ميشيل ب. اورين، ستة أيام من الحرب، حزيران ١٩٦٧، وصناعة شرق أوسط جديد، ترجمة: د. إبراهيم الشهابي، ط١، منشورات مكتبة العبيكان، (الرياض، ٢٠٠٥)، ص٣٢٣.

(٣) ليونارد بيندر "التحول في نظام التبعية في الشرق الأوسط بعد عام ١٩٦٧"، في: مجموعة مؤلفين، الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط، (تحرير) ميشيل كونفيديو وشمعون شامير، (د. م، ١٩٧٧)، ص٣٠٨.

وقد أثّرت مسألة افتعال السوفيت للحرب وتوريط العرب فيها، بواسطة معلومات مضللة قدمها الاتحاد السوفيتي للعرب، مفادها ان (إسرائيل) تستعد لشن حرب على سوريا ويرى أصحاب ذلك الرأي بأن السوفيت افتعلوا ذلك للحفاظ على حدة التوتر العربي - (الإسرائيلي) الأمر الذي يضمن لهم الحفاظ على نفوذهم في المنطقة، من خلال اعتماد العرب شبه الكلي عليهم في مسألة التسليح والدعم السياسي، كما ان ذلك سيمثل للسوفيت نوعاً من الضغط على الولايات المتحدة، في وقت كانت فيه حرب فيتنام (١٩٦٥-١٩٧٥)، تشغل الحيز الأكبر من اهتمام الحكومة الأمريكية^(١).

وهناك من يرى ان القيادة السوفيتية كانت تتصور ان الضربة (الإسرائيلية) المحتملة ستكون محدودة، وإنها سوف تحجم طموحات جمال عبد الناصر وتجعله أكثر اعتماداً على السوفيت دون أن يؤدي ذلك إلى اختراق (إسرائيلي) - أمريكي حاسم يؤثر على المصالح السوفيتية في المنطقة^(٢).

إلا ان هذا الرأي يبدو غير واقعي، لسبب يكمن في ان الاتحاد السوفيتي لا يرغب في هزيمة سلاحه أمام السلاح الغربي، وما سيخلفه ذلك من سمعة سيئة للسلاح السوفيتي، وما سيتركه من تأثير سلبي على مبيعات الأسلحة السوفيتية، ووفقاً لذلك فإن الاحتمال الأرجح هو ان الولايات المتحدة اتفقت مع (إسرائيل) على قيام حرب حزيران ١٩٦٧^(٣). وتم تضليل الاتحاد السوفيتي ليقنع حلفاءه العرب بعدم البدء بالحرب.

(١) ينظر على سبيل المثال: محمد نصر مهنا، السوفيت وقضية فلسطين، دار المعارف، (القاهرة، د. ت)، ص ١٢٤؛ تميم جورج ملكو، العلاقات السورية - الروسية، الإرث السوفيتي وأفاق المستقبل، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد جامعة حلب، ٢٠٠٥، ص ١٥٤؛ وليام جي. هايلاند "الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط" في كتاب: تحدي الشرق الأوسط، ١٩٨٠-١٩٨٥، ندوة بإشراف معهد بحوث الشرق الأوسط، جامعة بنسلفانيا ترجمة: عبد الهادي حسن جواد، نبيل برادعي، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام، (بغداد، ١٩٨٦)، ص ٦٨.

(٢) محمد جابر الأنصاري، الناصرية بمنظور نقدي، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت، ٢٠٠٢)، ص ١٥٨.

(٣) تشير بعض المصادر إلى ان حرب ١٩٦٧، كانت مقترحة أمريكياً منذ عام ١٩٦٥، ففي ذلك العام اقترحت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (C. I. A) شن حرب جديدة ضد ج. ع. م بهدف الإطاحة بالنظام المصري الحاكم، وتم في مقر وكالة المخابرات الأمريكية إعداد أدق

ومع ذلك فإن النتائج المباشرة لحرب حزيران كانت ذات أهمية خاصة بالنسبة للاتحاد السوفيتي، فقد ازداد ارتباطه بالوطن العربي، ولا سيما بـ ج. ع. م وسوريا، ورابطت ١٤ بارجة حربية سوفيتية في موانئ بور سعيد والإسكندرية، بعد توقف القتال، وأصبح لهم وجود دائم في البحر المتوسط^(١).

ويرى الكاتب والصحفي المصري إبراهيم سعدة، ان السوفيت بعد حصولهم على تسهيلات بحرية، حاولوا ان يبددوا مخاوف الحكومة المصرية بصفة خاصة والشعب المصري بصفة عامة، من خلال تأكيدهم، ان الوجود العسكري السوفيتي في ج. ع. م فيه ضمان ضد أي هجوم خارجي، وان الأدميرال السوفيتي جورشكوف أكد ذلك المعنى عندما قال ((ان حماية أمن وسلام الدول العربية الصديقة، هي من مهام وجود الأسطول السوفيتي في مياه تلك المنطقة))^(٢).

ويرى احد الباحثين ان نتائج حرب ١٩٦٧ كانت بنظر السوفيت مدعاة للامتنان، إذ ان هزيمة القيادة المصرية في تلك الحرب، جعلتها أكثر تقبلاً للطلبات السوفيتية، ولم يعد بوسعها أن تتحدى الذفوذ السوفيتي في المنطقة كما حدث عام ١٩٥٩، بسبب اعتمادها الكلي على الاتحاد السوفيتي في مسألة إعادة بناء الجيش المصري، وعلى التأييد السياسي السوفيتي لقضيتها في المحافل الدولية^(٣).

وقد يكون إزدياد الشعور المعادي للولايات المتحدة في العالم العربي، بسبب مواقفها المؤيدة لـ (إسرائيل)، نتيجة من نتائج الحرب الايجابية للسوفيت^(٤).

التفاصيل، وتمويل مختلف أنواع الحملات السياسية المفترض ان تسبق ذلك الحرب المرتقبة، وكان مقررأ ضمن ذلك المخطط ان تقوم (إسرائيل) بتلك الحرب لوحدها. ينظر: بليلاييف، الشرق الأوسط والعرب، ص ٣٥؛ محمد مراد، السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي بين الثابت الاستراتيجي والمتغير الظرفي، ط ١، دار المنهل اللبناني، (بيروت، ٢٠٠٩)، ص ٢٦٨. (١) محمد عبد المجيد حسون، إستراتيجية صراع القوى الكبرى في الوطن العربي - الواقع والتوقعات، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٢)، ص ١٧٢؛

The Soviet Union in the Middle East policies and perspectives, edited by Adeed Dawisha and Kareen Dawisha, Royal institute of international Affairs, (London, 1982), p.14.

(٢) إبراهيم سعدة، الروس قادمون، ط ٣، المكتب المصري الحديث، (القاهرة، ١٩٧٦)، ص ١٢٩.

(٣) جرجس، المصدر السابق، ص ٣٠٤.

(4) Saad E. M Ibrahim "Arab images of the United States and the Soviet Union befor and after the June war of 1967", Journal of conflict Resolution, Vol. 61, No. 2, (Jun, 1972) p.238.

مع ذلك شعر قادة الاتحاد السوفيتي ان جازباً لا يستهان به من المسؤولية عن تلك الهزيمة التي لحقت بحلفائهم في المنطقة يقع على عاتقهم، فهم الذين شجعوا الحكومة المصرية على تأزيم الموقف، وهم الذين قاموا بتقديم المعلومات غير الدقيقة لها عن الحشود (الإسرائيلية) على الحدود السورية، وساهموا بذلك بقدر كبير في إندفاع القيادة المصرية تجاه تصعيد حدة الأزمة، كما شعر السوفيت بتقصيرهم في مطالبة الولايات المتحدة بتقديم الضمانات الكافية، بعدم قيام (إسرائيل) بعمل عسكري ضد الدول العربية حتى لا تقدم على البدء بالعدوان^(١).

أشار الزعيم السوفيتي خروشوف في مذكراته إلى ذلك التقصير إزاء الجانب العربي في تلك الحرب حين قال ((... لقد أسأنا معالجة الوضع في الشرق الأدنى، وتركنا أصدقاءنا المصريين يتورطون في وضع محزن...))، ثم أضاف ((... اعتقد ان الاتحاد السوفيتي يتحمل حصة كبيرة من المسؤولية عن ما جرى، كان ينبغي علينا بما لنا من نفوذ على ناصر، ان لا نتركه يزيّد التوتر الناشئ، وان لا نتركه يستفز الإسرائيليين بدفعهم إلى الحرب أولاً، ان العسكريين السوفيت اخطأوا في ترك الحرب تقع أولاً، ثم لم يستعملوا قوتنا في إزالة آثار الحرب بعد ان انتهت))^(٢).

كما اخطأ السوفيت في تقديرهم للقوة العربية، إذ تصوروا ان الدول العربية وإن كانت غير قادرة آنذاك على إلحاق الهزيمة بـ (إسرائيل)، إلا انها قادرة على الأقل على الصمود أمام أي هجوم (إسرائيلي) ولو لفترة قصيرة، تتيح نقل الصراع من الميدان العسكري إلى الميدان السياسي، ومع ذلك ركز السوفيت جهودهم خلال الأزمة على اتجاهين رئيسين:-

أ. إظهار المساندة والدعم للدول العربية ومحاولة ردع (إسرائيل).

ب. محاولة العمل على وقف إطلاق النار بصورة فورية، وبشروط مقبولة من جانب الدول العربية^(٣).

(1) Webling, Op. Cit., p.41.

(٢) نكيثا خروشوف، الوصية الأخيرة، ترجمة: زهدي جار الله، الأهلية للنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٧٨)، ص-ص ٢٣٥-٢٣٧.

(٣) منصور، المصدر السابق، ص ٣٤٦؛ "استقراء وملاحظات حول السياسة السوفيتية في المنطقة العربية والشرق الأوسط من نيقيولا الأول حتى غورباتشوف" مجلة آفاق عربية، (بغداد)، العدد (٩)، السنة السادسة عشرة، ايلول ١٩٩١، ص ٢١.

إلا ان السوفيت حرصوا منذ البداية على تجنب حدوث مواجهة مسلحة بينهم وبين الولايات المتحدة الأمريكية، لذا امتنعوا عن تزويد العرب بإمدادات عاجلة من الأسلحة والمعدات العسكرية^(١).

ويظهر تراجع الدور السوفيتي في مناصرة القضايا العربية أثناء حرب ١٩٦٧ واضحاً، إذا ما تمت مقارنته بدورهم في أزمة السويس عام ١٩٥٦. وهناك من يرى ان السوفيت فوجئوا بسرعة تطور الأحداث، وانهم كانوا يعانون مشاكل داخلية، واستنزاف اقتصادي سببه سباق التسلح، وإن ذلك كان يفرض عليهم التصرف بحذر^(٢). ولكن يبدو ان التغيرات التي طرأت على السياسة الخارجية الأمريكية كانت قد لعبت دورها في ذلك التراجع السوفيتي وان تحول الموقف الأمريكي من الصراع العربي - (الإسرائيلي)، من موقف يتصف بنوع من الحيادية عام ١٩٥٦، ومراعاة المصلحة الشخصية للولايات المتحدة في ابعاد بريطانيا وفرنسا عن المنطقة العربية، إلى موقف منحاز تماماً لـ (إسرائيل) عام ١٩٦٧، جعل السوفيت يترددون في اتخاذ قرارات فورية ومواقف قوية وحاسمة من القضية العربية خشية الصدام مع الولايات المتحدة.

وعندما التقى مراد غالب بكوسيجين في ٥ حزيران ١٩٦٧، وناشده تقديم المساعدة، رد عليه كوسيجين بأن السوفيت يؤيدون العرب و سيزودونهم بالأسلحة التي تعوضهم عن تلك التي خسروها في الحرب، فضلاً عن انهم سيمارسون كل ما لديهم من وسائل ضغط، لحمل (إسرائيل) على التخلي عن الأراضي التي احتلتها خلال الحرب ولكنه أكد ان الاتحاد السوفيتي لن يتدخل عسكرياً في تلك الحرب^(٣).

وفي يوم ٥ حزيران أصدرت الحكومة السوفيتية بياناً عدّت فيه العدوان نتيجة لمغامرة (إسرائيلية) مدفوعة بتشجيع أمريكي، وأعلنت عن تعهداتها بمساعدة الدول العربية التي وقعت ضحية العدوان (الإسرائيلي). كما طالبت الحكومة السوفيتية هيئة

(١) مقلد، المصدر السابق، ص ٢٨٧؛ دانكوس، المصدر السابق، ص ١١٧.

(٢) هيكل، الانفجار ١٩٦٧، صص ٨٠٣-٨٤٩.

(3) Glassman. Op. Cit., p.52.

الأمم المتحدة بإدانة (إسرائيل)، وإتخاذ الإجراءات اللازمة لإعادة إحلال السلام في الشرق الأوسط^(١).

وفي ٦ حزيران ١٩٦٧، أصدر الاتحاد السوفيتي بياناً طالب فيه (إسرائيل) بوقف القتال، والعودة إلى مواقع يوم ٤ حزيران^(٢). وفي ٧ حزيران قدم الاتحاد السوفيتي مشروع قرار بطلب وقف إطلاق النار في وقت يحدد بالساعة الثامنة من اليوم نفسه^(٣).

غير ان الولايات المتحدة اعترضت على مشروع القرار السوفيتي، وإزاء ما لمس السوفيت من ان سير الحرب ليس في صالح العرب، فقد اضطروا في النهاية إلى التراجع عن إصرارهم على اشتراط ضرورة الانسحاب (الإسرائيلي) لخطوط ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧، ووافقوا على وقف فوري غير مشروط للقتال، وهكذا صدر قرار مجلس الأمن رقم (٢٣٤) في ٩ حزيران ١٩٦٧، ووافقت الدول العربية على ذلك القرار نتيجة الضغوط السوفيتية عليها^(٤).

وفي ٨ حزيران أصدرت الحكومة السوفيتية بياناً جديداً حذرت فيه (إسرائيل) بأن الاتحاد السوفيتي سوف يعيد النظر في موقفه منها. ويتخذ قراراً يتعلق بالمحافظة على العلاقات الدبلوماسية معها في حالة عدم تنفيذها فوراً لمطلب وقف إطلاق النار^(٥).

وفي اليوم نفسه طالب الاتحاد السوفيتي في الجلسة الطارئة لمجلس الأمن أن يستنكر المجلس بحزم أعمال (إسرائيل) العدوانية، وخرقها قرارات مجلس الأمن،

(١) "بيان الحكومة السوفيتية ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧" في كتاب: الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط، مشاكل السلام والأمن ١٩٥٦-١٩٧١، وثائق ومواد، دار نشر وكالة نوفوستي، (موسكو، ١٩٧٢)، ص ١٤٤.

(٢) غازي ربابعة، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والصراع في الشرق الأوسط ١٩٦٧-١٩٨٧، ط ١، دار الفكر للنشر والتوزيع، (عمان، ١٩٨٩)، ص ١٥٥.

(٣) كمال حمدان وآخرون، الدول الكبرى والصراع العربي الإسرائيلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٦)، ص ٨٣.

(٤) منصور، المصدر السابق، ص ٣٤٧.

(٥) فاسلييف، روسيا في الشرقين الأدنى والأوسط، ص ١٠٨.

بشأن وقف العمليات العسكرية، كما طالب بأن توقف (إسرائيل) في الحال عملياتها العسكرية ضد الدول العربية^(١).

وفي ٩ حزيران قامت الطائرات (الإسرائيلية)، فجأة بغارة جديدة على القاهرة، فأجتمع في موسكو مجموعة من زعماء الدول الاشتراكية، وأصدروا بياناً أدانوا فيه العدوان (الإسرائيلي)، وهددوا بفرض عقوبات، والقيام بتحريك حاسم ضد (إسرائيل)، إذا لم تلتزم بقرار وقف إطلاق النار، كما طالبوا بتقديم مساعدات عسكرية فورية للدول العربية^(٢).

وفي نفس اليوم أعلن عبد الناصر في خطاب له، بأنه يتحمل المسؤولية كاملة، وانه ينوي الاستقالة، إلا ان الجماهير تظاهرت خلال يومي ٩، ١٠ حزيران ١٩٦٧، مطالبة إياه بالعودة، وقد وصفت تلك المظاهرات من قبل الصحافة السوفيتية أنها برهان واضح لدعم الشعب المصري لعبد الناصر والسياسة الاشتراكية^(٣).

وفي الوقت نفسه ناشدت القيادة السوفيتية عبد الناصر في برقية مستعجلة، بعدم الاستقالة، وبذلت الحكومة السوفيتية جهوداً كبيرة لإبقاء ناصر على رأس السلطة في ج. ع. م^(٤).

وفي محاولة من الاتحاد السوفيتي لمعالجة الأزمة التي أحدثتها حرب حزيران ١٩٦٧، بدأ الجسر السوفيتي الجوي والبحري منذ ٩ حزيران ١٩٦٧ مكوناً ٥٥٠ رحلة جوية، و ١٥ باخرة نقل اشتملت على معدات حربية لمصر، تمثلت بصفة خاصة

(١) لسنا وحدنا في المعركة، منشورات الوكالة العربية السورية للأذباء (سانا)، (دمشق، د. ت)، ص ٦.

(٢) بافل دمشكو، الشرق العربي في ساعة الاختبار، ترجمة: جعفر دك الباب، منشورات وزارة السياحة والإرشاد القومي، (دمشق، ١٩٦٩)، ص ٢٠.

(٣) نقلاً عن:

Aryeh Yodfat, Arab politics in the Soviet Mirror, Isral univrsity press – Jerusalem (New York, 1973), p.266.

(٤) عبد الستار الطويلة، رفض الرفض - حوار مع جبهة الرفض العربية، ط ٢، وكالة تآستار (القاهرة، ١٩٧٧)، ص ١٦٥؛ ايمهوف، المصدر السابق، ص ١٣٦. ربما جاء ذلك الموقف السوفيتي نتيجة خشية القادة السوفيت من تولي زكريا محي الدين السلطة في ج. ع. م، لاسيما ان الأخير كان يمثل حلقة وصل بين مصر والولايات المتحدة، علماً انه كان المرشح الشرعي لخلافة عبد الناصر، عبد الرحمن الببضاني، أزمة الامة العربية وثورة اليمن، المكتب المصري الحديث، (القاهرة، ١٩٨٤)، ص-ص ٧١٧-٧١٨.

وبأسبقية عالية في ٩٣ طائرة ميج ١٧ و ٢٥ طائرة ميج ٢١ كونت في مجموعها (٥٠) ألف طن من المعدات العسكرية السوفيتية^(١).

وفي ١٠ حزيران ١٩٦٧، قطع الاتحاد السوفيتي علاقاته الدبلوماسية بـ (إسرائيل) وأعلنت الحكومة السوفيتية، انه في حالة عدم وقف (إسرائيل) للأعمال العسكرية فوراً، فان الاتحاد السوفيتي بالاشتراك مع الدول الأخرى، المدة للسلام سيطبق عقوبات في حق (إسرائيل) مع كل ما يترتب على ذلك من نتائج. ويرى المؤرخ والمستشرق السوفيتي الكسي فاسلييف، ان الاتحاد السوفيتي اخطأ في قرار قطع العلاقات مع (إسرائيل)، وكان من الممكن استدعاء السفير (الإسرائيلي) في موسكو، وتخفيض مستوى العلاقات بين البلدين، والحفاظ على قناة اتصال بالحكومة (الإسرائيلية)، ومن ثم تسهيل المشاركة السوفيتية في عملية السلام القادمة^(٢).

ومع ذلك فان الاتحاد السوفيتي لم يسحب اعترافه بالوجود (الإسرائيلي) في فلسطين، وأكد رئيس وزرائه، بأن السوفيت ليسوا ضد (إسرائيل) بل ضد السياسة العدوانية التي تنتهجها الأوساط الحاكمة لتلك الدولة^(٣).

وفي ١٠ حزيران أوقفت القوات (الإسرائيلية) إطلاق النار على الجهات جميعاً، إذ رأى قادتها العسكريون، انهم انجزوا المهمات العسكرية الإستراتيجية الموضوعية^(٤). وفي ١٣ حزيران قدم الاتحاد السوفيتي مشروع قرار لمجلس الأمن

(١) فوزي، المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٤.

(٢) فاسلييف، روسيا في الشرقين الأدنى والأوسط، ص ١٠٩.

(٣) غسان إبراهيم مظلوم، "علاقات الاتحاد السوفيتي بالكيان الصهيوني" في كتاب، حامد عبد الله ربيع وآخرون، علاقات إسرائيل الدولية، دار الحكمة، (بغداد، ١٩٩٠)، ص ١٥٣. بينما هناك من يشير إلى ان الاتحاد السوفيتي قطع علاقته بـ (إسرائيل) وأوحى لدول حلف وارشو باتخاذ نفس الإجراء، ثم أوحى في الوقت نفسه إلى دولة رومانيا، بالتظاهر بالعصيان والاحتفاظ بعلاقاتها مع (إسرائيل)، وقد رحبت (إسرائيل) بالموقف الروماني، ووافقت على ان تبيع لرومانيا، الأسلحة السوفيتية التي خسرها الجانب العربي في حرب ١٩٦٧، ومن ثم عاد السوفيت لبيع تلك الأسلحة لسوريا من جديد. احمد الحفناوي، العرب وإسرائيل في إستراتيجية السوفيت، مطابع صحيفة الجمهورية، (القاهرة، ١٩٧٩)، ص ١٩٨؛ سعدة، المصدر السابق، ص ١٦٩.

(٤) فاسلييف، روسيا في الشرقين الأدنى والأوسط، ص ١٠٩.

يدين العدوان الإسرائيلي، ويطالب بسحب القوات (الإسرائيلية) من أراضي الدول العربية التي وقع عليها العدوان^(١).

وفي يوم ١٦ حزيران وصل إلى القاهرة، وفد عسكري سوفيتي لبحث المساعدات العسكرية، كما وجهت القيادة السوفيتية دعوة لجمال عبد الناصر بهدف التباحث في موسكو، إلا أن ناصر رد بأنه لا ينوي الذهاب إلى موسكو في الوقت الحاضر، وأنه يرى من الأفضل من الوجهة السياسية حضور أحد قادة السوفيت إلى القاهرة، بدلاً من ذهابه هو إلى الاتحاد السوفيتي^(٢).

وخلال تلك الفترة كان الاتحاد السوفيتي يسعى من خلال جهوده الدولية إلى تحويل نصر (إسرائيل) العسكري إلى هزيمة سياسية، وعندما انعقدت جلسة طارئة للجمعية العمومية للأمم المتحدة في ١٩ حزيران ١٩٦٧، كان كوسيجين أول المتحدثين و عرض في خطابه الخطوط العريضة لموقف بلاده، والذي تمثل بالتأكيد على أن (إسرائيل) هي المعتدية ويجب إدانتها وقال: ((... أن الوقائع التي لا تدحض، تثبت أن إسرائيل تتحمل مسؤولية اندلاع الحرب وضحاياها ونتائجها، أن إسرائيل لا يمكنها تقديم أي حجة لتبرير عدوانها، وليس هناك من خيار سوى الإدانة الحازمة للمعتدي والقوى التي تقف وراءه، ولا خيار إلا إزالة آثار العدوان))^(٣). وطالب من أجل إعادة السلام بانسحاب القوات (الإسرائيلية) من الأراضي المحتلة، ودفع تعويضات للأضرار المادية التي أدى إليها العدوان^(٤).

وفي ٢١ حزيران ١٩٦٧، وصل إلى القاهرة وفد سوفيتي برئاسة نيكولاي بود غورني^(*) (رئيس مجلس السوفيت الأعلى)، ومعه المارشال ز خاروف (رئيس

(١) خاطر، المصدر السابق، ص ١٧٢.

(٢) عبد المناف شكر جاسم، "موقف الاتحاد السوفيتي من نكسة ٥ حزيران ١٩٦٧"، مجلة آداب المستنصرية، (بغداد)، العدد (١٤)، ١٩٨٦، ص ٤٢٢.

(3) Walter Laqueur, The Struggle for The Middle East, 1958-1970. Penguin Books LTD. دانكوس، المصدر السابق، ص ١٢٤; (London, 1970), p.71.

(4) The impact of the six - day war - Atwenty - year Assessment, Edited: by Stephen J. Roth, The Macmillan, press LTD, (London, 1987), p.137.

(*) سياسي سوفيتي ولد عام ١٩٠٣ في أوكرانيا، انضم إلى الحزب الشيوعي السوفيتي عام ١٩٣٠، وفي عام ١٩٥٧، أصبح الأمين العام للحزب الشيوعي في أوكرانيا، غادر أوكرانيا عام ١٩٦٣، ليصبح مع برجذيف سكرتيراً للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، وعند

هيئة أركان حرب القوات السوفيتية)، وبدأوا بمباحثات قمة عسكرية وسياسية مع الحكومة المصرية، تحددت فيها معالم جديدة لعلاقات متينة بين الاتحاد السوفيتي و ج.ع.م، بدأت بالاتفاق على هدف واضح اتفق عليه الجاذبان، تمثل بإزالة أثار العدوان (الإسرائيلي)، وإعطاء القوات المسلحة المصرية الأولوية في الدعم العسكري السريع والحديث والمتطور، مع مشاركة الاتحاد السوفيتي بالمستشارين والخبراء بالعدد الذي يتفق عليه البلدين، وأن تكون الأسبقية في ذلك للقوتين الرئيسيتين: الدفاع الجوي والقوات الجوية سواءً بالنسبة للأسلحة والمعدات أو إعداد الطيارين المقاتلين. ومن المرجح ان القيادة المصرية أرادت إشراك السوفيت بشكل فعلي في الصراع العربي - (الإسرائيلي)، ومن ثم إشعارهم بأن هزيمة ج.ع.م تعني هزيمة لهم (١). وأثناء تلك المباحثات طلب الوفد السوفيتي من القيادة المصرية تقديم التسهيلات التي تمكنهم من الدفاع عن ج.ع.م، دفاعاً فعلياً على حد تعبيرهم، مثل زيادة عدد قطع الأسطول البحري السوفيتي في البحر المتوسط، وتسهيل إقامة نظام إنذار مسبق، واستطلاع مبكر، بهدف الاستمرار في مراقبة الأسطول الأمريكي المربط في البحر المتوسط، كما طالبوا بإعطاء صلاحيات إضافية لخبرائهم العسكريين في الجيش المصري (٢). وقد وافقت الحكومة المصرية على ذلك، وطالبت بتزويد الجيش المصري بطائرات بعيدة المدى تمكنها من الوصول إلى العمق (الإسرائيلي). في حالة حصول اعتداء (إسرائيلي) جديد (٣).

الإطاحة بخروشوف بقي بودغورني محتفظاً بمركزه الحزبي، وفي كانون الأول ١٩٦٥، أصبح رئيساً لمجلس رئاسة السوفيت الأعلى، أقيل من منصبه في ربيع ١٩٧٧. ينظر: الكيالي، موسوعة السياسة، ج ١، المصدر السابق، ص ٥٩١.

(١) فوزي، المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٤؛ دان تشيرجي، أمريكا والسلام في الشرق الأوسط، ترجمة: محمد مصطفى غنيم، مراجعة رأفت عبد الحميد، ط ١، دار الشروق (القاهرة، ١٩٩٣)، ص ٣١؛

Anne Alexander, Nasser – His Life and Times, by The American University in Cairo press, (Egypt, 2005), p.147.

(٢) دايفد كيمحي، الخيار الأخير، ط ١، مكتبة بيسان، (بيروت، ١٩٩٢)، ص ٢١.
(٣) فوزي، المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٥؛ حرب الاستنزاف، صفحات مضنية من تأريخ مصر العسكري، يونيو ١٩٦٧ - آب ١٩٧٠، (إعداد) وزارة الدفاع المصرية، هيئة البحوث العسكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٨)، ص ٣٨.

وقد تعهد الجانب السوفيتي بإعادة تسليح القوات المصرية، وتقديم ٤٠٠ طائرة ميج ٢١ مع طاقم عسكري سوفيتي للتدريب والتجهز، وست طائرات تدريب و ٣٨ طائرة سوخوي، و ١٠٠ دبابة، وإرسال فنيين على مستوى عالٍ من أجل إعادة التنظيم الدقيق والتدريب الكافي^(١).

وقد يعود ذلك الدعم السوفيتي الكبير لـ ج. ع. م والاستعداد لتعويض خسائر حرب ١٩٦٧، وبعد مرور سنة على الحرب قدر الأخصائيون الغربيون ان الاتحاد السوفييتي قد عوّض مصر بمقدار ٣٠٠ طائرة مقاتلة نفاثة من أصل ٣٦٥ طائرة فقدت في الحرب، و ٥٠ من أصل ٦٩ قاذفة قنابل و ٤٥٠ من أصل ٥٥٠ دبابة فقدت في الحرب، وأعطيت مصر لأول مرة صواريخ أرض أرض من نوع كينيل المطور الذي يصل مداه إلى ٤٥ ميلاً وبذلك ادخل عنصراً جديداً في سباق التسليح في الشرق الأوسط^(٢)، إلى خشية الاتحاد السوفيتي، من انهيار النظام المصري الحاكم ومن ثم مجيء شخصيات أقل تودداً للاتحاد السوفيتي وأقل تعاوناً معه^(٣).

كما ان السوفيت شعروا بان عدم دعمهم لـ ج. ع. م في تلك الظروف سيؤدي إلى مزيد من التدهور في العلاقات المصرية السوفيتية بشكل خاص، والعلاقات العربية السوفيتية بشكل عام^(٤). لقد كان السوفيت مستعدين لإعادة بناء القوات المسلحة المصرية، لكنهم لم يكونوا مستعدين لتشجيع أي مبادرة عسكرية هجومية عربية^(٥).

وتجدر الإشارة هنا إلى ان نكسة حرب ١٩٦٧، أقنعت الحكومة المصرية بأن سياسة التمسك بمبدأ عدم الانحياز، أصبحت غير كافية على الإطلاق لتحرير سيناء، وبقيّة الأراضي العربية المحتلة، فأنتهز عبد الناصر فرصة زيارة بودغورني لـ ج.

(١) جاسم، المصدر السابق، ص ٤٢٣

Dani Asher, The Egyptian strategy for the yom Kippur War., by McFarland and Company INC, (London, 2009), p.68.

(٢) نقلاً عن: Laqueur, Op. Cit., p104

(3) Robert O. Freed man, Moscow and the Middle East, (New York, 1991), p.37.

(4) Galia Golan, Soviet policies in the Middle East, from War World Two to Gorbachev, Cambridge university press, (New York, 1990), p.68.

(٥) كارستين هولبراد، الدول العظمى والصراع الدولي، الهيئة العامة للاستعلامات، سلسلة كتب كترجمة، تسلسل (٧٤٤)، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٨١)، ص ١١١.

ع. م في ٢١ حزيران ١٩٦٧، ليعرض عليه بصراحة، الانحياز التام لاتحاد السوفيتي، والتخلي عن سياسة عدم الانحياز^(١).

إلا أن طلب عبد الناصر لم يلقَ حماساً كبيراً في الاتحاد السوفيتي، ورفضت الحكومة السوفيتية طلبه على نحو مهذب، وطالبته بالتريث حرصاً على مركز، ج. ع. م بين دول العالم الثالث. وعلى الرغم من أن ج. ع. م بقيت في معسكر عدم الانحياز، إلا أنها من الناحية الفعلية كانت قد دخلت في معسكر الانحياز التام للاتحاد السوفيتي، وكان أخطر مظهر لذلك الانحياز، حسب وجهة نظر مؤرخ مصري معاصر، هو سقوط جزء من علاقات ج. ع. م الخارجية في يد الاتحاد السوفيتي، الذي يعني سقوط جزء من استقلالها الخارجي في يد دولة أخرى، على أساس أن التمثيل السياسي للبلد هو مظهر من مظاهر الاستقلال وتحقيق السيادة^(٢).

إن إدراك القيادة المصرية بأن حرب حزيران شأنها شأن أي حرب أخرى، سوف تعقبها مباحثات تهدف إلى إحداث نوع من التوازن، وإدارتها استحالة مشاركتها بشكل مباشر في تلك المباحثات أمام الموقف السياسي والعسكري الذي تتمتع به (إسرائيل)، أوصل القيادة المصرية إلى قرار ترك عملية التفاوض للسوفيت، مع تحفظها على مسألتين هما: أن لا يطلب منها أحد أن تتخلى عن أي جزء من الأراضي المصرية، وأن لا يُطلب منها أن تتنازل عن أي حق من حقوق الفلسطينيين، وكانت القيادة المصرية واثقة من أن السوفيت إذا فعلوا ذلك، فأنهم سوف يدركون استحالة الوصول إلى تسوية على أساس أي شروط مقبولة، وعندما

(١) عبد العظيم رمضان، حرب أكتوبر في محكمة التاريخ، مكتبة الأسرة، (القاهرة، ١٩٩٥)، ص ٢٢؛ Laqueur, Op. Cit., p.102، كانت القيادة المصرية حتى عام ١٩٦٦ متمسكة بسياسة عدم الانحياز، تلك السياسة التي كانت تتفق مع أهداف الاتحاد السوفيتي في المنطقة، بل كان السوفيت يعتبرونها عامل مساعد لمواجهة السيطرة الأمريكية، وإحداث توازن مع الولايات المتحدة في الشرق الأوسط من خلال كسب أعضاء حركة عدم الانحياز إلى جانب الاتحاد السوفيتي.

PRO. F. O. 371/190188, Canadian Embassy, (British interests section), Cario, 18 October 1966.

(٢) عبد العظيم رمضان، تحطيم الآلهة - قصة حرب يونيو ١٩٦٧، ج ٢، الهيئة المصرية. العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠١)، ص- ص ٢٢٢-٢٢٤.

يصلون بأنفسهم إلى ذلك الإدراك، سيكونون على استعداد لتوفير الأسلحة اللازمة للعرب في الجولة الحتمية القادمة من الصراع العربي - الإسرائيلي^(١). ومن هنا بدأت ج. ع. م تعتمد على الاتحاد السوفيتي اعتماداً كاملاً، وقد ازداد النفوذ السوفيتي مع زيادة الضغط العسكري (الإسرائيلي)، ونتج عن اعتماد ج. ع. م، الكامل عسكرياً واقتصادياً وسياسياً على الاتحاد السوفيتي، ان تحولت إلى شريك ضعيف في علاقتها به، وتجلى ذلك في إصرار السوفيت على تسليح الجيش المصري إلى حد معين، ذلك الحد الذي عدّه المسؤولون المصريون لا يفي بمتطلبات تحرير الأرض^(٢).

وفي ٢٣ حزيران وفي الاجتماع الذي تم عقده في غلاسبور بولاية نيوجرسي الأمريكية، رفض كوسيجين مشروعاً أمريكياً من ١١ نقطة، يتضمن الربط بين الانسحاب والاعتراف بـ (إسرائيل)، وإنهاء حالة الحرب وتأمين مرور السفن (الإسرائيلية) في قناة السويس، وأكد كوسيجين انه غير مستعد لمناقشة تلك القضايا، قبل انسحاب إسرائيل، وبدون مشاركة الدول العربية المعنية^(٣).

وفي أعقاب الاجتماع الذي عقدته مجموعة من الدول العربية في القاهرة خلال الفترة ١٠-١٣ تموز ١٩٦٧، اتفق الرؤساء العرب على ان يسافر الرئيس الجزائري هواري بو مدين (١٩٦٥-١٩٧٨)^(*) إلى موسكو، برفقة الرئيس العراقي عبد الرحمن

(١) محمد حسنين هيكل، حكاية العرب والسوفيت، شركة الخليج لتوزيع الصحف، (الكويت، ١٩٧٩)، ص ١٤١.

(٢) نقلاً عن: عاطف السيد، من سيناء إلى كامب ديفيد، ١٩٦٧-١٩٧٩، دار عطوة للطباعة، (القاهرة، ١٩٨٨)، ص ٣١.

(٣) حمدان وآخرون، المصدر السابق، ص ٨٥.

(*) عسكري ورجل دولة جزائري، ولد عام ١٩٢٥ قرب مدينة قسنطينة، تلقى تعليمه في جامعة الزيتونة والأزهر، انضم إلى جيش التحرير الجزائري عام ١٩٥٥، وتقلد منصب رئيس الأركان في جيش التحرير الجزائري عام ١٩٦٠، عين وزيراً للدفاع في أول حكومة جزائرية مستقلة، ورئيساً لأركان القوات المسلحة ورئيساً لمجلس الثورة الوطني عام ١٩٦٢، وفي أعقاب تولي احمد بن بلا رئاسة الدولة أصبح بو مدين نائبه الأول عام ١٩٦٣، وفي ١٩ حزيران ١٩٦٥، ترأس انقلاباً عسكرياً ضد بن بلا وأصبح رئيساً للجمهورية، توفي في كانون الأول ١٩٧٨، ينظر: عبد الوهاب ألكيالي، موسوعة السياسة، ج ٧، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٩٤)، ص ١٦١.

محمد عارف (١٩٦٦-١٩٦٨)^(*)، لتمثيل الجانب العربي، في إجراء مباحثات سرية وعاجلة مع الحكومة السوفيتية، حيث وصلا إلى موسكو في ١٧ تموز ١٩٦٧^(١) وعقد الوفد لقاءات عديدة مع الحكومة السوفيتية، تحدث فيها ليونيد برجنييف^(*) عن خطوات الدعم السوفيتي للبلدان العربية، كما أشار إلى مسألة انخفاض مستوى الاستعداد العسكري العربي للمعركة مقارنة بالاستعداد العسكري (الإسرائيلي)، وكانت الأسلحة السوفيتية التي استولى عليها (الإسرائيليون)، موضوعاً مؤلماً للسوفيت وتحدث عنها برجنييف قائلاً ((أدني حزين لأن سمعنا كانت مرتبطة بسمعتكم، أدني حزين لأن أحدثت الأسلحة التي زودناكم بها قد أرسلت الآن إلى أمريكا))^(٢).

ثم انضم كوسيجين إلى النقاش مؤيداً ما قاله برجنييف، ومطالباً القادة العرب بأن يكونوا أكثر مرونة، وفي النهاية شددت الحكومة السوفيتية على رفضها إرسال قوات سوفيتية، خوفاً من إقدام أمريكا وبريطانيا إلى إرسال قوات مماثلة إلى (إسرائيل)^(٣).

(*) عسكري ورجل دولة عراقي من جذور عائلية بورجوازية صغيرة، من منطقة الرمادي، انتسب إلى الكلية الحربية عام ١٩٣٦/١٩٣٧، انضم إلى تنظيم الضباط الأحرار عام ١٩٥٧، وفي عام ١٩٦٣ عين قائداً للفرقة الخامسة ثم رئيساً للأركان، وفي ١٦ نيسان ١٩٦٦، سُمي رئيساً للجمهورية، وفضلاً عن رئاسته الجمهورية، تسلم رئاسة الوزراء لفترة قصيرة في أيار - تموز ١٩٦٧، بقي رئيساً للجمهورية إلى أن أطاحت به ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨. ينظر: سعد سعيدي، معجم الشرق الأوسط، (العراق - سوريا - لبنان - فلسطين - الأردن)، دار الجيل، (بيروت، ١٩٩٨)، ص ٢٧٤.

(١) عبد العظيم حسن مرسي عرفة، العلاقات العربية - السوفيتية - دراسة حالة عن السياسة السوفيتية تجاه العراق ١٩٥٨-١٩٦٨، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٨٣، ص ١٢٣.

(*) رجل دولة وسياسي سوفييتي، ولد عام ١٩٠٦، شغل خلال الفترة (١٩٦٤-١٩٦٦)، منصب سكرتير أول للحزب الشيوعي السوفييتي، ثم شغل في عام ١٩٦٦، منصب أمين عام الحزب، وفي أيار ١٩٧٦، حصل على رتبة مارشال الاتحاد السوفييتي، كما أصبح عام ١٩٧٧ على رأس كل من الحزب والدولة في الاتحاد السوفييتي، توفي في ١١ تشرين الثاني ١٩٨٢. ينظر: بهيج بحليس، موسوعة أحداث القرن العشرين، قادة، وإعلام، ج ١، ط ١، دار نوبليس، (بيروت، ٢٠٠٤)، ص ٧٤.

(٢) نقلاً عن: هيكمل، حكاية العرب والسوفيت، ص ١٣٧؛ محمد عوض، اليوم السابع، الحرب المستحيلة - حرب الاستنزاف، ط ١، دار المعارف، (القاهرة، ٢٠١٠)، ص ٥.

(٣) هيكمل، حكاية العرب والسوفيت، ص ١٣٧، للتفاصيل ينظر:

وبعد ان فشلت الجمعية العامة للأمم المتحدة خلال دورتها الطارئة في تموز ١٩٦٧ في التوصل إلى قرار بإنهاء الاحتلال الإسرائيلي، نتيجة للضغوط الكبيرة التي مارستها الولايات المتحدة لصالح (إسرائيل)، ورغم فشل المساعي السوفيتية، لم يجاهر الاتحاد السوفيتي بذلك، وظل يصر على إتاحة المزيد من الفرص أمام الحل السلمي، وهو أمر لم تعترض ج. ع. م عليه، لحاجتها لعنصر الوقت الذي يتيح لها إعادة بناء قدراتها العسكرية^(١).

- الصراع على السلطة في ج. ع. م والموقف السوفيتي منه :

شهدت الفترة ٢٥ آب - ١٣ أيلول ١٩٦٧، صراعاً سياسياً على السلطة في ج. ع. م، بين الجناح السياسي المتمثل بجمال عبد الناصر، والجناح العسكري المتمثل بعبد الحكيم عامر ومؤيديه، وبعد نزع السلطات التي كان يتمتع بها عامر، في يوم ٢٥ آب، أعلن الأخير العصيان، والتف حوله مؤيديه من القيادات العسكرية^(٢)، إلا ان ذلك العصيان لم يستمر طويلاً إذ تمت محاصرته وتصفيته، وحيزها قيل إن عامر مات منتحراً في ١٣ أيلول ١٩٦٧^(٣).

وقف الاتحاد السوفيتي إلى جانب ناصر في تلك الأحداث، ويشير السياسي والكاتب السوفيتي بريماكوف، إلى ان المخابرات السوفيتية، علمت ان عامر يستعد للتوجه إلى الوحدات الموالية له، ومن ثم إلقاء مطالبه على عبد الناصر، وتصفيته إذا رفضها، ولم تكن هناك أي شكوك في موسكو في تلك الظروف، في ان الاتحاد السوفيتي لا يمكن ان يكون محايداً، إذ ان كل الإمكانات كانت موجهة لدعم الرئيس المصري^(٤).

Abdel Maggid Farid, Nasser the Final Years, foreword by Peter Mansfeld, by Ithaca press, (London, 1996), p-p24-39.

(١) رياض، المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٢.

(٢) الأمير اباظه، عامر ٦٧، مؤسسة دار التعاون للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٧)، ص ٤٣.

(٣) للتفاصيل ينظر: هويدي، ٥٠ عاماً من العواصف، ص-ص ٢٤٩-٢٧٥؛ جان نانو، موت مشير، دار الإعلام العربي، ط ١، (بيروت، ١٩٦٨)، ص ٧٧ وما بعدها؛ عبد الله إمام، ناصر وعامر، مؤسسة روز اليوسف، (القاهرة، ١٩٨٥)، ص ٢٠٠ وما بعدها.

(٤) بريماكوف، الشرق الأوسط، المعلوم والمخفي، ص ١٣٤.

ان اقضاء عامر والمجموعة الموالية له، التي حاولت إلقاء تبعية الهزيمة على الاتحاد السوفيتي، فتح الطريق لتحسن العلاقات بين ج. ع. م والاتحاد السوفيتي، بتقديم هؤلاء باعتبارهم (أعداء لعبد الناصر والاتحاد السوفيتي معاً)^(١).

- مؤتمر القمة في الخرطوم والموقف السوفيتي منه :

خلال الفترة ٢٩ آب - ١ أيلول ١٩٦٧، عقد مؤتمر قمة عربي في مدينة الخرطوم، واتفق القادة العرب فيه على قرارات، عُدت من ناحية الشكل والمضمون، رفضاً للهزيمة العسكرية، إذ كانت تنص على: (لا صلح مع إسرائيل ولا اعتراف بها ولا مفاوضات معها)، والتي عرفت بـ (اللاءات الثلاث)^(٢).

وعقب انتهاء المؤتمر كتبت صحيفة (برافدا) السوفيتية مقالات عديدة خصصتها لتقييم المؤتمر، وأشادت بالاعتدال الذي توصل إليه الزعماء العرب في قراراتهم على حد تعبيرها، مع تحفظها على الشعارات التي نادت بمقاطعة (إسرائيل). وبعد ان تبين للزعماء السوفيت، فشل المساعي الدبلوماسية لتسوية النزاع، بدأوا بإعادة مسألة تسليح الجيش المصري أهمية أكبر^(٣).

وبعد جهود دولية مكثفة خلال شهري، أيلول - تشرين الأول ١٩٦٧، للوصول إلى حل للأزمة السياسية التي خلفتها الحرب، تم التوصل إلى اتفاق دولي على قرار مجلس الامن رقم (٢٤٢)، وهو مشروع قدمته بريطانيا، وتم التصويت عليه في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧^(٤).

(١) عبد الناصر وما بعد (اشراف) أنيس الصانع، المصدر السابق، ص ٢٥٧.
(٢) أحمد حمروش، قصة ثورة ٢٣ يوليو، ج ٥، خريف عبد الناصر، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٨)، ص ٢٠٣؛ Anthony Mc Dermott, Egypt from Nasser To Mubarak Aflawed Revolution, by Mackays of chatham LTD, (London, 1988), p.36.

للتفاصيل حول المؤتمر ينظر: من محاضر اجتماعات عبد الناصر العربية والدولية ١٩٦٧-١٩٧٠، (إعداد) عبد المجيد فريد، مؤسسة الابحاث العربية (بيروت، ١٩٨٥)، ص-ص ٨٩-١٠٤.

(٣) الخطيب، المصدر السابق، ص ١٢٥؛ ينظر أيضاً: Golan, Op.Cit., p.69.
(٤) انتوني ناتنج، ناصر، ط ٢، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩٣)، ص ٤٨٩؛ ومن وجهة نظر سوفيتية فان الاتحاد السوفيتي، صوّت إلى جانب مشروع القرار انطلاقاً من ان طلب سحب

نص القرار على ضرورة تنفيذ المبدئين الآتين:

١. انسحاب القوات الإسرائيلية المسلحة من الأراضي التي احتلت خلال حرب ١٩٦٧.

٢. إنهاء كل حالات الحرب، واحترام السيادة ووحدة الأراضي والاستقلال السياسي لكل دول المنطقة، وبموجب ذلك القرار تم تعيين (غونار يارنغ)، ممثلاً خاصاً للأمين العام للأمم المتحدة للذهاب إلى الشرق الأوسط من أجل إقامة اتصالات بالدول المعنية^(١)

شهدت ج. ع. م، في مطلع عام ١٩٦٨، أحداثاً داخلية مهمة إذ تم في ذلك العام محاكمة مسؤولي الهزيمة العسكرية، وقد أثارت تلك المحاكمة وما نتج عنها من أحكام وصفت بالمخففة، غضب الجماهير المصرية، وكانت سبباً في اندلاع مظاهرات عمالية في مدينة حلوان في ٢٠ شباط ١٩٦٨، ما لبثت الجماهير الطلابية ان أزرتها^(٢). وقد طالبت الجماهير بإعادة المحاكمة وبمحاسبة جدية لمسؤولي الهزيمة، وطرحت ضرورة مراجعة النظام المصري لتوجهاته^(٣).

وقد تحمس السوفييت من جانبهم لتلك التحركات الجماهيرية، التي وصفها الصحافة السوفيتية، بأنها مثال للصراع الطبقي، كما دعت الصحافة السوفيتية إلى

القوات (الإسرائيلية)، جاء بوصفه مبدأً ضرورياً بالدرجة الأولى لإقامة سلام عادل في الشرق الأوسط. ادميتش وأخرون، المصدر السابق، ص ٥٩٥.

(١) لقد بذل يارنغ جهوداً لتطبيق القرار، وعلى الرغم من موافقة ج. ع. م والأردن على قرار مجلس الأمن، رقم (٢٤٢)، إلا ان جهود يارنغ باءت بالفشل لأن كلا الجانبين العربي و (الإسرائيلي)، قدم تفسيراً مختلفاً لذلك القرار، إذ رأت (إسرائيل) ان القرار لا يلزمها بالانسحاب من كل الأراضي المحتلة، وإنما من أجزاء منها تتحدد من خلال التفاوض المباشر، اما الدول العربية، فتمسكت بانسحاب القوات (الإسرائيلية) من كل الأراضي العربية، وضرورة ان يتم ذلك الانسحاب أولاً قبل إنهاء حالة الحرب، ورفضت المفاوضات المباشرة مع (إسرائيل)، للاطلاع على نص القرار ينظر: ابرز قرارات الأمم المتحدة حول الصراع العربي - الإسرائيلي، مجلة معلومات دولية (دمشق)، السنة السابعة، العدد (٦٢)، ١٩٩٩، ص ١٩٠.

(٢) احمد بهاء الدين شعبان، ٤٨ ساعة هزت مصر، ط ١، دار هفن للترجمة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٩)،

ص-ص ٨٣-٨٤؛ غالي شكري، عروبة مصر وامتحان التاريخ، ط ٢، دار الأفاق الجديدة، (بيروت، ١٩٨١)، ص ٢٦.

(٣) احمد زكريا الشلق، ثورة يوليو والحياة الحزبية، النظام واحتواء الجماهير، ط ١، دار الشروق، (القاهرة، ٢٠١٠)، ص ١٧٤.

إجراء تغييرات جذرية في الإدارة، والمؤسسات، والقوات المسلحة، ونصت بأن لا يقتصر التطهير على الجيش وحده، إذ إن الضباط الذين تم إبعادهم عن القوات المسلحة، حصلوا على مواقع التأثير في القطاع العام والدولة، وشكلوا على حد تعبير الصحافة السوفيتية (تجمعاً رجعيّاً) داخل الإدارة المصرية^(١).

(١) نقلاً عن، حمدان وآخرون، المصدر السابق، ص ٨٥؛

Jaar Pennar, The U. S. S. R, and the Arabs, The Ideological Dimension, Billing and Sons Limited, (London, 1973), p.78.

المبحث الثاني

العلاقات المصرية – السوفيتية آذار ١٩٦٨ – آب ١٩٧٠

– توجه القيادة المصرية نحو طلب الدعم السوفيتي:

تركزت جهود القيادة المصرية، في المرحلة التي تلت الهزيمة العسكرية في حزيران ١٩٦٧، على الموازنة بين الجهود السياسية، الداعية لانسحاب (إسرائيلي) من الأراضي العربية المحتلة، والجهود العسكرية المتمثلة بضرورة إعادة بناء القوات المسلحة المصرية، وإعدادها لخوض معركة جديدة مع (إسرائيل). وقد أصبح الخيار العسكري محتملاً، بعد فشل الجهود الدبلوماسية المبذولة خلال عام ١٩٦٨، للوصول إلى إنسحاب (إسرائيلي) من الأراضي العربية المحتلة، وفقاً لقرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧.

لقد ترتب على الخسائر الكبيرة التي تعرض لها الجيش المصري بعد حرب ١٩٦٧، أن أصبحت ج. ع. م، بحاجة ماسة إلى السلاح السوفيتي، وإلى كميات كبيرة منه لإعادة بناء القوات المسلحة المصرية، وكلما تزايد الدعم العسكري الأمريكي لـ (إسرائيل)، كلما كانت ج. ع. م، تتقدم بالمزيد من طلبات السلاح إلى الاتحاد السوفيتي^(١).

كان إعتقاد القيادة المصرية على الاتحاد السوفيتي في مسألة التسليح راجعاً لاستعداد الأخير لتقديم المعونة العسكرية دون شروط، وتعويض النقص الحاصل في المعدات العسكرية من جهة، ولكون الجيش المصري قد اكتسب خبرات سابقة في التعامل مع السلاح السوفيتي من جهة ثانية. وبما أن المرحلة كانت حرجية، وتتطلب السرعة في الإعداد والتدريب، لذا اقترحت القيادة المصرية أن يبعث الاتحاد السوفيتي بخبرائه العسكريين لغرض تدريب الجيش المصري، وقد وافق السوفيت على ذلك المطلب، إذ اقنع تحليل أسباب الهزيمة العسكرية قادة الاتحاد السوفيتي بأن إرسال الأسلحة ولاسيما المتطورة منها، لا معنى له إذا لم يتدرب الجيش المصري

(١) رياض، المصدر السابق، ج ١، ص ١٧١.

على استخدامها، ومن هنا لم تعد مهمة الاتحاد السوفيتي مقتصرة على بيع الأسلحة للدول العربية، وانما كذلك إعداد جيوش حديثة وفعالة^(١).

كان تصور القيادة المصرية في تلك الفترة يتمثل في ان تصعيد مستوى الصراع من المستوى الإقليمي إلى مستوى المجابهة المباشرة، بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، من خلال توريط السوفيت إلى جانب العرب، في صراعهم ضد (إسرائيل)، قد يدفع بالقطبين إلى العمل بصورة أكثر جدية للوصول إلى تسوية لذلك الصراع^(٢).

إلا ان تصعيد الصراع إلى مستوى المجابهة المباشرة، كان يعني وضع القدرة السوفيتية أمام اختبار فعلي في مواجهة القدرة الأمريكية، وما سينتج عن ذلك من مخاطر على مكانة السوفيت وهيبته أمام حلفائهم وإمام الرأي العام العالمي. فضلاً عن الآثار السلبية التي ستركها ذلك التصعيد على مسيرة العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة. ووفقاً لذلك عمل السوفيت دائماً على تشجيع خيار التسوية السلمية السياسية للصراع العربي - (الإسرائيلي)، وتفضيله على الخيار العسكري^(٣).

وشهدت تلك الفترة خلافات داخل الاتحاد السوفيتي بين القادة العسكريين والسياسيين، وقد تبين آنذاك بان مجموعة العسكريين كانت تؤيد الاستجابة للمطالب العربية في الحصول على أسلحة أكثر تطوراً، في حين كان السياسيون أكثر حذراً، إذ كانوا يخشون هزيمة أخرى تتعرض لها الجيوش العربية، مماثلة لما حدث عام

(١) دانكوس، المصدر السابق، ص ١٣٢، بينما هناك من يرى ان تدخل الخبراء السوفيت في نظام الدفاع الجوي المصري جاء نتيجة للحرص السوفيتي، بعد تجربة ١٩٦٧ - التي وقعت فيها كميات كبيرة من السلاح السوفيتي في يد (إسرائيل) - على حصر استعمال الأجهزة المتطورة بهم وحدهم. جورج قرم، انفجار المشرق العربي - من تأميم قناة السويس إلى غزو العراق، ١٩٥٦-٢٠٠٦، ط ١، ترجمة: محمد على مقلد، دار الفارابي، (بيروت، ٢٠٠٦)، ص ٢١٠.

(2) Karen Dawisha, Soviet Foreign Policy Towards Egypt, (London, 1979), p.56.

(٣) روبرت اوين فريدمان، السياسة السوفيتية تجاه الشرق الأوسط منذ عام ١٩٧٠، الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة، تسلسل (٧٢٣)، (القاهرة، د.ت)، ص ٤٧.

١٩٦٧ (١). ومن المرجح ان الحكومة المصرية كانت على دراية بذلك الانقسامات ومن خلال ذلك تمكنت من المناورة والحصول على بعض الأسلحة التي أرادتھا (٢).

ومنذ عام ١٩٦٨، استطاع السوفيت إقناع العرب بان قواتهم البحرية لا تحتاج لموائى للتزود بالوقود والمؤن فحسب، بل تحتاج أيضاً لقوة دعم جوية، وتدريباً بدأ وجود الأسطول السوفيتي المتزايد بسرعة، يشكل تبريراً لإقامة المنشآت العسكرية والتقنية، وقد زاد ذلك من مكانة الاتحاد السوفيتي، دون أن يشكل تهديداً مباشراً للأسطول الأمريكي (٣).

كان التأييد السوفيتي للموقف العربي حاضراً، خلال تلك الفترة، وفي ٢٢ آذار ١٩٦٨ نددت صحيفة برافدا السوفيتية بالعدوان (الإسرائيلي)، ووصفت ادعاءات الجانب الإسرائيلي، بحدوث هجمات من قبل الجانب العربي بأنها ليست إلا ستاراً تغطي به رغباتها في الاستمرار بالاعتداء على الدول العربية (٤).

وخلال الفترة ٢٢ آذار - ٢ نيسان ١٩٦٨ سافر سيرجي فيو غرادوف السفير السوفيتي في القاهرة، (١٩٦٧-١٩٧٠)، إلى الاتحاد السوفيتي لإجراء مشاورات مع حكومة بلاده بشأن الموقف في الشرق الأوسط (٥).

ولم تخلُ تلك الفترة من زيارات متبادلة بين الجانبين فخلال الفترة ٣١ آذار - ٢ نيسان قام اندريه غريشكو (وزير الدفاع السوفيتي)، بزيارة رسمية إلى القاهرة، كما قام محمود رياض (٦) وزير الخارجية المصري (١٩٦٤-١٩٧٢). بزيارة رسمية

(١) هالبيدي، المصدر السابق، ص ٦٨.

(2) Haikl, Op. Cit., p.253.

(٣) دانكوس، المصدر السابق، ص ١٣٢.

(٤) نقلاً عن: صحيفة الأخبار (المصرية)، العدد ٤٩٠٩، ٢٢/٣/١٩٦٨.

(٥) صحيفة الأخبار (المصرية)، العدد ٤٩٣٧، ٢٤/٤/١٩٦٨.

(٦) عسكري ورجل دولة مصري ولد عام ١٩١٧، تخرج في الكلية الحربية. بمصر عام ١٩٣٦، تم تعيينه سفيراً لمصر في سوريا عام ١٩٥٥، واشترك مع الوفد المصري في توقيع اتفاقية الوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨، عين مستشاراً للشؤون السياسية للرئيس عبد الناصر، خلال الفترة (١٩٥٨-١٩٦٢)، ومندوب مصر الدائم في الأمم المتحدة عام ١٩٦٢، ووزيراً للخارجية المصرية من ١٩٦٤-١٩٧٢، ثم أمين عام جامعة الدول العربية في حزيران ١٩٧٢، استقال من منصبه في آذار ١٩٧٩ توفي عام ١٩٩٢. د. ع. و، مصر - سير وتراجم، محمود رياض، ١-١٩٠٣.

للاتحاد السوفيتي خلال الفترة ١٨-٢٠ نيسان ١٩٦٨. ونظراً لأهمية الزيارة التي قام بها الرئيس المصري جمال عبد الناصر للاتحاد السوفيتي خلال الفترة ٤-٦ تموز ١٩٦٨، ارتئينا ان نوليها شيئاً من التفصيل.

- زيارة الرئيس المصري جمال عبد الناصر للاتحاد السوفيت تموز ١٩٦٨ :

في ٤ تموز ١٩٦٨، قام الرئيس المصري جمال عبد الناصر بزيارة للاتحاد السوفيتي، بعد أن وجهت له دعوة رسمية من الحكومة السوفيتية، وقد إستقبل الرئيس المصري بحفاوة كبيرة في موسكو، ومثلت المحادثات التي جرت بين قادة الاتحاد السوفيتي والرئيس المصري مرحلة جديدة ومهمة، في مسألة تعميق أسس الصداقة بين الجانبين^(١). وقد جرت خلال تلك الزيارة مباحثات واجتماعات ودية، بدأت في ٥ تموز ١٩٦٨، وتم فيها تبادل وجهات النظر حول تطور العلاقات بين الاتحاد السوفيتي و ج. ع. م، وحول الوضع في الشرق الأوسط وكيفية إزالة آثار الحرب، وحول القضايا العالمية التي تهم البلدين، وقد تركز الاهتمام أذنء المباحثات على الوضع الذي نشأ في الشرق الأوسط، نتيجة عدوان (إسرائيل) على الدول العربية، وإعتبار ذلك العدوان حلقة خطيرة في سلسلة الإستعمار العالمي^(٢).

وقد ألقى ليونيد برجنيف في تلك المناسبة خطاباً ومما جاء فيه ((... ان الاتحاد السوفيتي يقدر تقديراً عالياً جهود حكومة ج. ع. م، والجهود التي يبذلها الرئيس المصري جمال عبد الناصر شخصياً من اجل التسوية السياسية للصراع، وتحقيق جبهة موحدة معادية للإمبريالية من الدول العربية، في النضال ضد العدوان الإسرائيلي))^(٣).

وأعرب الرئيس المصري في كلمة له عن امتنان شعب ج. ع. م للدور المهم الذي يقوم الاتحاد السوفيتي به شعباً وقيادة في النضال من أجل عالم خالٍ من الإستعباد والاستغلال الاقتصادي، وأكد الرئيس المصري في كلمته على ((ان الهدف

(١) صحيفة ازفيستيا، العدد ١٦١، ١٢/٧/١٩٦٨.

(٢) نشرة وكالة نوفوستي الصحافية، يصدرها المكتب الصحافي لدى سفارة الاتحاد السوفيتي في دمشق، العدد ٦٨٩ في ١١/٧/١٩٦٨، ص ٢.

(٣) المصدر نفسه، العدد ٦٨٥، ٦/٧/١٩٦٨، ص-ص ١-٢.

الأساسي والأول، أمام شعوب امتنا العربية هو إزالة آثار العدوان كلياً، مهما تكن المصاعب والتحديات التي يتطلبها ذلك))^(١).

كما بحث الجانبان مسائل تطوير العلاقة بين الاتحاد السوفيتي و ج. ع. م، وعبر الجانبان عن ارتباطهما العميق بشأن تطوير التعاون الصادق بين البلدين في الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية كما استعرضا عدداً من التدابير العملية الرامية إلى استمرار ذلك التعاون، وقد أشار الجانبان إلى أهمية تقوية الاتصالات بين الأجهزة الحكومية، بغرض تعزيز التعاون في ميدان العلم والثقافة والفن واتفق الجانبان على القيام بالمساهمة في تطوير تلك العلاقات والاتصالات على نطاق واسع كما رحب الجانبان بإنشاء الاتصالات الودية وتطويرها بين الحزب الشيوعي السوفيتي والاتحاد الاشتراكي العربي في ج. ع. م.^(٢).

وقد تحدثت صحيفة برافدا السوفيتية عن تلك الزيارة واصفة تأكيد الجانبين ضرورة العمل على انسحاب القوات (الإسرائيلية) إلى خطوط ما قبل حرب حزيران ١٩٦٧، بأهم ما أسفرت عنه تلك الزيارة، مؤكدةً على ان ((زيارة الرئيس جمال عبد الناصر للاتحاد السوفيتي قد زادت من تدعيم علاقات الصداقة السوفيتية - العربية))^(٣).

وقد حظي تأكيد خطابي القيادتين المصرية والسوفيتية على الموقف المشترك من ما سمي في حينه بـ (أزمة الشرق الأوسط)، والإصرار على تصفية آثار العدوان، بدون تحقيق الطرف (الإسرائيلي) لأي مكاسب، باهتمام بالغ في الأوساط الدبلوماسية السوفيتية^(٤).

ان إشارة الجانبان في بيانهما المشترك على إمكانية حل الأزمة الناجمة عن حرب ١٩٦٧ بالطرق السلمية، والتوصل إلى تسوية لتلك الأزمة من خلال قرار

(١) المصدر نفسه، ص ٢؛ "بيان مصري سوفيتي مشترك صدر بمناسبة زيارة الرئيس جمال عبد الناصر، رئيس ج. ع. م، للاتحاد السوفيتي"، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٨، ط ١، (بيروت، ١٩٧٠)، ص ٥٤.

(٢) نشرة وكالة نوفوستي الصحافية العدد ٦٨٩، ١١/٧/١٩٦٨، ص ٤-٥.

(٣) نقلاً عن: صحيفة أخبار اليوم (القاهرة)، العدد ١١٢٣٦، ١٣/٧/١٩٦٨.

(٤) نقلاً عن: صحيفة الأهرام، العدد ٢٩٧٩٤، ٧/٧/١٩٦٨.

مجلس الأمن رقم (٢٤٢) في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧^(١). يمثل إشارة إلى استمرار الضغط السوفيتي على ج. ع. م، لتجنب الاصدام مع الجانب (الإسرائيلي)، وتأكيد السوفيت على ضرورة عدم تصعيد الموقف وتجنب الخيار العسكري، الذي سيؤدي بدوره إلى إحراج جديد للموقف السوفيتي في المنطقة، طالما ان هناك خيار سياسي يمكن ان تتم تسوية القضية من خلاله.

ويلاحظ ان القادة السوفيت لم يكشفوا خلال مباحثاتهم عن توقعات ذات نتائج مطمئنة للجانب المصري بخصوص الوصول إلى حل سياسي يرضي الأطراف العربية، بل اكتفوا بتريد موقفهم القديم بضرورة السعي إلى حل سياسي والتمسك بقرار مجلس الأمن^(٢).

بينما هناك من يشير إلى ان القيادة المصرية طرحت في تلك الزيارة مسألة ضرورة المواجهة العسكرية مع (إسرائيل)، وأن يتم ذلك من خلال اشتباكات تستنزف قوة (إسرائيل)، وتهدد خطوط مواصلاتها، على اعتبار ان (إسرائيل) دولة صغيرة تستنزفها الحروب الطويلة، بينما تتفوق في الحروب الخاطفة^(٣).

وأثناء مغادرته للاتحاد السوفيتي بعث عبد الناصر ببرقية إلى برجذيف جاء فيها ((لي الشرف وأنا أأغار الاتحاد السوفيتي أن أبعث إليكم من صميم قلبي أيها الصديق العزيز والقادة السوفيت الآخرين بتحياتي الصادقة واحترامي الخالص))^(٤).

(١) صحيفة ازفستيا، العدد ١٦١، ١٢/٧/١٩٦٨.

(٢) صحيفة الصفاء (بيروت)، ١٢/٧/١٩٦٨، أرشيف دار البعث (دمشق) رقم الرمز ١/٢/١١/٦/١.

(٣) عند مغادرته الاتحاد السوفيتي، ترك عبد الناصر للفريق أول عبد المنعم رياض (١٩١٩-١٩٦٩)، رئيس أركان حرب القوات المصرية آنذاك، مهمة استكمال المحادثات مع القادة العسكريين السوفيت، وبيدوا ان رياض تمكن من إقناعهم بضرورة تلك الهجمات، التي ستمنع تركيز القوات الإسرائيلية في سيناء، كما تطرق رياض إلى ضرورة تزويد مصر بمعدات الكترونية تساعد على فك الشفرات الإسرائيلية. ينظر:

برنامج مع هيك، تجربة حياة - الطريق إلى أكتوبر ١٩٧٣ - حرب الاستنزاف، تم عرضه على قناة الجزيرة الفضائية، في يوم الخميس الموافق ١١/٣/٢٠١٠ توقيت العرض: الساعة العاشرة مساءً.

(٤) عند مغادرته الاتحاد السوفيتي ودّع عبد الناصر بمراسيم بالغة الحفاوة. من قبل الشعب والقيادة السوفيتية، وكانت الشوارع الممتدة بين مقر إقامته ومطار (فنوكوفو) مزينة بالأعلام الوطنية

وعندما سافر عبد الناصر مرة ثانية إلى الاتحاد السوفيتي خلال الفترة ٢٦ تموز - ١٧ آب ١٩٦٨، لغرض المعالجة الطبية، أشير حينذاك إلى ان الرحلة لم تكن لغرض العلاج فحسب، بل تخللتها محادثات تستكمل ما تم مناقشته في موسكو حول ضرورة استخدام الخيار العسكري بشكل محدود من اجل تحقيق مكاسب سياسية مناسبة^(١).

- زيارة غروميكو للقاهرة كانون الأول ١٩٦٨ :

قام اندريه غروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي بزيارة رسمية لـ ج. ع. م، خلال الفترة ٢١-٢٤ كانون الأول ١٩٦٨، وقد إستقبلت القيادة المصرية الوزير السوفيتي وأجرت معه محادثات تناولت عدداً من الأمور المتعلقة بالعلاقات الثنائية بين الاتحاد السوفيتي و ج. ع. م، واتفقت وجهة نظر الجانبين خلال تلك المحادثات على ان تحقيق السلام في الشرق الأوسط يقتضي ان تقوم (إسرائيل) بتنفيذ قرار مجلس الأمن، وسحب قواتها من كافة الأراضي العربية التي احتلتها خلال حرب ١٩٦٧^(٢).

وفي تلك الزيارة قدم غروميكو للقيادة المصرية مشروعاً سوفيتياً يتضمن نقاطاً عديدة، أهمها انسحاب القوات (الإسرائيلية)، إلى المواقع التي كانت تشغلها قبل حرب ١٩٦٧، دون أي اتفاق سلام بين العرب و (إسرائيل)، مقابل ان تُعلم الأقطار العربية مجلس الأمن تخليها عن حقها في محاربة (إسرائيل)، كما دعا ذلك المشروع إلى حرية الملاحة في خليج العقبة، وإلى تدويل مدينة القدس، ووضع قوة تابعة للأمم المتحدة على جانبي الحدود، كما أعطى المشروع اقتراحات مفصلة حول عملية

للإتحاد السوفيتي و ج. ع. م، وباللافتات التي تشيد بالصدقة بين البلدين، نشرة وكالة نوفوستي الصحافية العدد ٦٨٩ في ١١/٧/١٩٦٨.

(١) صحيفة الأنوار (بيروت) في ٢٧/٧/١٩٦٨، أرشيف دار البعث (دمشق) رقم الرمز ١/٢/١١/٦/١.

(٢) "بيان مصري سوفيتي مشترك صدر بمناسبة زيارة السيد اندريه غروميكو وزير الخارجية السوفيتي للجمهورية العربية المتحدة" الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٨، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، (بيروت، ١٩٧٠)، ص ٩٦٧.

الانسحاب، إذ يقترح انسحاب (إسرائيل) خلال شهرين إلى خط معين، ثم تسحب (إسرائيل) قواتها بعد ذلك إلى خطوط هـ حزيران ١٩٦٧^(١).

ويبدو ان القيادة المصرية عدت ذلك المشروع نقطة انطلاق لتنازلات جديدة، لذلك رفضت ان تتقدم به باسم ج. ع. م، إلى ممثل الأمم المتحدة، حسب طلب غروميكو، بل فضلت ان يقوم السوفيت بتقديم المشروع إلى الولايات المتحدة^(٢). وفيما بعد رُفضَ المشروع من قبل الولايات المتحدة و (إسرائيل)، بعد أن أبدت الولايات المتحدة عليه تحفظات عدة^(٣).

كما فسرت زيارة غروميكو للقاهرة، بأنها جاءت للاطمئنان على الموقف السياسي الداخلي بعد مظاهرات الطلبة التي حدثت في مطلع كانون الأول ١٩٦٨، وذلك السبب يصلح لتفسير توقيت المشروع السوفيتي، لأن السوفيت كانوا منذ مظاهرات شباط ١٩٦٨، قلقين على الجبهة الداخلية في ج. ع. م من امتداد فترة النزاع^(٤).

(١) توفيق أبو بكر "العلاقات الإسرائيلية - الأمريكية بين حربي ١٩٦٧-١٩٧٣، مجلة قضايا عربية، (بيروت) مجلد (٧)، عدد (٧)، تموز، ١٩٨٠، ص ٧٣.
(٢) من محاضر اجتماعات عبد الناصر الدولية، المصدر السابق، ص ١١٦.
(٣) مجلة قضايا عربية، مجلد (٧)، عدد (٧)، ١٩٨٠، المصدر السابق، ص ٧٣.
(٤) رمضان، تحطيم الآلهة، ج ٢، ص ٢٠٤.

– حرب الاستنزاف(*) والدعم العسكري السوفيتي لـ ج.ع.م:

مع فشل الجهود الدبلوماسية التي بذلت خلال عام ١٩٦٨، في التوصل إلى تسوية سلمية للنزاع العربي – (الإسرائيلي)، على أساس قرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧^(١). وتأكد نيّة الولايات المتحدة في المضي في سياسة دعم (إسرائيل) عسكرياً واقتصادياً^(٢). ومع تزايد تطور القوات المسلحة المصرية، لاسيما بعد وصول المزيد من الأسلحة السوفيتية على اختلاف أنواعها إلى ج.ع.م، ومع بداية عام ١٩٦٨ أخذت عملية إعادة تنظيم الجيش المصري تكتسب قوة دفع أكبر في كافة المجالات، كما زاد تدفق الأسلحة والمعدات السوفيتية الجديدة إلى الجانب المصري، الذي بلغ ذروته عام ١٩٦٩^(٣). وازداد عدد المستشارين والفنيين السوفيت في ج.ع.م منذ صيف ١٩٦٧ الذين توزعوا على جميع القواعد البحرية، والجوية،

(*) حرب الاستنزاف: هي الحرب التي تبنى إستراتيجيتها على فكرة الاستهلاك التدريجي لقوة الخصم، مما يؤدي ذلك إلى إرهاقه، والنيل من معنوياته لأضعافه المستمر، وإنهاء مقدرته على الرد والمقاومة، وقد يتسع النطاق الذي تطبق فيه إستراتيجية الاستنزاف، ليشمل دولة الخصم بأكملها، وأنه قد يقتصر على بعض القطاعات الإستراتيجية المتمثلة في قواته، وأسلحته وصناعاته العسكرية والمدنية، التي تشكل العمود الفقري لمقدرته الإستراتيجية العامة على الثأر والانتقام. عامر رشيد مبيض، موسوعة الثقافة السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، العسكرية-مصطلحات ومفاهيم، منشورات وزارة الإعلام السورية، (دمشق، ١٩٩٩)، ص ٥٩٠.

(١) هناك من يرى أن الولايات المتحدة كانت تسعى لإبقاء الوضع الراهن في الشرق الأوسط أطول فترة ممكنة لتحقيق افتراض هو أن العلاقات السوفيتية – المصرية، ربما في النهاية سوف تشهد حالة من التدهور، في حال غياب أي تسوية أو حل للصراع العربي – (الإسرائيلي)، لذلك لم يكن هناك في الواقع أي مبادرة من جانب الولايات المتحدة للتوصل إلى اتفاق مبكر على الأقل على الجبهة المصرية، ينظر:

Golan, Op.Cit, p.71.

(٢) للتفاصيل حول المساعدات الأمريكية لـ (إسرائيل) خلال تلك الفترة ينظر: طالب يونس، "سياسة أمريكا الخارجية والمواجهة العربية – الإسرائيلية في عهد جونسون"، مجلة شؤون فلسطينية، (بيروت)، العدد (٢٦)، تشرين الأول، ١٩٧٣، ص-ص ٥٠-٥٩.

(٣) في هذا العام وحده تلقت ج.ع.م، أسلحة ومعدات سوفيتية تعادل في حجمها ما ورده الاتحاد السوفيتي إليها خلال اثني عشر عاماً (١٩٥٥-١٩٦٧)، فوزي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤٩؛

George Lenczowski, Soviet advances in the Middle East, (Washington, 1971), p.81.

ومراكز التدريب العسكرية، ولم تكن مهمتهم تقتصر على التدريب في مجال الطيران فحسب بل كانت تتضمن المشاركة في تمارين العمليات العسكرية^(١).

وفي ضوء تلك المعطيات قررت الحكومة المصرية بدء تطبيق إستراتيجية عسكرية جديدة عرفت بحرب الاستنزاف، التي استمرت من أيلول ١٩٦٨ - آب ١٩٧٠.^(٢)

وكان الأساس الذي بني عليه قرار الحكومة المصرية بشن حرب الاستنزاف، يتمثل في انه إذا أمكن تكبيد (الإسرائيليين) خسائر كبيرة في الأرواح، وأيضاً إذا أجبروا على الاحتفاظ بقواتهم في حالة تعبئة دائمة لفترة طويلة، فأن الثمن سوف يكون باهظاً، بل وغير محتمل بالنسبة لدولة صغيرة بحجم (إسرائيل)^(٣).

ومنذ أيلول ١٩٦٨^(٤)، بدأت المدفعية المصرية قصفها للمواقع (الإسرائيلية) على طول القناة، محدثة خسائر كبيرة بالقوات (الإسرائيلية)، وفي تشرين الأول ١٩٦٨، عادت المدفعية المصرية إلى قصف وتدمير الصواريخ (الإسرائيلية) في معركة اعتبرت تطبيقاً عملياً لسياسة (الدفاع الوقائي). وعلى ذلك الذحو بدأت أولى مراحل حرب الاستنزاف^(٥).

(١) مانغولد، المصدر السابق، ص ٣١٩.

(٢) محمود عزمي، "اضواء على خيرات حرب الاستنزاف"، مجلة دراسات عربية، العدد (٨)، ١٩٧٣، ص ٦٣. مع ذلك فان هناك من يشير إلى ان امتناع الاتحاد السوفيتي عن تجهيز مصر بالأسلحة الهجومية، هو الذي دفع بالقيادة المصرية لخوض حرب استنزاف بدلاً من الهجوم الشامل على إسرائيل،

Dina Rome Spechler, "The U. S. S R. and Third. World conflicts: Domestic Debate and Soviet policy in the Middle East 1967-1973" world politics, Vol. 38, No. 3, (Apr, 1986), p.437.

(٣) مقلد، المصدر السابق، ص ٣١١.

(٤) هناك تضارب في الرأي حول البداية الفعلية لحرب الاستنزاف، فبينما يرى الفريق عبد المنعم واصل ان البداية الفعلية لها كانت في آذار ١٩٦٩، يرى المؤرخ المصري عبد العظيم رمضان ان بداية حرب الاستنزاف كانت في يوم الأحد ٨ أيلول ١٩٦٨. عبد المنعم واصل، الصراع العربي - الإسرائيلي، مكتبة الشروق الدولية، (القاهرة، ٢٠٠٢)، ص ١٥٣؛ رمضان، تحطيم الآلهة ج ٢، ص ٨.

(٥) رمضان، تحطيم الآلهة، ج ٢، ص-ص ٨-٩.

وأمام تلك التطورات، اضطرت (إسرائيل) إلى الدفع بقواتها الجوية إلى المعركة في محاولة للتأثير على إصرار الحكومة المصرية على الاستمرار في تلك الحرب من خلال الغارات الجوية في العمق المصري، ثم على الأهداف المدنية، تلك الغارات التي كانت سبباً في تأخير استكمال القيادة المصرية لبناء حائط الصواريخ على الضفة الغربية لقناة السويس إلى ما بعد مبادرة روجرز^(*) في ٨ آب ١٩٧٠ (١).

لقد هدفت (إسرائيل) من وراء ذلك إلى إجبار القيادة المصرية على تشتيت قواتها، وإبعادها عن جبهة المواجهة الرئيسية عند خط القناة، وأرادت في الوقت ذاته إقناع الطرف المصري بأنها تملك الإمكانيات الهجومية القادرة على نقل الحرب إلى عمق الأراضي المصرية، وما سيجرتب على ذلك من خسائر بشرية فادحة لـ ج. ع. م^(٢) وكانت التقارير البريطانية تشير إلى أن حرب الاستنزاف حرب محدودة، ولكن من الممكن أن تزداد خطورة إذا لم يتوصل الطرفان إلى حل سلمي^(٣).

إزاء اشتداد حدة حرب الاستنزاف متمثلة بقصف مدفعي مصري شامل للمواقع (الإسرائيلية) على طول القناة منذ آذار ١٩٦٩، وما نتج عن ذلك من رد فعل (إسرائيلي) عذيف على العمق المصري، وعجز الدفاعات الجوية المصرية عن حماية ذلك العمق، بسبب تركزها على الجبهة فقط، اضطرت القيادة المصرية إلى طلب المعونة السوفيتية.

-الدعم السوفيتي لـ ج. ع. م في حرب الاستنزاف:

عندما أعلنت القيادة المصرية عن بدأ حرب الاستنزاف ضد (إسرائيل) فإن الحكومة السوفيتية ووسائل إعلامها تحفظت على ذلك الإجراء، ولم تظهر تجاوباً معه، لكن عندما تبين للسوفيت مع مرور الوقت، أن فرص التوصل إلى اتفاقية

(*) سيجري التطرق لهذه المبادرة لاحقاً.

(١) واصل، المصدر السابق، ص ١٥٣، لقد أعادت حرب الاستنزاف إلى الجيش المصري معنوياته، لكنها كلفت الاقتصاد المصري غالباً بسبب العمليات الانتقامية الإسرائيلية الواسعة النطاق، قرم، المصدر السابق، ص ٢١٠؛ بيتر مانسفيلد، تأريخ مصر الحديث والشرق الأوسط، ترجمة: عبد الحميد فهمي الجمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٦)، ص ٢٨٥.

(٢) مقلد، المصدر السابق، ص ٣١٣.

(3) PRO. F.C.O 17/1363 Military situation in the U. A. R from the British Ambassador in Cairo To Foreign Office and Commonwealth, 11 February, 1970.

مقبولة من خلال مباحثات الدول الأربع الكبرى (الولايات المتحدة، الاتحاد السوفيتي، بريطانيا، فرنسا)، أصبحت ضعيفة أو معدومة، حينها اقترب الموقف السوفيتي أكثر من الموقف المصري^(١).

وقد لعب الاتحاد السوفيتي دوراً كبيراً في تزويد ج. ع. م، بحاجتها من مختلف أنواع الأسلحة، فضلاً عن الدعم السياسي السوفيتي للقضية العربية خلال تلك الفترة، ويبدو ان زيادة حجم الإمدادات العسكرية السوفيتية لـ ج. ع. م ومساندتها السياسية والمعنوية لها، دفع البعض إلى القول: ((ان حرب الاستنزاف تعود في جوهرها إلى إرادتين، إرادة القيادة المصرية في الصمود وإرادة السوفيت في المساندة))^(٢).

لقد أرسل الاتحاد السوفيتي إلى ج. ع. م عدداً كبيراً من الخبراء العسكريين، والطيارين، مع كامل أسلحتهم، ومعداتهم في الوقت الذي كان يمد فيه ج. ع. م بصواريخ ومعدات الكترونية حديثة، غايتها صد الغارات (الإسرائيلية)، إلا ان أهمية الوجود السوفيتي في ج. ع. م، لم تكن مقتصرة على الناحية العسكرية فحسب، بل على ناحية الردع السياسي الفعال كذلك، الذي شكله ذلك الوجود، إذ ان القوة العسكرية السوفيتية في ج. ع. م، لم تكن ذات أهمية كبرى بحد ذاتها، لولا أنها كونت مانعاً سياسياً خطراً حال دون تمكين (إسرائيل) من توسيع ضرباتها على ج. ع. م، وتصعيد حركة الاستنزاف المضاد. وفي المراحل الأخيرة من حرب الاستنزاف تبين ان الاتحاد السوفيتي قرر حماية العمق المصري، وبات من الصعب ان تدخل (إسرائيل) ذلك العمق، دون ان يشكل ذلك تحدياً واضحاً للاتحاد السوفيتي^(٣).

وقد وقع عبء تعويض القوات المسلحة المصرية، ما فقدته في حرب ١٩٦٧ على الاتحاد السوفيتي، وكانت صفقات السلاح الجديدة من الاتحاد السوفيتي، تتم على

(١) أ. إ. أوسيبوف، الولايات المتحدة الأمريكية والدول العربية في السبعينيات وبداية الثمانينيات، ترجمة: محمود شفيق الشعبان، دار دمشق، (دمشق، ١٩٨٤)، ص ٣٢، ينظر كذلك:

Glassman, Op. Cit., p51.

(٢) نقلاً عن: حامد عبد الله ربيع، الحوار العربي - الأوروبي وإستراتيجية التعامل مع الدول الكبرى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت، ١٩٨٠)، ص ٧٣.

(٣) احمد سامح الخالدي، "حرب الاستنزاف" في كتاب: يوسف الصائغ وآخرون، حرب الاستنزاف - حرب عبد الناصر الأخيرة، دار القدس، (بيروت، ١٩٧٨)، ص ٦٨.

شكل اتفاقيات بواقع ثلاث إلى أربع اتفاقيات في السنة، ابتداءً من عام ١٩٦٨، وحتى عام ١٩٧١، وكانت تتم على شكل قروض مالية ذات مميزات وشروط مريحة جداً^(١). وقد وصلت إلى ج. ع. م، خلال حرب الاستنزاف أسلحة سوفيتية حديثة ومتطورة مثل الدبابة نوع ت ٥٥، والطائرة ميج ٢١ المعدلة التي أضيفت إلى تسليح القوات الجوية المصرية قبل ان تعمم في دول شرقية كثيرة^(٢).

وفي ١٨ آذار ١٩٦٩ بدأت شحنات أسلحة سوفيتية كبيرة من صواريخ أرض - جو المتطورة من طراز سام ٣، وأعداد كبيرة من الخبراء السوفيت في الوصول إلى الأراضي المصرية وخلال الأيام القليلة التي تبعت الإعلان عن وصول تلك الصواريخ لـ ج. ع. م، استطاعت الاستطلاعات الإسرائيلية أن ترصد ما يزيد عن ١٥ قاعدة لإطلاق صواريخ سام ٣ موزعة حول القاهرة والإسكندرية، والسد العالي وبعض المطارات، فضلاً عن ذلك قام الاتحاد السوفيتي بتزويد ج. ع. م بصواريخ أرض - جو من طراز سام ٧ (ستريلا)^(*)، المحمولة بواسطة الأفراد والآليات التي تستخدم ضد الطائرات المنخفضة. وبدا واضحاً منذ ذلك التاريخ ان ج. ع. م بدأت تحت إشراف سوفيتي ببناء جدار من الصواريخ المضادة للطائرات على شريط عرضه (٣٠) كيلومتراً ويزيد طوله عن (٧٠) كيلومتراً بموازية قناة السويس، ويتراوح بعده عنها غرباً بين ٣٠-٥٠ كيلومتراً، ويتألف ذلك الجدار من صواريخ سام ٢، المدعمة بمدافع وأجهزة رادارية والإلكترونية للإنذار المبكر، والسيطرة على توجيه تلك الأسلحة، ولتأمين سواثر فعالة من الأسلحة المضادة للطائرات، فقد وزعت بطاريات الصواريخ بشكل متراص، تفصل بينهما مسافات قليلة، أما صواريخ سام

(١) فوزي، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٦؛ كان القرض مقسطاً على أربعين سنة بفائدة بسيطة لا تعدو ٢,٥ %، السيد، من سيناء إلى كامب ديفيد، ص ٣١.

(٢) د. ع. و، مصر - شؤون عسكرية - القوات المسلحة، الأسلحة (١٩٦٧-١٩٨٠)، م- ١٥٠١/٧.

(*) سام ٧ (ستريلا): صاروخ مضاد للطائرات، يطلق من الكتف، ذو نظام توجيه ذاتي، يتبع الأشعة تحت الحمراء، المنبعثة من محركات الطائرات، طوله الإجمالي ١٣٤٦ ملم، ووزنه الإجمالي ١٠,٦ كلغم، ومده ٥٠٠٠ متر. ينظر: الأسلحة الفردية، (إعداد) يزيد الصائغ، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٨٦)، ص ١٩٣.

٣، فقد احتفظ بها لحماية الجبهة في حالة قيام الطائرات المعادية باختراق ذلك الجدار^(١).

وقد بذل الاتحاد السوفيتي جهوداً كبيرة لحماية الطيران والمنشآت المصرية، من احتمال قيام (إسرائيل) بغارات جوية مبكرة، فزودوا ج. ع. م بأجهزة رادار حديثة وأنشأوا مدارج جديدة للطائرات، كما قاموا ببناء حواجز واقية في مطارات عدة، وأوصوا بإبعاد سلاح الطيران عن منطقة القناة وتوزيعه في مناطق متفرقة^(٢).

كما ساهم الاتحاد السوفيتي بدور كبير في مسالة تطوير نظام الدفاع الجوي المصري، ومن المشاكل التي واجهها الخبراء السوفيت في ذلك المجال هي مسألة تحليق الطائرات (الإسرائيلية) بارتفاع منخفض أي ما يقارب (٥٠-٨٠ متراً) وكانت أنظمة الصواريخ المتواجدة في ج. ع. م لا تستطيع رؤية العدو على ارتفاع منخفض، إذ كان الحد الأدنى للرادارات لرؤية الأهداف الجوية يتراوح بين (٣٠٠-٥٠٠ متر)، وقد وجد الخبراء السوفيت ان تلك المشكلة لا يتم حلها، إلا إذا أرغمت الطائرات (الإسرائيلية) على التحليق في ارتفاع أعلى، وان ذلك يتطلب إرسال ما لا يقل عن ١٨ أو ٢٠ وحدة من منظومة ١٢٥ × أو سام-٣، إلى ج. ع. م، وتلك المنظومة مخصصة للتعامل مع الأهداف المنخفضة الارتفاع، إذ يكون الحد الأدنى فيها للإصابة ٥٠ متراً، وبعد التحديث قد يصل إلى ٢٠ متراً، مع ضرورة تزويد ج. ع. م، بما لا يقل عن ١٠٠ مجمع مضاد للطائرات من طراز ستريلا^(٣).

وبوصول صواريخ ستريلا، التي تتميز بسهولة استخدامها وتخصصها بالأهداف المنخفضة الارتفاع، ووجود نظام إنذار متطور من خلال تدريب الجنود المصريين الذين سلمت لهم أجهزة مصممة على أساس البوصلة، لتحديد إحداثيات تحليق الطيران المعادي، بذلك يمكن بسرعة جمع المعلومات من المراقبين المرابطين

(١) كمال السعدي، "الصراع الالكتروني في حرب ١٩٧٣"، مجلة قضايا عربية (بيروت) العدد (٧-٨)، السنة الثانية، تشرين الأول ١٩٧٥، ص ١٥٤.

(٢) ه. أ. هانتز، التورط السوفياتي في الشرق الأوسط، ترجمة: مروان خير، دار الفكر الحديث، (بيروت، ١٩٧١)، ص ٦٥.

(٣) لقاء مع ليونيد غور شكوف (نائب رئيس لجنة التصنيع العسكري السوفيتية ١٩٦٦-١٩٨٦)، ج ١، ضمن برنامج رحلة في الذاكرة، تم عرضه على قناة روسيا اليوم، في يوم الجمعة الموافق ٢٠٠٩/٤/١٠، توقيت العرض: الساعة الثامنة والنصف مساءً.

على ضفة القناة كافة تقريباً، وتأمين الإنذار المبكر، نتيجة لذلك كان نظام الدفاع الجوي المصري، قد وصل إلى مرحلة من التطور، جعلت من الصعوبة على الطائرات (الإسرائيلية) اختراقه، وخلال يوم واحد من شهر آب ١٩٦٩، تم إسقاط ست طائرات إسرائيلية بواسطة صواريخ ستريلا^(١).

وحتى منتصف نيسان ١٩٧٠ كان الاتحاد السوفيتي قد ساعد في تعزيز قوات الدفاع الجوي المصرية كثيراً، بحيث أصبحت الغارات الجوية (الإسرائيلية) في العمق المصري لا تمر دون محاسبة، وأظهرت قواعد صواريخ الدفاع الجوي المصري فعالية متزايدة^(٢).

وبواسطة الخبرة العسكرية السوفيتية تحسن أداء القوات المصرية كثيراً ونجحت الصناعة العسكرية المصرية في صنع النماذج البديلة للطائرات، وإقامة مطارات خداعية ووضع تلك النماذج فيها، كما أجاد الجانب المصري في تطبيق المقترحات السوفيتية، وخداع الطيران (الإسرائيلي) من خلال تغيير المواقع الأصلية للصواريخ، وإنشاء مواقع خداعية بديلة، وأعتقد الجانب (الإسرائيلي) أن مواقع جديدة للصواريخ قد تم إنشائها، وقاموا بتوجيه ضرباتهم لتلك المواقع البديلة^(٣).

وأستمر إيفاد الأسلحة السوفيتية لـ ج. ع. م حتى عند انتهاء حرب الاستنزاف في آب ١٩٧٠، ووضع قرار وقف إطلاق النار موضع التنفيذ، إذ استقبلت ج. ع. م حينها المزيد من صواريخ سام ٢ المعدلة، وصواريخ سام ٣ وسائر معدات الإسناد الراداري اللازمة لها، كما حصل الجانب المصري في الأسابيع القليلة التي أعقبت وقف إطلاق النار على معدات سوفيتية حديثة تضمنت المدافع ذاتية الحركة المضادة

(١) لقاء مع ليونيد غورشكوف، برنامج رحلة في الذاكرة، ج ٢، تم عرضه على قناة روسيا اليوم، في يوم الجمعة الموافق ٢٠٠٩/٤/١٧، توقيت العرض: الساعة الثامنة والنصف مساءً.

(٢) يفغيني بريما كوف، الولايات المتحدة الأمريكية والنزاع العربي - الإسرائيلي، ترجمة: علي هورو، ط ٢، دار الفارابي، (بيروت، ١٩٨٠)، ص ٨٩.

(٣) الموقع الخداعي هو عبارة عن برميل يملأ بالرمل الأحمر وعند تفجيره يترك أثراً مشابهاً لأثر الصاروخ المنطلق، لقاء مع ليونيد غورشكوف، المصدر السابق، ج ٢.

للطائرات (شيلكا زد اس. يو ٢٣-٤) وأعداد قليلة من صواريخ سام-٤، المحمولة على عربات مجنزرة، وكلاهما يظهر لأول مرة خارج نطاق حلف وارشو^(*) (١).

ومع نهاية حرب الاستنزاف في آب ١٩٧٠، بلغ عدد العسكريين السوفيت بمن فيهم المستشارون العاملون في القوات المسلحة المصرية ما يقرب من ٢٠ ألف شخص، وكان عدد من المطارات والمجمعات الصاروخية المصرية خاضعاً للرقابة السوفيتية بالكامل^(٢).

تم تدسيق التعاون المصري - السوفيتي، أثناء حرب الإستنزاف من خلال الزيارات الرسمية المتبادلة بين الطرفين وتبادل وجهات النظر خلال عامي (١٩٦٩-١٩٧٠)، التي كان أهمها، زيارة اندريه غروميكو للقاهرة خلال الفترة ١٠-١٣ حزيران ١٩٦٩، وزيارتي جمال عبد الناصر لموسكو ٢٢-٢٥ كانون الثاني ١٩٧٠ و ٢٩ حزيران - ١٥ تموز ١٩٧٠.

- زيارة غروميكو للقاهرة حزيران ١٩٦٩ :

قام أندريه غروميكو وزير الخارجية السوفيتي بزيارة رسمية للقاهرة خلال الفترة ١٠-١٣ حزيران ١٩٦٩، وجرت خلال تلك الزيارة محادثات بين الجانبين المصري والسوفيتي، نوقشت خلالها قضايا عديدة، تتعلق بتطور علاقات الصداقة

(*) حلف وارشو: أو ما يعرف بمعاهدة الصداقة والتعاون والمساعدة المتبادلة التي تم توقيعها في مدينة وارشو عاصمة بولندا، خلال مؤتمر الدول الأوروبية لتأمين الأمن والسلام في أوروبا في ١٤ أيار ١٩٥٥، وهو المنظمة العسكرية التي تقابل حلف شمال الأطلسي في الكتلة الغربية، يتكون الحلف من الاتحاد السوفيتي وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا وبلغاريا وألبانيا ويوغسلافيا وألمانيا الشرقية. للتفاصيل ينظر: حسين اغا وآخرون، الاتحاد السوفيتي وحلف وارشو، ط١، المؤسسة العربية لدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٨٢)، ص ١٦٧ وما بعدها.

(1) PRO. F. C. O 17/1992, Over Sea Affairs (Arab- Israel dispute), 26 March 1970؛ مجلة قضايا عربية (بيروت)، العدد (٧-٨)، ١٩٧٥، المصدر السابق، ص ١٥٦.

(2) Francis Fukuyama , Soviet thrusts To Middle East 1956-1973, by Grant from The Ford Foundation, 1980, p.10.

فاسلييف، روسيا في الشرقين الأدنى والأوسط، المصدر السابق، ص ١١٢٧.

المتبادلة بين البلدين في مختلف الميادين، كما تبادل الجانبين الآراء حول الوضع في الشرق الأوسط^(١).

وكان امر ضروري أن تجري تلك المشاورات في تلك الفترة الحرجة من الصراع العربي (الإسرائيلي)، حتى تكون الحكومة المصرية على بيينة تامة بما تم انجازه في المباحثات التي دارت بين الدول الكبرى، وحتى يكون الاتحاد السوفيتي على علم واضح بموقف القاهرة من كافة القضايا المحددة، والمطروحة للبحث في الاتصالات الدولية^(٢).

كما استعرضت في تلك المباحثات، التطورات الأخيرة في (الموقف الراهن) في الشرق الأوسط، والجهود الدولية المبذولة في سبيل إيجاد تسوية سلمية في المنطقة، وأكد الجاذبان ان إيجاد تسوية سلمية في الشرق الأوسط، يتطلب سحب (إسرائيل) لقواتها من كافة الأراضي العربية التي احتلتها في الخامس من حزيران ١٩٦٧^(٣).

وعلى الرغم مما جاء في البيان المشترك، الذي أعقب تلك المحادثات من اتفاق تام بين الجانبين في وجهات النظر حول أزمة الشرق الأوسط، وإجماع الجانبين على ان الحل يكمن في تطبيق قرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧^(٤). إلا ان هناك من يرى بأن غروميكو أوفد بمهمة خاصة من موسكو، لإقناع عبد الناصر بالموافقة على وضع حد نهائي للحرب مع (إسرائيل)، ووضع قوات دولية تشرف على تطبيق قرارات مجلس الأمن، دون ان يكون وجود تلك القوات مرهوناً بإدارة أي بلد عربي، وان تتمتع (إسرائيل) بحقوق ملاحية متساوية مع العرب في قناة السويس^(٥). وان تتم تسوية سلمية بين (إسرائيل) والأطراف العربية على شكل فردي

(١) مجلة أنباء موسكو، العدد (١٢)، تموز ١٩٦٩، ترجمة: مؤسسة دار البعث (دمشق) في ١٩٦٩/٧/٢١.

(٢) صحيفة الأهرام، العدد ٣٠١٣٧، في ١٩٦٩/٦/١٥.

(٣) "بيان مصري - سوفيتي مشترك بمناسبة زيارة السيد اندريه غروميكو وزير الخارجية السوفيتي للجمهورية العربية المتحدة"، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٩، ط١، (بيروت، ١٩٧١)، ص ٢٤٠.

(٤) صحيفة برافدا (موسكو)، العدد ١٦٦، ١٩٦٩/٦/١٥.

(٥) صحيفة الحياة (بيروت) العدد ٧١٢١، ١٩٦٩/٦/١٤.

وضمن مراحل. وقد قوبل ذلك المشروع برفض القيادة المصرية، وبعد نقاش طويل طمأن غروميكو، الحكومة المصرية بأن الاتحاد السوفيتي سوف لن يوافق على تسوية لا يقبل بها العرب^(١).

- زيارة الوفد الحكومي المصري برئاسة أنور السادات للاتحاد السوفيتي كانون الأول ١٩٦٩ :

خلال الفترة ٩-١٢ كانون الأول ١٩٦٩، قام وفد حكومي مصري برئاسة أنور السادات الممثل الشخصي لجمال عبد الناصر، وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي، بزيارة رسمية للاتحاد السوفيتي، تلبية لدعوة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي والحكومة السوفيتية، وقد ضم الوفد كل من محمود رياض (وزير الخارجية المصري) والفريق أول محمد فوزي، (وزير الحربية المصري)^(٢)

وجرت أثناء تلك الزيارة مباحثات بين الوفد المصري والحكومة السوفيتية أولت اهتماماً خاصاً للوضع في الشرق الأوسط، ويقول محمود رياض في مذكراته ((منذ البداية لاحظت أثناء اجتماعاتنا مع القادة السوفيت ان لديهم قلقاً كبيراً بسبب تصاعد العمليات العسكرية على جانبي القناة، وانهم متخوفون من قيامنا بعمل عسكري مبكر لعبور قناة السويس))^(٣). وأثناء تلك المباحثات اتفق الجانبان على ان الوضع في الشرق الأوسط، يقتضي اتخاذ إجراءات عاجلة وبناءة، ترمي إلى إزالة أثار العدوان، وان الشرط الرئيسي في تسوية الصراع، هو سحب القوات (الإسرائيلية) من الأراضي العربية المحتلة، وإزالة جميع أثار حرب ١٩٦٧^(٤).

ونوه الجانبان بارتياح إلى التطور الواسع للتعاون الشامل في مختلف المجالات بين الاتحاد السوفيتي و ج. ع. م، واتفقا على الخطوات العملية الرامية إلى متابعة

(١) وليام ب. كوانت، عملية السلام - الدبلوماسية الأمريكية والنزاع العربي الإسرائيلي منذ ١٩٦٧، ط١، ترجمة: هشام الدجاني، مكتبة العبيكان، (الرياض، ٢٠٠٢)، ص١٣٨؛ صحيفة نيوزويك (واشنطن)، ١٩٦٩/٦/٢٣، ترجمة: مؤسسة دار البعث، (دمشق) في ٢٣ حزيران ١٩٦٩.

(2) Aron S. Klieman, Soviet Russia and The Middle East, by the Jon Hopkins press, (U. S. A, 1970), p.53.

(٣) رياض، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٤.

(٤) مجلة السياسة الدولية، (القاهرة)، العدد (٤٥)، السنة الثانية عشر، ١٩٦٧، المصدر السابق، ص٢٢٩.

تطوير ذلك التعاون الشامل، كما أكد الجاذبان على الأهمية الفائقة لروابط الصداقة القائمة بين الحزب الشيوعي السوفيتي والاتحاد الاشتراكي العربي في ج. ع. م، وأكدوا أهمية متابعة تطوير تلك العلاقات لصالح تعزيز الصداقة بين شعبي البلدين^(١). في أثناء تلك الزيارة تطرق السادات إلى الموقف السياسي مبيناً أن الحل السلمي قد وصل إلى طريق مسدود، وأضاف السادات قائلاً: ((إلا أننا نواصل الاتصالات السياسية مع تصميمنا على أن يكون الحل شاملاً وليس جزئياً)). ثم تحدث برجنيف مؤكداً مساعدة الاتحاد السوفيتي للجيش المصري ليصبح قادراً على الهجوم وتحرير سيناء، لكنه يسعى في نفس الوقت من أجل الوصول إلى حل سلمي^(٢).

وعندما دخلت المباحثات في تفاصيل الموقف العسكري أشار برجنيف إلى ضرورة مواصلة التدريب وتشكيل احتياطي كافٍ، وأبدى استعداداً لاستقبال أعداد كبيرة من الطيارين المصريين لتدريبهم في الاتحاد السوفيتي، ثم أضاف برجنيف أن الاتحاد السوفيتي قد اختار من جانبه أكثر من (٦٠) طياراً سوفيتياً، سيسافرون إلى ج. ع. م خلال شهر لممارسة مهامهم كخبراء^(٣).

ونظراً لضعف الدفاع الجوي المصري فإن الاتحاد السوفيتي قرر إرسال مجموعة كبيرة من الصواريخ الحديثة سام ٣ ، ومعها أجهزتها الكاملة لتدريب الجنود المصريين عليها^(٤).

- زيارة الرئيس المصري جمال عبد الناصر للاتحاد السوفيتي كانون الثاني ١٩٧٠ :

بعد أن طرأت مستجدات غير محسوبة على الجبهة المصرية - (الإسرائيلية)، نتيجة لتدمير مواقع الصواريخ المصرية (أرض- جو)، المذنبية على امتداد جبهة القناة جميعاً، مما صار من الصعب على الطائرات الاعتراضية المصرية أن تقوم بدورها في الاشتباكات الجوية، مما ترك القوات المدرعة المصرية مكشوفة تماماً أمام هجمات الطيران (الإسرائيلي)، وبحلول كانون الثاني ١٩٧٠، كانت الطائرات

(١) نشرة وكالة نوفوستي الصحافية، العدد ١١٠٧، ١٣/١٢/١٩٦٩، ص ٢.

(٢) فوزي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٠.

(٣) رياض، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢٥.

(٤) فوزي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٠.

(الإسرائيلية) تطير كما يحلو لها في الأجواء الشرقية لـ ج.ع.م^(١). نتيجة لكل ذلك قرر الرئيس المصري ان يسافر إلى موسكو في ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٠، مصطحباً معه الفريق أول محمد فوزي (وزير الحربية المصري)، ومحمد حسنين هيكل (وزير الإرشاد المصري)، وسيرجي فينو غرادوف (السفير السوفيتي في القاهرة)، والجنرال كاي تشكين الذي خلف الجنرال لاشنكوف رئيساً لفريق الخبراء العسكريين السوفيت^(٢). ونتيجة لتطور الأحداث، وصعوبة الموقف على الجبهة قرر عبد الناصر البدء بالمحادثات مع القادة السوفيت حال وصوله إلى موسكو، وتعهد عبد الناصر تصعيد المبادرات وتحريكها لدرجة انه هدد أمام القادة السوفيت، بترك الحكم لزميل له، يمكنه التفاهم مع الولايات المتحدة، وأوضح لهم بأن الشعب المصري يمر بمرحلة حرجية، فأما أن تستسلم القيادة المصرية لطلبات (إسرائيل)، أو تستمر في القتال^(٣). وأمام عجز الدفاع الجوي المصري عن صد الغارات (الإسرائيلية) على العمق المصري طالب الرئيس المصري، القادة السوفيت بوحدة كاملة من طائرات الميج ٢١-، المعدلة مع طيارين سوفيت، وأجهزة رادار متطورة للإنذار والتتبع بأطقم سوفيتية^(٤).

وبرر عبد الناصر مطالبه ذلك بأن تدريب القوات المصرية على استخدام

صواريخ

سام-٣ يحتاج إلى فترة زمنية لا تقل عن ستة أشهر، وذلك يعني ان ج.ع.م، ستبقى فترة الستة أشهر، معرضة للغارات (الإسرائيلية)، وأوضح عبد الناصر انه لا يطلب

(١) فريدمان، المصدر السابق، ص ٤٧؛ مقلد، المصدر السابق، ص ٣١٥؛ موري روبشتاين و ريتشارد غولدمان، قصة القوة الجوية الاسرائيلية، ترجمة: عبد الرحمن عطوه، دار الاندلس، (بيروت، ١٩٨١)، ص ١٢٢.

(٢) محمد حسنين هيكل، الطريق إلى رمضان، ترجمة: يوسف الصباغ، دار النهار للنشر، (بيروت، ١٩٧٥)، ص ٨١.

(٣) فوزي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٧؛

Raymond William Baker, Egypt's uncertain Revolution under Nasser and Sadat, Harvard university press, (London, 1978), p.121.

(٤) فوزي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٧؛

William B. Quandt "the Middle East conflict in U.S.A strategy, 1970-1971", Journal of Palestine studies Vol, 1, No. 1, (Autumn, 1971) p.44.

وضع الخبراء السوفيت في الصفوف الأمامية، بل سيتترك أمر تشغيل الصواريخ على القناة للمصريين، وان ما يطلبه من السوفيت هو القيام بمهمة تشغيل الصواريخ في العمق المصري^(١).

وقد اقتنع القادة السوفيت إلى حد ما بكلام الرئيس المصري، إلا أنهم أجابوه بأن الصواريخ ليست إلا جزءاً من نظام دفاعي معقد يشمل استخدام الطائرات أيضاً، وعندها قال عبد الناصر ((لا بأس أرسلوا الطائرات أيضاً))، وهنا تحفظ السوفيت على اعتبار ان تلك الخطوة سترتب عليها آثار دولية خطيرة، قد تؤدي بالنهاية إلى مواجهة محتملة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، وقد تردد القادة السوفيت قبل ان يوافقوا على مساعدة عبد الناصر، فمن ناحية قد يؤدي الفشل في مساعدته، إلى قيام عناصر في القيادة المصرية اقل وداً للاتحاد السوفيتي بإخراج الرئيس المصري من الحكم، ثم ان القواعد الجوية التي سوف يشرف عليها الاتحاد السوفيتي يمكن ان يستخدمها الطيارون السوفيت لا لكي يعترضوا طريق القوات (الإسرائيلية) فحسب، بل لكي يقوموا بمهام الطيران لتغطية الأسطول السوفيتي في البحر المتوسط، الأمر الذي ينطوي على فائدة إستراتيجية كبيرة للقادة السوفيت، لان الاتحاد السوفيتي لم يكن يمتلك في ذلك الوقت حاملات طائرات خاصة به، وكانت الحجة النهائية في تأييد الالتزام السوفيتي لـ ج. ع. م، هي ان ذلك سيكون إشعاراً للعالم العربي بأن الاتحاد السوفيتي حليف يعتمد عليه^(٢).

وقد يكون لبعض الأحداث الدولية ذات الصلة المباشرة بالاتحاد السوفيتي في تلك الفترة دور في ذلك التردد السوفيت في تقديم مساعدات كبيرة تدفعه إلى حد المواجهة مع الولايات المتحدة، فالنزاع الصيني – السوفيتي مثلاً، قد يكون له اثر في ذلك. ففي الوقت الذي لم تكن فيه الصين قد تورطت في شؤون الشرق الأوسط، فان نزاعها مع الاتحاد السوفيتي^(٣) تطور في عام ١٩٦٩، في عدد من اشتباكات الحدود،

(١) محمد حسنين هيكل، أكتوبر ٧٣، السلاح والسياسة، ط١، دار الشروق، (القاهرة، ٢٠٠٤)، ص ١٤٤.

(٢) فريدمان، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٣) للتفاصيل حول بدايات الخلاف الصيني – السوفيتي ينظر:

David Floyd, Mao against Khrushchev, a short History of The Sino – Soviet conflict, western printing services LTD, (London, 1964), p.130 and after.

وتبين من تلك الاشتباكات مطالبة الصين بأجزاء كبيرة من سيبيريا السوفيتية^(١). وربما كان احتمال إقدام الصين على اغتنام الفرصة، واقتحام سيبيريا، في حالة دخول السوفيت حرباً كبيرة في الشرق الأوسط، حاضراً في أذهان القادة السوفيت. كما إن شرائح مختلفة من الشعب السوفيتي بين خبراء اقتصاديين وقادة عسكريين، كانت تنظر بشك إلى الجدوى الاقتصادية لشحنات الأسلحة السوفيتية إلى الشرق الأوسط، ويرى هؤلاء أن الاقتصاد السوفيتي ما زال بحاجة إلى السلع الرأسمالية، وهم لا يجدون سبباً يجعل الحكومة السوفيتية تفضل إعطاء تلك المعونات لدول تحكم من قبل حكام غير شيوعيين، حكماً (لا يتسم بالكفاءة)، وكان الرأي منقسماً كذلك بين خبراء السياسة الخارجية^(٢).

إلا أن الرئيس المصري تمكن خلال تلك الزيارة أن ينتزع من القيادة السوفيتية الموافقة على الإمدادات الآتية: ٣٢ كتيبة صواريخ سام - ٣ كاملة بأجهزتها ومعدات وأطقمها السوفيتية، لتكوّن فرقة دفاع جوي كامل، ٨٥ طائرة ميج-٢١ معدلة جديدة بأجهزتها ومعدات وطيارها السوفيت مكوّنة ٣ لواءات جوية كاملة، ٥٠ طائرة سوخوي ٩، ١٠ طائرة ميج ٢١ تدريب، ٤ جهاز رادار ب ١٥ للعمل ضد الطيران الواطئ، ٥٠ محرك جديد ٥١١، لطائرات الميج-٢١ الموجودة في ج. ع. م^(٣).

وفي مساء ٩ آذار وصلت إلى ميناء الإسكندرية ٤ كتائب جوية سوفيتية، وقد أحيطت عملية وصولها بشيء من السرية، وكانت في الظاهر تبدو وكأنها معدات زراعية أرسلت إلى ج. ع. م، وحين وصولها مدينة الإسكندرية، طلّبت المعدات العسكرية السوفيتية باللون الرملي، وارتدى الخبراء السوفيت البزة العسكرية المصرية لغرض التمويه، وكانت مهمتهم تتمثل بحماية ميناء الإسكندرية وقد واجهت تلك الكتائب السوفيتية بعض المصاعب حال وصولها الأراضي المصرية، كان من بينها عدم إجادة أفراد تلك الكتائب للغة العربية، وصعوبة التفاهم مع المصريين،

(١) هاريسون سالزبوري، النزاع الصيني - السوفيتي، ترجمة: محمد سميح السيد، منشورات هيئة تدريب القوات المسلحة السورية، (دمشق، ١٩٧٧)، ص ١٦٥.

(2) Laqueur, Op. Cit., p.62.

(٣) فوزي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥١.

لاسيما ان تلك الكتائب كانت تخلو من المترجمين، وكان التفاهم مع المصريين يتم عن طريق الإيماءات والإشارات^(١).

وكان من بين الصعوبات الأخرى التي واجهها السوفيت في ج. ع. م مسألة خصوصية البيئة التي كانت تعمل فيها الأجهزة السوفيتية، إذ كان الرمل الصحراوي يتسرب إلى مراكز التحكم بالصواريخ تحت الأرض، ويلحق اضراراً بالأجهزة، وحاول الخبراء السوفيت معالجة تلك المشكلة، بوضع شبّاك تمويه مبللة بالماء، إلا ان ذلك الإجراء الوقائي، أدى إلى زيادة نسبة التعفن فوق الأجهزة، بسبب ارتفاع نسبة الرطوبة، وقد تطلب ذلك الوضع ان يعمل الخبراء السوفيت باستمرار على إيجاد حلول بديلة، وبذلك كانوا يمارسون الأعمال الوقائية يوميا، ويعملون ويأكلون وينامون في مواقعهم^(٢).

إن موافقة الاتحاد السوفيتي على إرسال وحدات كاملة من صواريخ (سام ٣) وطائرات ميج ٢١ المتطورة مع طاقم عملها، عمل على تغيير نتائج حرب الإستنزاف لصالح ج. ع. م، وأصبحت مهمة القوات السوفيتية المتواجدة على الأراضي المصرية، لا تقتصر على التدريب فقط، وإنما القتال أيضاً، إذا اقتضت الضرورة^(٣).

(١) نتيجة لذلك، ولعدم تفاهم قادة الكتائب السوفيتية مع القيادة العسكرية المصرية، وتنسيق أمورهم في مسألة إرسال مؤشرات للتعريف بهوية الطائرة المحلقة، حدث سوء فهم نتج عنه إسقاط أفراد الكتائب السوفيتية للطائرتين سوفيتيتين من طراز اليوشن ٢٨، وانطونوف ٢٤، يفودها أفراد مصريون إذ كان قادة الكتائب قد تلقوا أمراً بإسقاط وتدمير أي طائرة تحلق بارتفاع اقل من ٦ كيلومترات وتقترب منهم لمسافة ١٠ أو ١٢ كيلومتر. لقاء مع قسطنطين بوبوف، قائد إحدى كتائب الصواريخ السوفيتية في مصر (١٩٧٠-١٩٧١)، ضمن برنامج رحلة في الذاكرة، تم عرضه على قناة روسيا اليوم، يوم الجمعة الموافق ٢٠٠٨/٨/١، توقيت العرض: الساعة الثامنة مساءً. ، ان صحت تلك الرواية فكان من الاجدر بالقيادة المصرية ان تأخذ هذا الامر مأخذ الجد لأنه من الامور المهمة والحساسة.

(٢) لقاء مع قسطنطين بوبوف، قائد إحدى كتائب الصواريخ السوفيتية في مصر (١٩٧٠-١٩٧١)، المصدر السابق.

(٣) تمكنت الكتائب السوفيتية المتواجدة في ج. ع. م، من إسقاط أكثر من ١٥ طائرة إسرائيلية خلال شهر واحد، وفيما بعد قدرت إحصائية سوفيتية من (إعداد)، معهد التاريخ العسكري، في الأركان العامة السوفيتية، عدد الجنود والضباط السوفيت الذين قتلوا في حرب الاستنزاف ب ٤٩ شخص، بينما يشير مصدر سوفيتي مطلع إلى ان عددهم الحقيقي كان يقرب من الـ ٤٥ شخص. لقاء مع، قسطنطين بوبوف، برنامج رحلة في الذاكرة، المصدر السابق.

واعتباراً من ١٨ نيسان ١٩٧٠، توقفت الغارات (الإسرائيلية) على العمق المصري، بعد ان صرحت (إسرائيل) بأنها لن تقاتل السوفيت^(١).

وفي ٢٩ نيسان ١٩٧٠، أعلنت (إسرائيل) رسمياً أن الطيارين السوفيت يقومون بمهام عسكرية في مصر، وأصبح هناك انطباع كبير تركته المشاركة السوفيتية العسكرية على (الإسرائيليين) الذي بدأوا يعتقدون بأن الوقت ليس في صالحهم وانهم يأملون في تحرك سلمي دولي، حينها أصبحت (إسرائيل) أكثر استعداداً للتوصل إلى تسوية سلمية^(٢).

ونتيجة لذلك اضطرت القيادة (الإسرائيلية) ان تطلب من الإدارة الأمريكية اتخاذ الخطوات الضرورية لمنع الاتحاد السوفيتي من توسيع نطاق مساعدته ودعمه لـ ج. ع. م في حرب الاستنزاف^(٣).

وفي الوقت نفسه شعرت القيادة المصرية، انها لكي تحاول الخروج من تلك الحرب بأقل خسائر، فإنه من الضروري، معاودة الحوار مع حكومة الولايات المتحدة أملاً في إقناعها بممارسة ضغط على (إسرائيل)^(٤).

وفي خطاب للرئيس المصري في أول أيار ١٩٧٠، دعا الولايات المتحدة إلى إعادة النظر في موقفها تجاه (إسرائيل)، وقد حدد عبد الناصر خيارين أمام أمريكا لإثبات حسن نيتها، فهي اما ان تمارس ضغطاً فعلياً على (إسرائيل) لحملها على سحب قواتها، أو ان توقف مساعداتها العسكرية والاقتصادية عنها^(٥).

وأمام تلك التطورات قررت الحكومة الأمريكية أن تبادر، وإن كان ذلك بالظاهر في وضع حل لأزمة الشرق الأوسط. ففي ١٩ حزيران ١٩٧٠ بعث وليم

(١) احمد حمروش، غروب يوليو، دار المستقبل العربي، (بيروت، ١٩٨٧)، ص ٤٧.

(2) PRO. F. C. O. 17/1992, from Near Eastern department to Foreign Offices 30, April, 1970.

(٣) سعيد هارون عاشور، أخبار المصريين في القرن العشرين من ١٩٥١ إلى ١٩٧٥، مكتبة الآداب،

(القاهرة، ٢٠٠٨)، ص ٢٦١.

(٤) الخطيب، المصدر السابق، ص ١٦١.

(٥) خطاب عبد الناصر في عيد العمال (١ أيار، ١٩٧٠)، وثائق عبد الناصر، خطب، أحاديث، تصريحات، (يناير ١٩٦٩ – سبتمبر ١٩٧٠)، (القاهرة، ١٩٧٣)، ص-ص ٣٦٢-٣٦٤.

رز(*)

روجر (وزير الخارجية الأمريكية)، برسالة إلى القاهرة بدأها بالإشارة إلى انه قرأ بحرص وتمعن خطاب الرئيس المصري في أول أيار ١٩٧٠، وانه يتفق معه على ان الموقف في الشرق الأوسط يجتاز نقطة حرجية، وان المصلحة المشتركة تقتضي ان تحافظ الولايات المتحدة على روابط الصداقة مع كل شعوب ودول المنطقة، ثم أوضح استعداد حكومة بلاده للإسهام بنصيبها في حل الأزمة^(١).

وفي ٢٥ حزيران ١٩٧٠، أعلن وليام روجرز، في مؤتمر صحفي عن المبادرة الأمريكية الجديدة التي عرفت باسمه، وقد تضمنت المبادرة فقرات تنص على الاعتراف المشترك بين كل من ج.ع.م و (إسرائيل) بحق كل منهما في السيادة والاستقلال السياسي، وان يتعهد الجانبان بإعادة وقف محدود لإطلاق النار على جبهة القناة، لمدة ثلاثة أشهر، ودعوة (إسرائيل) إلى إصدار بيان تبين فيه استعدادها للانسحاب من معظم الأراضي العربية التي احتلتها، باستثناء مرتفعات الجولان، بسبب عدم موافقة الحكومة السورية على قرار مجلس الأمن (٢٤٢)، وكذلك القدس الشرقية التي سوف تجري بشأنها مفاوضات مفصلة بين الجانبين^(٢).

ويظهر ان من بين الأمور التي دفعت الولايات المتحدة إلى إعلان مبادرة روجرز، هي التطورات التي طرأت على القوات المسلحة المصرية، اثر زيارة عبد الناصر لموسكو في كانون الثاني ١٩٧٠، ودخول صواريخ ومعدات عسكرية سوفيتية جديدة، ومشاركة السوفيت بشكل مباشر في حرب الاستنزاف، تلك المشاركة التي وصلت حد الاشتباك مع الجانب (الإسرائيلي)، وقد أدى ذلك إلى تصعيد الموقف

(*) سياسي أمريكي، ولد في ولاية تكساس عام ١٩٣٠، التحق بجامعة برنستون وتخرج فيها عام ١٩٥٢، تطوع للانضمام إلى البحرية الأمريكية عام ١٩٥٧، بدأ رحلاته السياسية عام ١٩٦٠، وفي عام ١٩٦٤، أصبح وكيل وزير التجارة، وفي عام ١٩٦٥، أصبح عضواً وفي لجنة انتخاب الرئيس الأمريكي جونسون، شغل منصب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط عام ١٩٦٧، أصبح وزيراً للخارجية الأمريكية في عهد الرئيس نيكسون بين عامي ١٩٦٩-١٩٧٢ ينظر:

Encyclopedia America, Inc. Volume 11 Willim Chicago, (U. S. A, 1987), p.p675-676.

(١) رياض، المصدر السابق، ج١، ص٢٤٩؛ انتولي اجارشيف، التأمير ضد العرب، ترجمة: فهد كم نقش، دار التقدم، (موسكو، ١٩٨٨)، ص٤٢.

(٢) مقلد، المصدر السابق، ص٣٢٠.

العسكري على الحدود المصرية (الإسرائيلية)، ودفع بالولايات المتحدة إلى المبادرة بإيجاد حل يتلائم ومكانتها الدولية^(١).

ولم يصدر أي تعليق رسمي مصري فوري على المبادرة، واكتفت الصحافة المصرية بالإشارة في اليوم التالي، إلى إن ج. ع. م ستبدأ خلال الأيام القادمة سلسلة من الاتصالات مع العواصم العربية، وكان ذلك يعني أن لدى القاهرة استعداداً مبدئياً لقبول المبادرة^(٢).

في تلك الفترة كانت القيادة المصرية بحاجة إلى وقف محدود لإطلاق النار، لغرض استكمال بناء جدار الصواريخ على الضفة الغربية للقناة، إذ أن بناءه سيحتمي القوات المسلحة المصرية في الضفة الغربية للقناة، ويكفل الحماية فوق شريط يتراوح عرضه بين ١٥-٢٠ كيلومتر في الضفة الشرقية ويهيئ بذلك غطاءً للقوات التي ستعبر القناة عندما يحين الوقت^(٣).

وفي الوقت نفسه كانت القيادة المصرية بحاجة إلى التباحث حول ذلك مع القيادة السوفيتية، على اعتبار أن المسؤولية أصبحت شبه مشتركة، بعد وصول قوات سوفيتية إلى

ج. ع. م، وقيامها بدور فعال في صد الهجمات (الإسرائيلية)، ومن هنا جاءت زيارة الرئيس المصري جمال عبد الناصر للاتحاد السوفيتي خلال الفترة ٢٩-٣٠ حزيران - ١٥ تموز ١٩٧٠.

- زيارة الرئيس المصري جمال عبد الناصر للاتحاد السوفيتي تموز ١٩٧٠ :

في ٢٩ حزيران ١٩٧٠ قام الرئيس المصري بزيارته الثالثة للاتحاد السوفيتي خلال عام ١٩٧٠، وعند وصوله موسكو يوم الثلاثاء الموافق ٣٠ حزيران ١٩٧٠، لم يكن الزعيم السوفيتي بروجنيف في استقباله لأنه كان في إجازة منذ ١٥ حزيران، إلا أنه قطع تلك الإجازة لغرض المشاركة في المباحثات المصرية - السوفيتية. وبطبيعة الحال كانت المقترحات التي تضمنتها مبادرة روجرز محوراً للمباحثات، وقد تبين فيما بعد إن ما كان يخشاه السوفيت، هو قيام الحكومة المصرية بمساومة تحصل من

(١) برنامج مع هيكل تجربة حياة - حرب الاستنزاف وقمة مصر والاتحاد السوفيتي، تم عرضه على قناة الجزيرة الفضائية، يوم الخميس الموافق، ٢٠١٠/٧/٨، توقيت العرض: الساعة العاشرة مساءً.

(٢) الخطيب، المصدر السابق، ص ١٦٣.

(٣) هيكل، الطريق إلى رمضان، ص ٨٩.

خلالها على حل معقول، تستعيد بموجبه سيناء دون الاضطرار إلى حرب، مقابل إنهاء الوجود السوفيتي في ج. ع. م (١).

وكان برجنيف يرى ان مبادرة روجرز ما هي إلا محاولة أمريكية لأخذ زمام المبادرة، واستبعاد دور الاتحاد السوفيتي، وقد تم الاتفاق على ان يجتمع وزراء خارجية البلدين لإعداد رد مناسب على المبادرة الأمريكية (٢).

كما تقدم عبد الناصر بقائمة طلبات عسكرية، تنوعت أصنافها بين ١٤٢ محركاً لطائرات ميج ٢١، و ٥٠ هيلكوبتر طراز س ١٨، وسرب من الطائرات طراز تي يو ١٦، وقطع غيار لطائرة الميج ١٧، ومعدات قتال ليلي، وذخيرة متنوعة (٣).

ومن المواضيع التي نوقشت خلال تلك الزيارة أيضاً، طلب الحكومة المصرية لمزيد من المستشارين العسكريين السوفيت، وكانت ج. ع. م، تطالب السوفيت بأن يكون خبراءهم متواجدين على مستوى الكتيبة، إلا ان الحكومة السوفيتية أبدت تردداً في قبول الاقتراح، متذرة بأن زيادة عدد الخبراء العسكريين في ج. ع. م، قد يؤدي إلى تصاعد المشاعر الشعبية ضدهم، وربما يبدأ الناس في ج. ع. م باعتبارهم إحدى صور مظاهر الامبريالية الحديثة، لكن الحكومة المصرية طمأنتهم في النهاية، وأوضحت مسؤوليتها المسبقة عن أي احتكاك سيتم بين الشعب والمستشارين السوفيت (٤).

وفي يوم السبت الموافق ٤ تموز ١٩٧٠، دخل عبد الناصر، مصحح (بربيخا)، الواقع على بعد ٢٥ كيلومتر من موسكو، لإجراء بعض الفحوصات الطبية، وبقي هناك حتى يوم الاثنين الموافق ٦ تموز ١٩٧٠، ثم قام بعدها بزيارة للمعرض الصناعي المصري المقام في موسكو (٥).

(١) فؤاد مطر، زلازل مصر السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٩٩)، ص ٥٦.

(٢) محمود رياض، مذكرات محمود رياض، ج ٣، أمريكا والعرب، ط ١، دار المستقبل العربي، (القاهرة، ١٩٨٦)، ص ٨٤.

(٣) هيك، أكتوبر ٧٣، السلاح والسياسة، ص ١٥٥.

(٤) هيك، حكاية العرب والسوفيت، ص ١٥٦.

(٥) مطر، زلازل مصر السياسية، ص ٥٨. وخلال تلك الفترة كان رائدا الفضاء السوفيتيان. أ. نيكولايف، وف. سفستيانوف، قد حققا رقما قياسياً في التحليق الفضائي، وكانت تجري مراسيم استقباليهما في موسكو، وعلى الرغم من تدهور الوضع الصحي لعبد الناصر، إلا انه أصر على المشاركة في مراسيم الاستقبال وقام بتقليدهما أعلى وسام مصري، (قلادة النيل). فلاديمير

وعلى الرغم مما أبداه القادة السوفيت من تجاوب مع مبادرة روجرز، على أساس انها كانت تعكس تحولاً في الموقف الأمريكي، إلا انهم امتنعوا عن إبداء رد فعل رسمي إزائها، إلى حين انتهاء الرئيس المصري من زيارته للاتحاد السوفيتي، حتى يتاح لهم الوقت أمام تنسيق رد فعل مشترك مع ج. ع. م تجاه المبادرة الأمريكية. أسفرت زيارة عبد الناصر إلى الاتحاد السوفيتي عن تفاهم يقضي بالتعاطي مع مبادرة روجرز والتعاون والتنسيق بين ج. ع. م والاتحاد السوفيتي ودعم القدرات الدفاعية المصرية، وتزويد ج. ع. م بشبكة صواريخ تغطي كافة المواقع المصرية^(١).

وفي ختام زيارة عبد الناصر للاتحاد السوفيتي، صدر بيان مصري - سوفيتي مشترك، عبر فيه الجانبين، عن خطورة الوضع بسبب الاعتداءات الإسرائيلية ضد ج. ع. م، وغيرها من الدول العربية، وعبر الطرفان عن إيمانهم الكامل بأن إقرار السلام العادل والدائم في المنطقة العربية لا يمكن تحقيقه إلا باتخاذ الإجراءات العاجلة، والكفيلة بوقف الاعتداءات (الإسرائيلية) ضد الدول العربية، وسحب القوات (الإسرائيلية) من جميع الأراضي المحتلة^(٢).

وفي ٢٣ تموز ١٩٧٠ أعلن عبد الناصر قبوله لمبادرة روجرز^(٣) بإلحاح من السوفيت أنفسهم^(٤)، وفي ٣١ تموز أعلنت الحكومة (الإسرائيلية) قبولها هي الأخرى للمبادرة، وإعتباراً من ٧ آب ١٩٧٠، دخلت ترتيبات وقف إطلاق النار الجديدة

فينوغرادوف، مصر في زمن الإبهام، مذكرات سفير الاتحاد السوفيتي في مصر، ترجمة: زكريا لبيب خوري، دار الحصاد للنشر والتوزيع، (دمشق، ٢٠٠٠)، ص ١٢.

(١) وداد جابر غازي، موقف الاتحاد السوفيتي من الصراع العربي - الإسرائيلي حتى عام ١٩٧٣، رسالة ماجستير، كلية الآداب الجامعة المستنصرية، (بغداد، ٢٠٠٣)، ص ١٠٧. هناك من يشير إلى ان عبد الناصر اضطر لقبول المبادرة، بعد نقاش طويل ورفض سوفيتي لتزويده بأي أسلحة هجومية، كما ان السوفيت رفضوا أي محاولة مصرية لعبور القناة، عزيز الأحذب، اليوم السابع لحرب حزيران، ج ١، حرب الاستنزاف، الدار الشرقية للنشر، (بيروت، ١٩٧٢)، ص ٧٦.

(٢) "بيان مصري - سوفيتي مشترك بمناسبة زيارة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة للاتحاد السوفيتي" الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٠، (إعداد) جورج خوري نصر، (بيروت، ١٩٧٢)، ص ٥٣٩.

(٣) وثائق عبد الناصر، المصدر السابق، ص ٤٩١.

(٤) مقلد، المصدر السابق، ص ٣٢١؛ عامر العقاد، حرب الأكاذيب، الشيوعية.. حقيقتها.. وواقعها، مؤسسة دار الشعب، (القاهرة، ١٩٧٧)، ص ١٢٣.

موضع التنفيذ^(١). وربما يكون الجانبان قد التزما بهذه المبادرة مناوراً لالتقاط الأنفاس بعد ان أنهكتهما حرب الاستنزاف.

(١) مقلد، المصدر السابق، ص ٣٢١، وافقت (إسرائيل) على المبادرة بعد حصولها على ضمانات أمريكية تؤكد استمرار التسليح الأمريكي لها في حالة الموافقة على المبادرة، وان الانسحاب لن يتم قبل الاتفاق على إجراءات سلام توافق عليها (إسرائيل) وان أي حل لمشكلة اللاجئين يجب ان لا يؤثر في وضع (إسرائيل) كدولة يهودية. توفيق ابو بكر، الولايات المتحدة الأمريكية والصراع العربي - الصهيوني، ذات السلاسل للطباعة والنشر، (الكويت، ١٩٨٦)، ص ١٦٧. بينما يشير احد المصادر إلى أن الولايات المتحدة أعطت لـ (إسرائيل) ٥٠٠ مليون دولار، قيمة معونة عسكرية كانت في حاجة ماسة إليها مقابل موافقتها على الالتزام بوقف إطلاق النار. ينظر:

دايفيد داوننج، جاري هيرمان، حرب بلا نهاية وسلام بلا أمل، ثلاثون سنة من الصراع العربي الإسرائيلي، الهيئة العامة للاستعلامات، سلسلة كتب مترجمة، تسلسل (٧٤١)، (القاهرة، ١٩٨٠)، ص ٢٢٤.

المبحث الثالث

العلاقات المصرية - السوفيتية أيلول ١٩٧٠ - شباط ١٩٧١

— وفاة جمال عبد الناصر وأثرها في العلاقات المصرية — السوفيتية :

كان عبد الناصر مصاباً بداء السكر، الذي بدأت أعراضه تظهر عليه، ظهوراً مؤثراً منذ عام ١٩٦٢، وبعد الهزيمة العسكرية في حزيران ١٩٦٧، كان عبد الناصر يبذل جهداً كبيراً ما بين القوات المسلحة المصرية، والتنظيم السياسي، ومجلس الوزراء، واللقاءات الجماهيرية، وكان لذلك الجهد آثاره السلبية في صحة الرئيس المصري، الذي بدأ منذ عام ١٩٦٨ يشكو من الآم في ساقه اليمنى، نتيجة لضعف الدورة الدموية فيها، وهي إحدى المضاعفات المعروفة لداء السكر، وحينها وضع عبد الناصر تحت إشراف طبي دقيق^(١). وكان الأطباء السوفيت قد أشاروا عليه بالاستشفاء في مصحات (تسخالطوبو) المشهورة بمياهها المعدنية^(٢).

ويقول الدكتور منصور فايز — احد أعضاء الفريق الطبي المشرف على علاج عبد الناصر - في مذكراته ((على الرغم من عدم اقتناعي بفائدة العلاج هناك، فقد وجدت في ذلك فرصة لإبعاد عبد الناصر عن الانفعالات والمشاكل المحيطة به)).^(٣) وفي ١٠ أيلول ١٩٦٩، أصيب عبد الناصر بأزمة قلبية حادة، بعد تأثره بحادث الغارة (الإسرائيلية) على منطقة الزعفرانية، وقتلها عدداً من المدنيين، وقد أخذت تلك الغارة، التي رافقتها عملية إنزال (إسرائيلي)، حيزاً كبيراً في الأعلام (الإسرائيلي) والدولي، الذي بالغ في وصفها بأنها بداية لعملية احتلال (إسرائيلي) لـ ج. ع. م^(٤).

وخلال عام ١٩٧٠، كانت الكثير من التحاليل الطبية التي أجريت لعبد الناصر تشير إلى ارتفاع نسبة (الكولسترول) في دمه، وإلى ضيق وتصلب في الشريان

(١) منصور فايز، رحلتي مع عبد الناصر، ط٢، دار الملتقى للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٩١)، ص ١٢٣.

(٢) يفغيني شازوف، الصحة والسلطة — مذكرات كبير أطباء الكريملين، ترجمة: إيمان يحيى، دار العرب للدراسات والنشر، (القاهرة، ١٩٩٤)، ص ٥٥.

(٣) فايز، المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٤) فؤاد مطر، بصراحة عن عبد الناصر، حوار على مدى ٢٠ ساعة مع محمد حسنين هيكل، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٨٩)، ص ١٨٢؛ عادل حمودة، عبد الناصر أسرار المرض والإغتيال، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، (القاهرة، ١٩٨٨)، ص ١٣٥.

التاجي مع وجود ارتفاع في ضغط الدم، ذلك فضلاً عن زيادة المجهود والقلق والتوتر الذي نتج عن حرب الاستنزاف، وما رافق ذلك من سفر ومؤتمرات^(١). ومع قبول ج. ع. م لمبادرة روجرز، تطور الموقف في الأردن تدريجياً^(٢)، حتى وصل إلى حد الصدام المسلح بين السلطات الأردنية وفصائل المقاومة الفلسطينية ابتداءً من ١٧ أيلول ١٩٧٠^(٣). وقد لعبت القاهرة دور الوسيط في حل تلك الأزمة، وعقد مؤتمر القاهرة خلال الفترة ٢٣-٢٧ أيلول ١٩٧٠، الذي وضع حداً لتلك الأزمة، من خلال توقيع اتفاق وقف إطلاق النار بين الطرفين في ٢٧ أيلول ١٩٧٠^(٤).

بذل عبد الناصر جهداً كبيراً خلال جلسات المؤتمر للتوفيق بين وجهات النظر، والأطراف المتنازعة، كما ان مراسيم استقبال وتوديع الملوك والرؤساء العرب، وإستعراض حرس الشرف، وأداء النشيد الوطني لكل بلد، كلها إجراءات يتم تنفيذها والرئيس يقف على قدميه، ونتيجة لذلك المجهود المرهق توفي عبد الناصر مساء يوم ٢٨ أيلول ١٩٧٠، اثر أزمة قلبية شديدة ألمت به، نتيجة انسداد الشريان التاجي للقلب^(٥).

(١) الصاوي حبيب، مذكرات طبيب عبد الناصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠٧)، ص ١١٠.

(٢) للتفاصيل ينظر: على محفوظ عزيز الخفاف، موقف مصر من القضية الفلسطينية ١٩٦٧-١٩٧٠، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة الموصل، ٢٠٠٣، ص-ص ١٢٥-١٢٨.

(٣) د. ع. و، ملف العالم العربي، مصر - العلاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية، من تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية إلى وفاة عبد الناصر، م-١/١٣٠١.

(٤) مالكوم كير، عبد الناصر والحرب العربية الباردة ١٩٥٨-١٩٧٠، ترجمة: عبد الرؤوف احمد عمرو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (لقاهرة، ١٩٩٧)، ص ٢٧٥، ويظهر ان الاتحاد السوفيتي لم يكن مستعداً لأي تدخل في النزاع بل كان يدعو العرب إلى ضبط النفس وبذل كل ما يلزم من جهد بهدف الإيقاف العاجل لذلك الاقتتال. ينظر: "بيان وزارة الخارجية للاتحاد السوفيتي في ١٤ أيلول ١٩٧٠"، ضمن كتاب الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط، مشاكل السلام والأمن، وثائق ومواد، المصدر السابق، ص-ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٥) سامي شرف، سنوات وأيام مع جمال عبد الناصر، ط ١، ج ٢، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ٢٠٠٦)، ص ٦٧٤.

وفي ٢٩ أيلول ١٩٧٠، بعث قادة الاتحاد السوفيتي برقية تعزية لـ ج. ع م، أعربوا فيها عن أساهم، وأكدوا على التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي ارتبطت بشخص عبد الناصر، وموقفه من المشاريع الغربية، كما تضمنت البرقية تأكيداً على نهج الاتحاد السوفيتي في تطوير العلاقات الشاملة مع ج. ع. م^(١).

وفي ٣٠ أيلول ١٩٧٠، بادر الاتحاد السوفيتي بإرسال وفد على مستوى رفيع إلى القاهرة، للمشاركة في تشييع جنازة عبد الناصر والاطمئنان على الأوضاع العامة هناك. وقد ترأس الوفد السوفيتي، اليكسي كوسيجين (رئيس الوزراء السوفيتي)، يرافقه المارشال

م. ف. زخاروف، (رئيس أركان الجيش السوفيتي)، والجنرال ف. ف. اكنوف (المستشار العسكري)، وف. ف. بولياكوف، (القائم بأعمال السفارة السوفيتية في ج. ع. م)، وفلاديمير فينوغرادوف، (نائب وزير الخارجية السوفيتية)^(٢).

وبدا الأمر وكأن الوفد السوفيتي كان وفد عمل أكثر منه وفد تعزية، وإن الطابع الغالب عليه هو طابع عسكري، وقد يعني ذلك ان السوفيت أرادوا منذ البداية ان يطمئنوا إلى مستقبل وجودهم العسكري في ج. ع. م، بعد وفاة عبد الناصر^(٣) وخلال وجود الوفد السوفيتي في القاهرة، أجرى أعضاؤه محادثات مكثفة مع المسؤولين المصريين، والقادة العرب الموجودين في القاهرة، وخلال تلك اللقاءات ركز كوسيجين على ما يجمع بين موسكو والقاهرة، وعلى الالتزام السوفيتي بكل ما تم الاتفاق عليه، خلال الحقبة السابقة لوفاة عبد الناصر، الأمر الذي عكس رغبة سوفيتية واضحة في إبقاء ج. ع. م، ضمن دائرة المصالح السوفيتية، وكان هاجس رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي، هو إظهار ان الأمر لا يتعلق بسياسة مرتبطة

(١) مجلة الاخبار السوفيتية، تصدرها وكالة أنباء نوفوستي، (بغداد)، العدد (١٩)، ٥ تشرين الأول ١٩٧٠، ص ٣.

(٢) في ذلك اليوم تمت موافقة الاتحاد السوفيتي على تعيين فلاديمير فينوغرادوف سفيراً للاتحاد السوفيتي في القاهرة، خلفاً لسيرجي أ. فينوغرادوف، الذي توفي اثر مرض عضال. فينوغرادوف، المصدر السابق، ص ١٤.

(٣) فؤاد مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، دار النهار، (بيروت، ١٩٧٢)، ص ٥٥.

بشخص عبد الناصر، بل بخيار سوفيتي أوسع، حول حصيلة اتفاق بين العرب على دور ج. ع. م في المنطقة^(١).

دارت المباحثات المصرية – السوفيتية حول محورين رئيسيين، تمثلاً بمستقبل العلاقات الثنائية في مرحلة ما بعد عبد الناصر، والموقف العسكري على جبهة القناة بعد انتهاء ترتيبات وقف إطلاق النار في تشرين الثاني ١٩٧٠. وقد أبدى الجانب السوفيتي قلقاً بالغاً، خشية أن تنتهي مرحلة الصداقة المصرية – السوفيتية بغياب القيادة المصرية السابقة. وأكد السوفيت على ضرورة تبادل الثقة بين الجانبين، فقال كوسيجين في إحدى الاجتماعات ((... دعوني أخبركم كيف كنا نعالج الأمور، عندما كان عبد الناصر حياً، إننا لم نخفِ سراً عنه، وهو لم يخفِ عنا أية أسرار، فمن الضروري أن يخبر أحداً الآخر بكل شيء، ولا بد أن يفهم كل جانب ما يفكر الآخر فيه، إننا لا نريد أن نتدخل في خططكم، لكن لا تندسوا ان قوادتنا موجودة هنا في مصر، وبيننا وحدة دم، مثلما بيننا وحدة مصالح، وهذا غاية في الأهمية، وهو أمر لا بد أن تأخذه في إعتباركم على الدوام))^(٢).

وبداً واضحاً من خلال مباحثات الجانبين ان السوفيت كانوا يريدون تمديد فترة وقف إطلاق النار، على أساس ان إستعداد ج. ع. م، وقدره جيشها على تحرير أراضيها سيتحقق، إذا استطاعت ان تكون في غير حاجة للمستشارين والخبراء السوفيت، وان الاتحاد السوفيتي، سيعمل على مساعدة ج. ع. م، لتحقيق ذلك الهدف بأسرع ما يمكن^(٣).

وفي البيان المشترك الصادر عن تلك المباحثات، أكد الجانبان تصميمهما على مواصلة الجهود لإيجاد تسوية (لأزمة الشرق الأوسط)، بما يضمن إزالة أثار العدوان (الإسرائيلي)، ويساعد على التوصل إلى سلام عادل ومستقر لكل دول المنطقة^(٤)، كما

(١) دانكوس، المصدر السابق، ص ١٤٠.

(٢) هيكل، حكاية العرب والسوفيت، ص ١٦٢.

(3) Jhon C. Compbell, "The Soviet Union and The Middle East", Russian Review, Vol, 29, No.3, (Jul, 1970), p.260;

هيكل، حكاية العرب والسوفيت، ص ١٦٢.

(٤) مقلد، المصدر السابق، ص ٣٢٥.

جاء في البيان، التأكيد على ان العلاقات الودية بين البلدين عامل مستقر وثابت لا يمكن المساس به^(١).

ويرى احد الباحثين ان أهم سمة لوفاة عبد الناصر بالنسبة للسوفيت تتمثل في كونها أزاحت عن ج. ع. م، الرجل الوحيد الذي بلغت درجة إحساسه بالاهانة على يد (الإسرائيليين)، حداً جعله على إستعداد للمساومة على جانب كبير من سيادة بلاده^(*)، في محاولة الإنتقام لتلك الاهانة، وبدا واضحاً ان السوفيت كانوا يخشون من ان يكون خليفة عبد الناصر، شخصاً أكثر استقلالاً، وقد يتجه نحو الولايات المتحدة طالباً المساعدة^(٢). وهذا ما حصل فعلاً - وكما سنرى- عند تولي أنور السادات السلطة في مصر خلفاً لعبد الناصر.

ويبدو ان الكثير من التقديرات والحسابات السوفيتية تجاه ج. ع. م قد تغيرت برحيل عبد الناصر، وربما يعود ذلك إلى كون العلاقات المصرية - السوفيتية، خلال الحقبة الناصرية، لم تكن قائمة بين شعبين، وانما بين نظامين حاكمين^(٣).

ولم تكن هناك نقاط التقاء على المستوى الجماهيري، كانت للاتحاد السوفيتي قاعدته جماهيرية متواضعة في ج. ع. م، متمثلة باليسار المصري، وفي المقابل لم يكن في الاتحاد السوفيتي لـ ج. ع. م مثل تلك القاعدة، وباستمرار كانت هناك حالة انفصال بين الشعبين، فلم يكن النظام المصري يسمح لرعاياه بالسفر إلى الاتحاد السوفيتي، إلا لغرض العلاج والدراسة والتدريب، وكان المواطنون السوفيت بالمقابل يأتون إلى ج. ع. م، وهم إما خبراء أو مستشارون عسكريون أو فنيون، وكانوا مراقبين بشكل دائم من أجهزة الأمن المصرية، وذلك ما دفعهم إلى الإنعزال، والسكن في مناطق محددة^(٤).

(1) Yodfat, Op. Cit., p.277.

(*) تلك وجهة نظر خاصة بفريدمان، ونحن لا نعتقد ان عبد الناصر كان لديه ذلك الإستعداد.

(٢) فريدمان، المصدر السابق، ص٧٤.

(٣) عبد الله الساعف، "مستقبل العلاقات السوفيتية - العربية" مجلة الوحدة، (المغرب)، العدد (٦٩)، السنة السادسة، حزيران ١٩٩٠، ص٦٢.

(٤) مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، صص-٥٠-٥١.

وكانت الحكومة المصرية تلجأ إلى التعاون مع السوفيت، لمناهضة الدول الغربية لا من أجل نقل التجربة الاشتراكية إلى ج. ع. م^(١). ومع بداية ذلك التعاون كان نوع تلك العلاقة اضطراري، ولم تكن علاقة اختيارية، إذ اعتبرنا ان المحور الأساسي في ذلك التقارب هو حاجة ج. ع. م، إلى الدعم العسكري والسياسي السوفيتي^(٢).

وربما أراد عبد الناصر – في حديث له لصحيفة لوموند الفرنسية- التلميح على نحو مباشر إلى كونه يستورد أسلحة، وخبرات فنية وقروض مالية من الاتحاد السوفيتي، دون ان يستورد عقيدة وافكاراً، عندما قال ((ان العلاقات التي نقيمها مع الروس، هي علاقات فريدة من نوعها، انهم لا يحاولون حتى التأثير في أفكارنا، والآلاف من الخبراء والفنيين الذين أرسلوهم إلينا من أجل بناء الاسد العالي في أسوان، لم يحاولوا ابداً نشر الماركسية عندنا، مع انني لست معادياً لتلك الأيديولوجية))^(٣).

وخلال فترة حكم عبد الناصر يمكن القول بأن العلاقات بين البلدين على الصعيدين الرسمي والحكومي، كانت قد وصلت إلى مستوى متميز بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة، لكنها على الصعيد الجماهيري، كانت تعاني نواقص كثيرة، فالتحذير من أخطار الشيوعية، كان بمثابة الرسالة أو الوصية الأخيرة التي يحملها من ج. ع. م، المبعوثون إلى الاتحاد السوفيتي. وفي القوات المسلحة المصرية، لم يفسر الفرق بين وجود ضباط أجانب فرضوا أنفسهم على الجيش المصري بقوة الاحتلال وبين ضباط أصدقاء طلبتهم ج. ع. م، بإرادتها لإرشاد وتدريب الجنود والضباط المصريين على الأسلحة والتكنولوجيا السوفيتية المتطورة^(٤).

(١) لويس عوض، أفئدة الناصرية السبعة، ط١، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩٧)، ص٧٤.
(٢) هيكل، الانفجار ١٩٦٧، ص٦٧٨؛ احمد بيضون وآخرون، ثورة ٢٣ يوليو – حصيلة ودروس، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ٢٠٠٢)، ص١٤٣.
(٣) نقلاً عن، كريم مروة، "الجنود التاريخية العميقة للعلاقات العربية – السوفيتية"، مجلة شؤون فلسطينية، (بيروت)، العدد (٤٣)، آذار، ١٩٧٥، ص٢١.
(٤) حمروش، غروب يوليو، ص٤٨.

وكان الاهتمام بالاتحاد السوفيتي في ج. ع. م مقصوراً على مركز واحد، يحتله رجل واحد أو مجموعة رجال في الحكومة السوفيتية، دون أن يفكر أحد في النفاذ إلى المؤسسات الأخرى مثل الحزب والأكاديميات والجامعات^(١).

ولم تبذل الحكومة المصرية جهداً واضحاً - إلى الرغم من علاقاتها الجيدة مع المسؤولين السوفيت - في دعم العلاقات بين الشعبين، ربما حذراً من اندفاع الجماهير إلى خطوط لا يريد النظام المصري لها أن تتعداها^(٢).

وبالطبع فإن الغربية الثقافية، بما فيها حواجز اللغة، جعلت الحوار بين الجانبين يجري تبادلاً للشعارات، أكثر مما هو تبادل للأفكار، كما أن الاتحاد السوفيتي لم يستطع تفسير الحالة النفسية التي خرجت بها شعوب العالم الثالث، ودوله إلى مرحلة الاستقلال، ولم يدرك دور الدين فيها، ولم يتعمق في فهم حقيقة الاختراق الفكري الغربي لها^(٣).

ولهذا استشعر السوفيت منذ اللحظة الأولى، لغياب عبد الناصر، نوعاً من القلق، عبّر عنه رئيس الوزراء السوفيتي أثناء لقائه بالمسؤولين المصريين الجدد، عندما أوضح لهم، أن تماسكهم وترابطهم، وتأكيد دور الاتحاد الاشتراكي العربي، هو الكفيل الوحيد بعدم حصول فراغ يتركه رحيل القيادة المصرية السابقة^(٤).

وفي تلك الأثناء كانت مهمة الاتفاق على ما سوف تقرره ج. ع. م بشأن وقف إطلاق النار - الساري المفعول لمدة ثلاثة أشهر لحين موعد انتهائها يوم ٦ تشرين الثاني ١٩٧٠ - من المشاكل التي واجهت خلفاء عبد الناصر، الذين عقدوا اجتماعاً في ٣٠ أيلول، لمناقشة تلك المسألة، وعلى الرغم من تعارض الآراء، إلا أن الجميع اتفقوا على قبول قرار تمديد فترة وقف إطلاق النار ثلاثة شهور أخرى، وكان من بين الأمور التي دفعت المسؤولين المصريين لاتخاذ ذلك القرار، هو تسرب أنباء عن

(١) هيك، الانفجار ١٩٦٧، ص ١٠٢.

(٢) حمروش، غروب يوليو، ص ٤٨.

(٣) هيك، الانفجار ١٩٦٧، ص ١٠٢.

(٤) حمروش، غروب يوليو، ص ٤٨.

اتجاه الاتحاد السوفيتي إلى تأخير إرسال شحنات الأسلحة المنتظرة، لخشيتهم مما يمكن ان يحدث بعد غياب القيادة المصرية السابقة^(١).

- العلاقات المصرية - السوفيتية غداة تولي أنور السادات السلطة:

كان تعيين أنور السادات نائباً لرئيس الجمهورية من لدن عبد الناصر في ٢٠ كانون الأول ١٩٦٩، قد اكسبه الشرعية الكاملة لتولي رئاسة الجمهورية^(٢).

وفي ٥ تشرين الأول ١٩٧٠، وافقت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي والمؤلفة من ثمانية أعضاء، على ترشيح أنور السادات لرئاسة الجمهورية، وفي ١٦ تشرين الأول، تم الاستفتاء الشعبي العام، الذي حصل السادات فيه على ما يقرب من السبعة ملايين صوت، حيث نال في ذلك الاستفتاء ٩٠,٠٤% من أصوات الذين اشتركوا في الاقتراع على رئاسته^(٣).

جاء انتخاب أنور السادات رئيساً للجمهورية المصرية ليبرر المخاوف السوفيتية، إذ كان السادات أكثر حذراً من عبد الناصر في التعامل مع الاتحاد السوفيتي وكان يؤكد دائماً على تمسكه بالإسلام، ورغبته في المحافظة على الاستقلال المصري من أي نفوذ خارجي، ولا سيما النفوذ الشيوعي، لذا عدّ القادة السوفيت وصوله إلى السلطة، إيذاناً بإعادة النظر في التوازنات^(٤).

ومنذ البداية لعبت العوامل النفسية دورها في زيادة الشكوك وفقدان الثقة بين الطرفين، فلم يكن السادات يمتلك نفس الجاذبية السياسية التي كان يتحلى بها عبد الناصر، كما ان عداؤه لـ (الشيوعية)^(٥)، وحساسيته من المعاملة التي كان يعامل بها

(١) ربما كان القادة السوفيت يعتقدون بأن غياب عبد الناصر قد ترك فراغاً إدارياً على كافة المستويات، يجعل من الصعب على ج. ع. م، ان تخوض جولة جديدة من الصراع مع العدو (الإسرائيلي)، هيكل، أكتوبر ٧٣، السلاح والسياسة، ص ١٧٠.

(٢) سلوى شعراوي جمعة، الدبلوماسية المصرية في عقد السبعينات. دراسة في موضوع الزعامة، ترجمة: عطا عبد الوهاب، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٩٨٨)، ص ٤٠.

(٣) ماسية الجمل، النخبة السياسية في مصر، (دراسة حالة للنخبة الوزارية)، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٩٩٣)، ص ٧٩؛ محمد حسنين هيكل، خريف الغضب، ط ١، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٨٨)، ص ٩٤.

(٤) دانكوس، المصدر السابق، ص ١٤٠.

(٥) في الوقت الذي كان للسادات موقفاً عدائياً من العقيدة (الشيوعية)، هناك من يرى ان للسادات ميولاً قوية تجاه الولايات المتحدة الأمريكية، وان تلك الميول تكونت لديه أثناء رحلته للولايات

من قبل الحكومة السوفيتية، مقارنة بمن كان يعتقد انهم اقل منه شأنًا، تركت أثرها في ذلك الافتراق.

وخلال الفترة ٢٠-٢٥ كانون الأول ١٩٧٠، سافر وفد مصري إلى موسكو برئاسة علي صبري(*)، (نائب رئيس الجمهورية) لمناقشة بعض المسائل العسكرية والسياسية والاقتصادية وقد كان إحتفاء الحكومة السوفيتية بعلي صبري إستثنائياً، إذ أصر قادة الاتحاد السوفيتي جميعاً على حضور جلسات المباحثات كما ان الجنرال غريشكو، ألغى التزاماته كافة بهدف المشاركة في المحادثات، ومن الطبيعي إن مثل ذلك الإحتفاء، قد احدث ردة فعل معينة لدى السادات، الذي كانت تصله تقارير عن زيارة علي صبري، واهتمامات القادة السوفيت بها^(١). وهناك من يرى انه كان لعلي صبري ميولاً يسارية، وكان في عهد عبد الناصر بمثابة حلقة الوصل بين القيادة المصرية والسفارة السوفيتية في القاهرة^(٢). وربما لذلك احتفى به القادة السوفيت، وربما للمراهنة عليه في مواجهة السادات.

ومنذ البداية كانت فجوة الثقة كبيرة بين الزعماء السوفيت والقيادة المصرية الجديدة، وكان الجاذبان يبحثان في الطريقة التي تعيد الثقة المتبادلة بينهما، وكانت

المتحدة قام بها عام ١٩٦٦، ويقال انه عاد مبهوراً ومعجباً بكل ما هو أمريكي. فؤاد زكريا، كم عمر الغضب-هيكل وأزمة العقل العربي، شركة كاظمة للنشر والتوزيع، (الكويت، ١٩٨٣)، ص ٩٩.

(*) سياسي وعسكري مصري ولد عام ١٩٢٠، تخرج في الكلية الحربية سنة ١٩٣٩ أصبح مديراً لمكتب جمال عبد الناصر بعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢، ثم أصبح وزيراً لشؤون الرئاسة سنة ١٩٦٠، ورئيس للوزراء ١٩٦٢-١٩٦٥، وناصباً لرئيس الجمهورية ١٩٦٥-١٩٦٧، عين في مطلع عام ١٩٧٠ مسؤولاً عن القوات الجوية، وأصبح منذ تشرين الأول ١٩٧٠، نائِباً لرئيس الجمهورية، اتهم في أيار ١٩٧١ بتدبير انقلاب ضد النظام المصري، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة للتفصيل ينظر: عبد الله إمام، علي صبري يتذكر، مطابع روز اليوسف، (القاهرة، ١٩٨٧)، ص ٣، وما بعدها.

(١) مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، ص ٧٦.

(2) Raymond A. Hinnebusch, Egyptian Politics under Sadat, The post – populist development of an authoritarian – modernizing state, by the Cambridge university press, (London, 1985), p.48;

عبد اللطيف بغداددي، مذكرات عبد اللطيف بغداددي، ج ١، المكتب المصري الحديث، (القاهرة، ١٩٧٧)، ص ٢٠٧؛ المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩٩؛ سهام ذهني، من أيام عبد الناصر والسادات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠٣)، ص-ص ١٩٠-١٩١.

مناسبة الاحتفال بإتمام العمل في مشروع السد العالي، فرصة للعمل بذلك الاتجاه، ووجهت دعوة رسمية للاتحاد السوفيتي للمشاركة في تلك المناسبة، وبناءً على تلك الدعوة، قام نيكولاي بود غورني، بزيارة رسمية لـ ج. ع. م، خلال الفترة ١٣-١٩ كانون الثاني ١٩٧١، ووصل القاهرة في ١٣ كانون الثاني. وقد عرض أثناء المحادثات بين الجانبين موضوع الاتصالات الدولية، وتبادل الوفود الحزبية بين البلدين على كافة المستويات، توطيداً لأواصر الصداقة بين الشعبين^(١).

وأكد الجانب السوفيتي مجدداً على استمرار تأييده للجانب المصري في النضال العادل ضد (إسرائيل)، كذلك اتفقت آراء الجانبين حول جميع المسائل الأخرى المتعلقة بالوضع الدولي آنذاك^(٢).

وفي ١٥ كانون الثاني ١٩٧١، تم الاحتفال بانتهاء المرحلة الثانية من العمل في مشروع السد العالي، وفي نفس اليوم وصلت إلى ميناء الإسكندرية المدمرة السوفيتية (لينينغراد)، وكان واضحاً أن القصد من زيارتها، هو إحاطة زيارة بودغورني بمظهر القوة، وقد وضعت الترتيبات اللازمة لكي تتم زيارة السادات وبودغورني للمدمرة السوفيتية في ١٧ كانون الثاني ١٩٧١، إلا أن السادات لم يقيم بزيارة المدمرة، واكتفى هو و بودغورني بمشاهدتها، وهم يقفان على رصيف الميناء، وكان السبب في عدم صعود السادات على ظهر المدمرة، هو اعتباره أن ذلك يعد مظهراً من مظاهر نقص السيادة، وكان ذلك الإجراء حكيماً، وفي الوقت نفسه أَرْضَى مشاعر قطاعات عريضة من المصريين، كانت ستري في الزيارة لهذه المدمرة لو تمت، أن الرئيس المصري يبارك بنفسه مظهراً من مظاهر انتقاص السيادة المصرية^(٣).

وفي ٢٦ كانون الثاني ١٩٧١، ألقى السادات خطاباً في مأدبة أقامها تكريماً لبودغورني، وعلى الرغم من تأكيده على الاعتزاز بالصداقة المصرية السوفيتية، إلا

(١) "بيان مصري - سوفيتي مشترك بمناسبة زيارة الرئيس نيكولاي بودغورني، رئيس هيئة رئاسة مجلس السوفيات الأعلى للاتحاد السوفيتي، للجمهورية العربية المتحدة". الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧١، جمع واختيار، جورج خوري نصر الله، ط١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت، ١٩٧٤)، ص٨٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٨٧.

(٣) مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، صص٧٨-٧٩.

ان السادات أكد في خطابه على دور الارادة الوطنية في تحقيق ما تم تحقيقه من منجزات مؤكداً على ضرورة تحرير تلك الارادة^(١).

وهناك من يشير إلى ان تأكيد الحكومة المصرية على مسألة تحرير الارادة الوطنية، وعدم الإشادة بدور السوفيت المميز في اغلب المنجزات الاقتصادية والعسكرية التي شهدتها ج. ع. م، في عهد عبد الناصر، جعل زيارة بود غورني تتميز بجو ودي ظاهري، إلا انها كانت تخفي مزيداً من الشكوك من جانب السوفيت^(٢).

وقد ازدادت تلك الشكوك أكثر عندما أعلنت القيادة المصرية في ٤ شباط ١٩٧١، عن مبادرة سياسية جديدة، دون استشارة السوفيت أو الرجوع إليهم كما كان يفعل عبد الناصر من قبل.

(١) "خطاب الرئيس أنور السادات، رئيس الجمهورية العربية المتحدة، في مأدبة أقامها تكريماً للرئيس بود غورني، رئيس هيئة رئاسة مجلس السوفيات الأعلى للاتحاد السوفيتي"، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧١، المصدر السابق، ص ٣٩٥.

(٢) لم تتم الإشارة إلى المساعدة السوفيتية، حتى في اللوحة التذكارية، التي تم إزاحة الستار عنها، بمناسبة الاحتفال، بانجاز المرحلة الثانية من السد العالي، في ١٥ كانون الثاني ١٩٧١، مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، ص ٧٩.

– مبادرة السادات وأثرها في العلاقات المصرية – السوفيتية :

في خطاب له أمام مجلس الأمة في ٤ شباط ١٩٧١، أعلن الرئيس المصري أنور السادات عن مبادرة جديدة، دعت إلى تجديد وقف إطلاق النار لمدة ثلاثين يوماً، وإعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية، مقابل انسحاب (إسرائيل) جزئياً من الضفة الشرقية لقناة السويس ضمن جدول زمني للانسحاب يتم وضعه لاحقاً^(١).

والملاحظ على تلك المبادرة أنها تهدف إلى تسوية جزئية تتمثل بانسحاب (إسرائيلي) جزئي من شرق القناة، مقابل حرية الملاحة (الإسرائيلية) فيها كما أنها لا ترتبط بانسحاب (إسرائيلي) من جميع الأراضي العربية المحتلة، كما كان عليه موقف الحكومة المصرية أثناء حكم عبد الناصر^(٢).

إن إعلان القيادة المصرية عن مبادرة ٤ شباط، دون تشاور مع القادة السوفيت، وبشكل يخالف عن أسلوب عبد الناصر، الذي ناقش معهم قبوله لمبادرة روجرز قبل إعلانه ذلك، جعل السوفيت يشعرون بأنهم قد بدأوا يتخذون موقف الدفاع في وقت كان الأمريكيون قد بدأوا فيه الهجوم^(٣).

كما أن علي صبري وآخرون، ممن كان السوفيت ينظرون إليهم على أنهم أصدقاء لهم وحلفاء داخل الحكومة المصرية، قد اعترضوا بشدة على إعلان السادات للمبادرة دون استشارتهم^(٤).

ومنذ ذلك الحين بدأت العلاقات المصرية – السوفيتية يشوبها الفتور، وتولد لدى الحكومة السوفيتية شعور بوجود تقارب مصري – أمريكي على حساب العلاقات مع الاتحاد السوفيتي. وعلى أية حال فإن التغيير في الموقف السوفيتي، يرجع في الواقع إلى طبيعة المصالح المختلفة لكل من الاتحاد السوفيتي و ج. ع. م،

(١) "خطاب الرئيس أنور السادات، رئيس الجمهورية العربية المتحدة، أمام مجلس الأمة" الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧١، المصدر السابق، ص ١١٧.

(٢) عثمان العثمان، مآزق التسوية السياسية للصراع العربي الإسرائيلي، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، (بيروت، ٢٠٠٣)، ص ٤١.

(٣) حمروش، غروب يوليو، ص ٥٠.

(٤) غالي شكري، الثورة المضادة في مصر، الهيئة العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٨)، ص ٥٣؛ كمال خالد المحامي، رجال عبد الناصر والسادات، ط ٢، دار العدالة للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٨٦)، ص ١٣٥.

وأولوية مصالح كل جانب على مصالح الجانب الآخر. فبينما كانت مصلحة ج. ع. م الآذنية والمباشرة، هي التوصل إلى تسوية النزاع مع (إسرائيل) سواء عن طريق الدبلوماسية أم عن طريق الحرب، فإن الاتحاد السوفيتي كان يرى إن مصلحته تقتضي تقارباً مع الولايات المتحدة، وإن الإنفراج بين الشرق والغرب بشكل عام والإنفراج بين واشنطن وموسكو بشكل خاص أصبحا يمثلان المحورين الأساسيين لاهتمامات السياسة الخارجية السوفيتية^(١).

كما لاحظ القادة السوفيت اتصالات السادات المتزايدة مع السعوديين، على الرغم من انه كان من الطبيعي أن يقوم بتلك الاتصالات، إذ انه كان في عهد عبد الناصر مسؤولاً عن شؤون شبه الجزيرة والخليج^(٢). وأصبح كمال أدهم (مستشار الملك السعودي ورئيس جهاز المخابرات السعودي) زائراً دائماً للتردد على قصر الرئاسة المصرية، ولم يكن ذلك شيئاً مطمئناً للسوفيت، لاسيما إذا علمنا ان أدهم كان يمثل حلقة الوصل بين المملكة العربية السعودية والمخابرات المركزية الأمريكية^(٣). وقد كان السادات واعياً بشكوك السوفيت، وحريصاً على تهدئتها، وعندما لم يجد صدى ايجابي لمبادرته، أرسل شعراوي جمعة^(*) (وزير الداخلية المصري)

(١) الخطيب، المصدر السابق، ص ٢١٢.

(٢) هيك، حكاية العرب والسوفيت، ص ١٦٣؛

Mohrez Mohamoud El Hussini, Soviet – Egyptian Relations (1945-1985), (New York, 1987), p.194.

(٣) هيك، أكتوبر ٧٣، السلاح والسياسة، ص ١٧٥.

(*) سياسي وعسكري مصري، واحد أركان النظام الناصري ما بين ١٩٦٧-١٩٧١، ولد في القاهرة عام ١٩٢٠، وتخرج في الكلية الحربية في ١٩٤٢، وفي كلية أركان الحرب عام ١٩٥١، عُيِّن محافظاً لمدينة السويس عام ١٩٦١، ووزيراً للداخلية المصرية عام ١٩٦٦، وأشرف على التنظيم السري للاتحاد الاشتراكي العربي، وفي عام ١٩٧٠ عُيِّن نائباً لرئيس الوزراء لشؤون الخدمات مع احتفاظه بوزارة الداخلية، كان على رأس الاتجاه المعارض لأنور السادات في أيار ١٩٧١، وقد أطيح به مع غيره، وحكم عليه بالأشغال الشاقة والمؤبدة. ينظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٣، المصدر السابق، ص ٤٨٢.

بزيارة سرية للاتحاد السوفيتي لكي يهدأ مخاوف السوفيت ويشرح لهم الاحتياجات العسكرية المصرية^(١).

ويبدو إن المهمة الأساسية التي أرسل شعراوي جمعة إلى موسكو لأجلها، هي مطالبة السوفيت بالطائرات الصاروخية (تي يو ١٦) بعيدة المدى، وكان الاتفاق في السابق، قد تم بين عبد الناصر والقادة السوفيت على ان يكون لتلك الطائرات دور في تنفيذ الخطط الدفاعية المصرية، دون ان تتواجد في المطارات المصرية، حيث أكدت الحكومة السوفيتية، على ان وجود مثل ذلك اللواء الجوي الصاروخي في ج. ع. م، سيدفع بالولايات المتحدة إلى إمداد (إسرائيل) بصواريخ (لانسي أرض- جو) بعيدة المدى واقتنع عبد الناصر بذلك، واختير مطار وادي سيدنا في السودان، الذي كان بعيداً عن مدى طائرات الفانتوم (الإسرائيلية)، لاستقبال تلك الطائرات عند بدء العمليات^(٢).

لكن الحكومة السوفيتية لم توافق على إرسال تلك الطائرات لـ ج. ع. م حتى لا يكون ذلك دافعاً للتعجيل في استخدامها قبل الإستعداد للمعركة، أو مخافة ان يكون ذلك حجة في إمداد الولايات المتحدة لـ (إسرائيل) بصواريخ (لانسي) بعيدة المدى^(٣).

(١) ربما جاء إختيار شعراوي جمعة لتلك المهمة، لكونه الأمين العام للاتحاد الاشتراكي العربي آنذاك، وبذلك الصفة كان مسؤولاً عن (التنظيم الطليعي) الذي كان السوفيت ينظرون إليه بكثير من الأمل. هيكل، حكاية العرب والسوفيت، ص ١٦٤.

(٢) فوزي، إستراتيجية المصالحة، ص-ص ١٥٣-١٥٤.

(٣) حمروش، غروب يوليو، ص ٥١.

الفصل الثاني

العلاقات المصرية – السوفيتية آذار ١٩٧١ – تشرين الأول ١٩٧٢

المبحث الأول

العلاقات المصرية - السوفيتية آذار ١٩٧١ - تموز ١٩٧١

على الرغم من أزمة فقدان الثقة بين القيادتين المصرية والسوفيتية، فإن غياب مبادرة سياسية من شأنها وضع حل نهائي للصراع العربي - (الإسرائيلي)، وحاجة القوات المسلحة المصرية لأسلحة ردع هجومية حتم على السادات تجاوز تلك الأزمة، والمبادرة نحو تقارب مصري - سوفيتي.

- زيارة السادات السرية للاتحاد السوفيتي :

إزاء تعثر الجهود على الجبهة السياسية، قام السادات بزيارة سرية للاتحاد السوفيتي خلال الفترة ١-٢ آذار ١٩٧١، جاءت تلبية لدعوة تلقاها من الحكومة السوفيتية في أواخر شباط ١٩٧١، بعد أن أبلغته القيادة السوفيتية بأن الأمر يقتضي مشاورات على مستوى عالٍ^(١). وفي المباحثات التي جرت بين الجانبين تم عرض الموقف السياسي والعسكري، وناقشت الحكومة المصرية مسألة حتمية البدء بعمليات حربية، وحاجة القوات المسلحة المصرية إلى أسلحة متطورة، وإلى طائرة ردع^(*)، واستكمال الذخائر، والحاجة إلى دفاع جوي متطور ولا سيما في منطقة الصعيد المصري، وأكد الرئيس المصري للقيادة السوفيت على أن ج. ع. م لا ترغب في حدوث مواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، كما أنها لا تريد إشراك الجنود السوفيت في معركتها المقبلة مع (إسرائيل)^(٢).

كان الرئيس المصري يدعي من وراء تلك الزيارة تحقيق ثلاثة مطالب تم عرضها على الحكومة السوفيتية، أولها أن يضع معهم إستراتيجية عسكرية، وسياسة مشتركة، وثانيها أن توضع ج. ع. م على قدم المساواة مع (إسرائيل) بالنسبة للتسلح، وفي ذلك أوضح لهم بأنه لا يطالب بتفوق في الأسلحة، على الرغم من أن ذلك من

(١) مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، ص ٨٩.

(*) طائرة الردع: المقصود هنا طائرة كبيرة من طراز (اليوشن ٢٣)، وكانت آنذاك في حساب الجميع سلاح الردع الأساسي الذي يمكن أن يتوفر للقوات الجوية. هيك، أكتوبر ٧٣، السلاح والسياسة، ص ٢٢٦.

(٢) محمد حافظ إسماعيل، أمن مصر القومي في عصر التحديات، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٨٧)، ص ١٧٥.

حق ج. ع. م، بوصفها البلد المهزوم والمحنته أرضه، وثالثها خاص بالمعدل الحالي لإرسال الأسلحة، وقد تبين للحكومة المصرية ان السوفيت عازفون عن التحدث في موضوع الإستراتيجية المشتركة، وان كانوا مستعدين للبحث في مسألة السلاح^(١).

إلا ان السوفيت لم يستجيبوا لطلب الحكومة المصرية في الحصول على طائرة ردع، وكان أقصى ما قبلوه، هو إمداد مصر بالطائرات القاذفة (تي يو ١٦)، بشرط ان يتم استخدامها بالتشاور مع الحكومة السوفيتية، وقد رفضت الحكومة المصرية أي قيد على حريتها في استخدام تلك الطائرات^(٢). وفي ذلك قال السادات ((لنفرض ان الإسرائيليين ضربوا عمق مصر مرة أخرى، فهل المفروض ان انتظر الإذن من موسكو قبل ان أرد الضربة، ان ذلك يضعني في مركز غريب، فانا رئيس لدولة مستقلة، ولا يمكنني ان أتنازل عن أي جزء من استقلالي في الحركة))^(٣).

وفي محاولة من قادة الاتحاد السوفيتي لإثبات عمق وقوة التزامهم العسكري تجاه القيادة المصرية، وافقوا خلال تلك الزيارة على تزويد ج. ع. م بعدد إضافي من طائرات ميج ٢١ الاعتراضية، وعلى التوسع في إقامة قواعد صواريخ أرض - جو، مع الإبقاء على أطقم الفنيين السوفيت اللازمين لتشغيل نظم الدفاع الجوي المصري^(٤).

كما ان السوفيت قد وافقوا خلال تلك الزيارة، وبعد إلحاح من الرئيس المصري على إرسال طائرات ميج ٢٣ وميج ٢٥، شرط ان يقودها طيارون سوفيت، وان تبقى تحت سيطرة الحكومة السوفيتية، بعد ان ابلغوا الحكومة المصرية، بانه قد يلزم مرور خمس سنوات قبل ان يستطيع الطيارون المصريون استخدام تلك الطائرات المعقدة بطريقة جيدة^(٥).

يتضح من ذلك ان الحكومة السوفيتية كانت تلتزم الحذر تجاه القيادة المصرية، وانه مازالت هناك شكوك سوفيتية حول إمكانية إقدام السادات على خوض حرب

(١) هيك، الطريق إلى رمضان، ص ١١٢.

(٢) إسماعيل، المصدر السابق، ص ١٧٥؛ ضياء الدين داود، ما بعد عبد الناصر أيام والسادات، دار الموقف العربي، (القاهرة، ١٩٨٦)، ص ٤٦.

(٣) نقلاً عن: هيك، الطريق إلى رمضان، ص ١١٢.

(4) Glassman, Op. Cit, p.87.

(5) Ibid.

جديدة مع (إسرائيل)، قد تؤدي إلى هزيمة عربية، نتيجة التسرع و عدم استكمال الاستعدادات العسكرية، قد ينتج عنها خسارة جديدة لسمعة السلاح السوفيتي، أو قد تؤدي إلى مواجهة مع الولايات المتحدة طالما تجنبها السوفيت.

وبعد عودته إلى القاهرة صرح الرئيس المصري في ٧ آذار ١٩٧١، بأنه راضٍ تماماً عن ما تم انجازه خلال تلك الزيارة، وأنه واثق من تأييد الاتحاد السوفيتي للحق العربي تأييداً مطلقاً^(١).

وعلى الرغم من كون السادات قد صرح بأنه تظاهر بالغضب كي يحصل على ما يريد من الحكومة السوفيتية^(٢). إلا أن المحادثات لم تخلُ من مشاحنات واعتراضات واقعية، ويذكر الفريق أول محمد فوزي (وزير الحربية المصري) في مذكراته بأن السوفيت أطلقوا على لقاء القمة في ١ آذار ١٩٧١، تسمية (لقاء بداية فقدان الثقة والتشكيك)^(٣)، وأن الزيارة لم تحقق الكثير مما كانت القيادة المصرية تتمناه، وربما يكون ذلك عائداً إلى كون القادة السوفيت لم يتخلصوا من شكوكهم تجاه السادات، ولم يضعوا ثقتهم فيه بعد، ولولا تلك الشكوك ربما كان مصير تلك الزيارة النجاح، كما نجحت زيارة عبد الناصر لموسكو في كانون الثاني ١٩٧٠^(٤).

إن موضوع الإمداد بالأسلح كان دائماً من أهم المواضيع الحساسة التي لم تحسم بصراحة، ولم يتوصل الجانبان فيها إلى نظرة مشتركة، ومن الجانب المصري كان القادة يطلبون السلاح من السوفيت، وعيونهم على الإمدادات الأمريكية المتطورة لـ (إسرائيل)، ومن الجانب السوفيتي كان الموقف يتلخص في إمداد القوات المسلحة المصرية باحتياجاتها الضرورية للدفاع عن ج. ع. م وتحرير أراضيها المحتلة دون التورط في قتال مبكر يتيح لـ (إسرائيل) فرصة رد الفعل المتصاعد الذي يربك

(١) "كلمة الرئيس أنور السادات، رئيس الجمهورية العربية المتحدة، إلى الشعب حول الوضع السياسي الراهن"، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧١، المصدر السابق، ص ١٩٦.

(٢) ينظر: هيكل، الطريق إلى رمضان، ص ١١٣.

(٣) فوزي، إستراتيجية المصالحة، ص ١٥٣.

(٤) كان القادة السوفيت آنذاك يعتقدون بأن السادات ليس الرجل المناسب بالنسبة لهم، وأنه يبدو أكثر ميلاً واستعداداً للتفاهم مع الولايات المتحدة،

Nigel J. Ashton, (ed.), The Cold War in The Middle East Regional conflict and the superpowers 1967-73, Routledge, (New York, 2007) p.141.

الخطة الأساسية للتحرير، وإتاحة الحجة الكافية لها للحصول على أسلحة أمريكية متطورة، الأمر الذي يساهم في تصعيد حدة سباق التسلح في المنطقة، ويعرضها لأخطار أكثر جسامة^(١).

كانت رغبة القيادة المصرية مشروعة، ورؤية القادة السوفيت سليمة، لكن التوافق بينهما لم يتحقق تماماً، لان العلاقة بين ج. ع. م والاتحاد السوفيتي. لم تكن ابداً مثل العلاقة بين (إسرائيل) وأمريكا، فالنظم الاجتماعية مختلفة بين ج.ع.م والاتحاد السوفيتي، بل ان الحساسية من الشيوعية ظلت قضية غير محسومة، بينما تؤدي (إسرائيل) دوراً واضحاً ونشطاً في خدمة المصالح الأمريكية، حيث يتوفر انسجام كامل في النظم الاجتماعية، وتطابق واضح في المصالح المشتركة^(٢).

ونتيجة لذلك ظلت العلاقات المصرية – السوفيتية على الرغم من تطور ما مشوبة بالحذر، وأصبح صوت الإلحاح في الحصول على أسلحة جديدة أكثر ارتفاعاً من كلمات الشكر والتقدير على ما أصبح في يد الجنود المصريين فعلاً، ولم تبذل القيادة العسكرية المصرية جهداً في سبيل تعميق النظرة السياسية للضباط والجنود، وتوضيح ان كل من يتعاون مع القيادة المصرية، ويقدم لها السلاح في معركة التحرير هو صديق لها. وبدلاً من حدوث ذلك فان أزمة فقدان الثقة لم تقتصر على القادة السياسيين، بل شملت حتى القيادات العسكرية، ففي ٥ آذار ١٩٧١ عقدت وزارة الحربية المصرية اجتماعاً حضره كبار قادة القوات المسلحة وكبار الخبراء السوفيت وبينهم الجنرال اوكونيف (رئيس البعثة العسكرية السوفيتية)، وأثناء الاجتماع شكوا بعض الضباط المصريين من فعالية الأسلحة السوفيتية، ومن التأخير في إرسال تلك الأسلحة، وانبرى الجنرال اوكونيف يرد على ما بدى له نقداً للاتحاد السوفيتي، لكن السادات أوضح له بان ليس هناك ما يدعو إلى الحساسية، وان الضباط المصريون لا يهاجمون الاتحاد السوفيتي، وانه في اجتماع مثل هذا لا بد لكل شخص ان يتكلم بصراحة^(٣).

(١) حمروش، غروب يوليو، ص ٥٢.

(٢) حمروش، غروب يوليو، ص ٥٢.

(٣) هيكل، الطريق إلى رمضان، ص ١١٣.

وخلال الفترة ٤-٩ نيسان ١٩٧١ سافر وفد مصري يمثل الاتحاد الاشتراكي العربي برئاسة عبد المحسن أبو النور (الأمين العام للاتحاد الاشتراكي العربي) إلى موسكو للمشاركة في المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي^(١). وقد أصدر المؤتمر بياناً اهتمت به القيادة المصرية كثيراً. جاء فيه ((ان الاتحاد السوفيتي سيواصل بحزم مساندة الشعوب العربية، وان على المعتدين الإسرائيليين ان يخرجوا من الأراضي التي استولوا عليها))، كما حذر البيان حكام (إسرائيل) من الرفض العنيد الذي يبدو أنه لسحب قواتهم من الأراضي العربية المحتلة^(٢).

ولغرض التباحث حول الخطوات المشتركة المقبلة من أجل توطيد السلام في الشرق الأوسط، وبناءً على دعوة الحكومة السوفيتية، قام محمود رياض (وزير الخارجية المصري) بزيارة للاتحاد السوفيتي خلال الفترة ١٥-٢٠ نيسان ١٩٧١، وقد توصل رياض من خلال مباحثاته مع غروميكو (وزير الخارجية السوفيتي) إلى التفاهم حول عدة نقاط تشمل الموقف السياسي المشترك للجانبين، كان من بينها أهمية الاستمرار في التحرك السياسي من أجل الضغط على الولايات المتحدة، وتأييد الحقوق السياسية الكاملة للشعب الفلسطيني، والاهتمام بالتحرك الإعلامي، مع ضرورة التركيز على رفض (إسرائيل) للانسحاب، والدور المنحاز للولايات المتحدة، ويبدو ان الرسالة الأهم التي كان يحملها الوزير المصري للحكومة السوفيتية، هي رؤية الحكومة المصرية بان المعركة مقبلة، ولا بد من التعجيل بوصول الدعم العسكري لـ ج. ع. م^(٣).

وقد تضمن البيان المشترك للجانبين إشارة إلى الأهمية الكبيرة للاتصالات والمشاورات المنتظمة بين حكومتي البلدين حول المسائل التي تهمهما، كما عبر الجانبين عن استعدادهما لإجراء مثل تلك الاتصالات والمشاورات في المستقبل^(٤).

(١) عبد المحسن أبو النور، الحقيقة عن ثورة يوليو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠٢)، ص ٣٠٧.

(٢) نقلاً عن: مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، ص ٩١.

(٣) رياض، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٤) "بيان مصري - سوفيتي مشترك بمناسبة زيارة السيد محمود رياض للاتحاد السوفيتي"، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧١، المصدر السابق، ص ٣١٥.

- اعلان اتحاد الجمهوريات العربية ١٧ نيسان ١٩٧١ والموقف السوفيتي منه :

كانت فكرة اتحاد الجمهوريات العربية معروضة للمناقشة منذ عام ١٩٦٩، وكان عبد الناصر قد أقام في ٢٤ كانون الأول ١٩٦٩، اتحاداً شكلياً مع ليبيا والسودان، كان في الأساس خطوة على طريق مشروع القيادة المصرية آنذاك نحو تعزيز الدعم العربي لـ ج. ع. م بعد حرب ١٩٦٧^(١).

وفي ٨ تشرين الثاني ١٩٧٠ شكلت ج. ع. م اتحاداً ثلاثياً مع ليبيا والسودان، ثم انضمت إليها سوريا في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٠^(٢).

وفي ١٧ نيسان ١٩٧١، أعلن السادات عن قيام اتحاد الجمهوريات العربية في كلمة جاء فيها ((أحمد الله الذي أتاح لي الشرف ان أعلن إليكم اللبلة قيام اتحاد الجمهوريات العربية الذي اتفقت الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية الليبية والجمهورية العربية السورية على إقامته بينها))^(٣).

وفي البداية كان الاتفاق ان يكون الاتحاد رباعياً ويدخله السودان إلا ان الرئيس السوداني جعفر نميري^(*) اعتذر، متذرعاً بمشاكله الداخلية^(٤). إذ كان اتحاد الجمهوريات العربية يحظى بمعارضة شديدة من قبل الحزب الشيوعي السوداني واضطر الرئيس السوداني إلى ترك محادثات الوحدة في القاهرة والسفر إلى موسكو

(١) الجمل، المصدر السابق، ص ٨٢.

(٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: غسان يوسف مزاحم، اتحاد الجمهوريات العربية (مصر - سوريا - ليبيا) دار حوران للطباعة والنشر، (دمشق، ٢٠٠٠)، ص ١٢، وما بعدها.

(٣) كلمة الرئيس أنور السادات، رئيس الجمهورية العربية المتحدة، إلى الأمة العربية حول إعلان تأسيس اتحاد الجمهوريات العربية" الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧١، ص ٣٠٩.

(*) رجل دولة سوداني ولد عام ١٩٣٠، دخل الكلية الحربية عام ١٩٥٠ شارك في تأسيس جماعة من الضباط الأحرار السودانيين مستوحاة من النموذج المصري اعتقل عام ١٩٦٣، وبعد خروجه من السجن أوفد إلى ألمانيا ثم إلى الولايات المتحدة لمتابعة تحصيله العسكري استولى على الحكم عام ١٩٦٩ وأطيح به عام ١٩٨٥، للتفاصيل ينظر: بابكر حسن مكي، النميري الامام والروايت، أسرار ١٦ سنة من حكم المشير للسودان، حق النشر والتوزيع للمؤلف، (الكويت، د. ت)، ص ٢٥ وما بعدها.

(٤) عبد العاطي محمد، "تطور الفكرة العربية في مصر" مجلة الفكر العربي، (بيروت) المجلد (١)، السنة الاولى، العددان (٤، ٥)، تشرين الأول، تشرين الثاني، ١٩٧٨، ص ٣١٥.

للحصول على تأييد سوفيتي في الضغط على الشيوعيين السودانيين حتى يتخلوا عن معارضتهم لإشتراك السودان في الاتحاد^(١).

لكن يبدو ان السوفيت لم يكونوا قادرين، أو ربما لم يكونوا راغبين في ممارسة ضغط على الشيوعيين السودانيين وكانت النتيجة النهائية ان انسحب السودان من محادثات القاهرة، ولم يوقع على الاتفاق المبدئي للاتحاد في ١٧ نيسان ١٩٧١^(٢).

وعلى الرغم من موافقة الحكومة السوفيتية بحماس على توقيع الاتحاد، الذي وصفته صحيفة برا فدا بانه خطوة جديدة نحو وحدة الدول العربية، وقوة جديدة تضاف إلى جبهة القتال ضد (قوى الاستعمار)^(٣). فإن السوفيت لم يكونوا مقتنعين تماماً بفكرة الاتحاد، ويبدو انهم اضطروا إلى تأييده املاً في ان يستخدم كأداة لإضعاف النفوذ الغربي في البلدان العربية. فالاتحاد السوفيتي كان في السابق متحفظاً على موضوع الوحدة العربية، ومنذ البداية كان للعلماء السوفيت اعتراضاتهم التي كانوا يدعموها بحجج، مثل عدم اكتمال شروط ومقومات الوحدة، واقتدار البلدان العربية إلى الاتفاق في مسألة التكامل الاقتصادي وغير ذلك من الذرائع الأخرى^(٤).

وعندما كان موضوع الوحدة مقترحاً في عهد عبد الناصر، اعترضت الحكومة السوفيتية عليه، بحجة ان تناقض مواقف الدول العربية سيؤدي إلى تعقيد أزمة الشرق الأوسط، وان المسألة تحتاج إلى تفكير طويل، والأخذ بدروس التاريخ، فان تمت الوحدة وحصل انفصال مماثل لما حدث عام ١٩٦١ فان ذلك سيؤثر حتماً على نحو سلبي في سمعة ووزن القيادة المصرية^(٥). وقد أبدى القادة السوفيت حينها استيائهم من فكرة الاتحاد بالقول ان الأحزاب المتصارعة في سوريا ستجر المتاعب على الحكومة المصرية ثم تساءلوا عن طبيعة العلاقات التاريخية بين مصر وليبيا،

(١) دانكوس، المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٢) فريدمان، المصدر السابق، ص ٨٢.

(٣) نقلاً عن: روميا نتسيف شفيدوف، العلاقات السوفيتية - الليبية، دار التقدم، (موسكو، ١٩٨٦)، ص ٧٧.

(٤) قدرتي قلججي، آراء العلماء والقادة السوفيت في الأمة والطبقة والوحدة والمقاومة وقضية فلسطين، دار الكاتب العربي (بيروت، د. ت)، ص ١٧٩.

(٥) رياض، المصدر السابق، ج ١، ص-ص ٢٦٢-٢٧١.

واضطر عبد الناصر إلى ان يقف موقف الدفاع في تلك القضية العربية البحتة أمام محدثيه السوفيت^(١).

كما ان مشروع الاتحاد المعلن في ١٧ نيسان، كان قد لقي معارضة شديدة من قيادة وأعضاء الاتحاد الاشتراكي، الذي كانوا يوصفون في ج. ع. م بانهم ذوي ميول يسارية تحظى باحترام السوفيت، أمثال علي صبري وشعراوي جمعة وغيرهما، الذين كان اعتراضهم مبنياً على ان السادات تجاوز سلطته بعدم الرجوع إليهم، كما انهم كانوا يخشون من التغيرات الدستورية التي ستطرأ نتيجة تشكيل ذلك الاتحاد، والتي تتطلب إعادة هيكليّة بنية الدولة، وإجراء انتخابات جديدة، لذا ساورتهم الشكوك بان السادات سيجد في ذلك ذريعة للتخلص منهم^(٢).

ويبدو ان مخاوف السوفيت من الصعوبات التي سيخلقها التقارب بين الدول الثلاث، والدعوات الإسلامية المعادية للشيوعية، التي كان يطلقها الرئيس الليبي معمر القذافي^(*)، واحتمالات القضاء على الشيوعيين في السودان، كل ذلك كان وراء خشية السوفيت من ان يهدد الاتحاد موقعهم في المنطقة العربية^(٣).

– الصراع السياسي على السلطة في مصر واثره في العلاقات المصرية – السوفيتية:

(١) صلاح العقاد، السادات وكامب ديفيد، الاتفاقيات وأصولها التاريخية، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٨٦)، ص-ص ٦٨-٦٩.

(2) John Waterbury , Egypt (Burdens of the past). By field staff, United State of America universities, 1978, p.238;

هناك من يشير إلى ان السادات كان ينوي ذلك فعلاً، ينظر: ألبير فرحات، مصر في ضل السادات ١٩٧٠-١٩٧٧، دار الفارابي، (بيروت، ١٩٧٨)، ص ٢٤.

(*) معمر القذافي (١٩٤١-٢٠١١) عسكري وسياسي ليبي ولد في منطقة سرت عام ١٩٤١، التحق بالكلية الحربية في بنغازي عام ١٩٦٣ وتخرج منها عام ١٩٦٥ برتبة ملازم، يعد المحرض الرئيسي في انقلاب ١ أيلول ١٩٦٩، الذي أطاح بالملك إدريس السنوسي، رأس مجلس قيادة الثورة، ثم أصبح أمين المؤتمر العام للشعب الليبي، تخلى سنة ١٩٧٩ عن كل مناصبه الرسمية وأعلن نفسه (قائد ثورة)، لكنه بقي فعلياً يمثل الرئيس الحقيقي للدولة، هدد مراراً بالانسحاب من جامعة الدول العربية، له مؤلفات منها الكتاب الأخضر ورواية الأرض، قتل في ٢٠/١٠/٢٠١١. خليل احمد خليل، ملحق موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، (بيروت، ٢٠٠٤)، ص ٥٧٥.

(٣) دانكوس، المصدر السابق، ص ١٤٥.

كان الانقسام والصراع على السلطة بين النخبة المصرية الحاكمة، موجوداً منذ عهد عبد الناصر، إلا ان وفاة الأخير في ٢٨ أيلول ١٩٧٠، جعلت ذلك الصراع يتضح تدريجياً، كما ان العلاقة بين السادات والمجموعة التي عرفت بـ (مجموعة علي صبري)^(*) كانت تقتدر إلى الكثير من حسن التعامل والثقة بين الجانبين^(١). وكانت هناك خلافات في الفكر وفي التوجه السياسي، يختلط فيها الموقف الشخصي بالموقف المبدئي^(٢).

كانت تلك الجماعة غير راضية وغير مقتنعة بترشيح السادات لمصب رئاسة الجمهورية، إلا انها في الوقت نفسه كانت ترى فيه شخصية يمكن السيطرة عليها^(٣). وان اثبتت لهم الأيام عكس تصوراتهم، وكانت هناك أكثر من مسألة جعلت السادات يعتقد بانهم يحاولون تقييد سلطاته، ومنها معارضتهم لمبادراته السياسية في ٤ شباط

(*) على الرغم من ان السادات أطلق على أفراد تلك الجماعة اسم (جماعة علي صبري)، وجرى المؤرخون والكتاب بعد ذلك على نهجه وعلى إطلاق ذلك الاسم عليها، بعد ان أصبح اصطلاحاً يصعب تغييره، إلا ان المؤرخ المصري جمال حماد (أحد أعضاء تنظيم الضباط الأحرار) يرى ان واقع الأمر وتصحيح التاريخ هو ان تلك الجماعة لم تكن جماعة علي صبري، وإذا كانت هناك تسمية تصح ان تطلق عليها فيجب ان تسمى جماعة، (شعراوي وسامي وفوزي). جمال حماد، الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر وأسرار مصرع المشير عامر، ط٥، الشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة، ٢٠٠٨)، ص ٢٤.

(١) احمد طعيمة، شاهد حق، صراع السلطة، نجيب، عبد الناصر، عامر، السادات، مطابع الأهرام التجارية، (القاهرة، ١٩٩٩)، ص ١٩٠؛ "القصة كاملة: أنور السادات ومحمد حسنين هيكل"، مجلة الجبل، (بيروت)، العدد الثاني، تشرين الثاني ١٩٨٠، صص ١٥٣-١٥٤..

(٢) للمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الله امام، انقلاب ١٥ مايو القصة الكاملة، دار الموقف العربي، (القاهرة، ١٩٨٤)، ص ٢٤ وما بعدها؛ سليمان مظهر، قصة الصراع بين السادات ورجال عبد الناصر، ط١، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩٧)، ص ١٨ وما بعدها. وتجدر الإشارة هنا إلى ان الخلاف بين الطرفين لم يكن خلافاً ناشئاً عن اختلاف التوجهات السياسية، بقدر ما كان معبراً عن صراع على السلطة، بين السادات الذي أراد الانفراد بالقيادة السياسية، باعتباره خليفة لعبد الناصر، وبين خصومه المسيطرين على الاتحاد الاشتراكي العربي من خلال لجذته المركزية، التي كان أعضائها يرون في أنفسهم شركاء للسادات في ميراث عبد الناصر، منصور، المصدر السابق، ص ٣٩٠؛ حمادة حسني، عبد الناصر والتنظيم الطليعي السري ١٩٦٣-١٩٧١، منشورات مكتبة بيروت، (القاهرة، ٢٠٠٨)، ص ٩٥.

(٣) طارق حبيب، ملك وثلاثة رؤساء، ط١، دار الشروق، (القاهرة، ٢٠١٠)، ص ١٩٥؛ رشاد كامل، لغز السادات، ط١، مطابع روز اليوسف، (القاهرة، ١٩٨٩)، ص ١٠٨.

١٩٧١، وإعلانه عن قيام اتحاد الجمهوريات العربية، ومحاولتهم التدخل وإبداء الرأي في كثير من القرارات، التي اتخذها بشأن السياسة الداخلية المصرية. وفي ١ أيار ١٩٧١ وبمناسبة عيد العمال قام السادات بزيارة لمدينة حلوان لإحياء تلك الذكرى، على اعتبار ان تلك المدينة تمثل مركزاً للتجمع العمالي الأكبر في ج. ع. م، وقد نظم أعضاء الاتحاد الاشتراكي مظاهرة، كان الهدف منها اخراج موقف السادات ومقاطعته في القاء خطابه إلا ان المظاهرة فشلت في تحقيق أغراضها، وألقى السادات خلالها خطاباً تحدث فيه بصراحة عن تصميمه على تصفية ما اسماه آنذاك بـ (مراكز القوى)^(١).

وتنفيذاً لذلك بدأ السادات بعزل علي صبري (نائب رئيس الجمهورية) من منصبه. وكان السادات يتوقع ان يحدث إقصاء علي صبري من منصبه، ومن ثم بقية معارضيته، ردود فعل قوية لدى الاتحاد السوفيتي، على اعتبار انهم كانوا متعاطفين مع السياسة السوفيتية في ج. ع. م^(٢)، وان إقصائهم سيؤدي إلى المزيد من المشاكل مع السوفيت، في وقت كان فيه الموقف العسكري الحرج يتطلب مزيداً من الدعم السوفيتي^(٣). لذا أخطرت القيادة المصرية فلاديمير فيونوغرادوف (السفير السوفيتي في القاهرة) بنيتها في إقالة علي صبري، في محاولة منها لمعرفة الموقف السوفيتي تجاه ذلك القرار، وقد عدَّ السفير السوفيتي ذلك شأن داخلي، واكتفى بتذكير السادات، بضرورة توحيد الجهود والتعاون داخل النخبة المصرية للابتعاد عن خطر الانقسام في تلك الظروف الحرجة^(٤).

(١) فؤاد مطر، اين أصبح عبد الناصر في جمهورية السادات - أسرار سقوط رؤوس النظام الناصري، دار النهار للنشر، (بيروت، ١٩٧٢)، ص ٦٣؛ فاروق فهمي، السادات هل قتل الليثي ناصف، مؤسسة أمون الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، (القاهرة، ١٩٩٢)، ص ٤٢
(٢) يشير احد المصادر إلى ان حشوداً من المتظاهرين المصريين قد اجتمعت بعد قرار إقالة علي صبري - حول أسوار السفارة السوفيتية في القاهرة. وكانت تهتف بحياة السادات وسقوط علي صبري وأسياده. دينو فرسكو باليدي، السادات يتحدى، مصر الجديدة في قلب العالم العربي، سلسلة كتب مترجمة، تسلسل (٧٢٠)، وزارة الإعلام المصرية، (القاهرة، د. ت)، ص ٤٨.

(3) Col. B. K. Narayon, Anwar EL Sadat: Man with amission , by Vikas publishing House PVT Ltd, (New Delhi, 1977), p.79.

(٤) فيونوغرادوف، المصدر السابق، ص ٤٠.

وفي ليلة ١١ أيار ١٩٧١ أثبتت بعض الأدلة ان وزارة الداخلية المصرية التي كان يترأسها شعراوي جمعة، كانت قد وضعت هواتف جميع من كان يتصل بهم رئيس الجمهورية المصرية تحت المراقبة، وأوضحت بعض الأشرطة المسجلة، أحاديث تم التقاطها وتسجيلها سراً وبطريقة غير مشروعة من داخل بيت السادات، وتبين من خلال تلك الأشرطة، مسؤولية شعراوي جمعة (وزير الداخلية المصري)، الذي أجبر على الاستقالة اثر ذلك في ١٣ أيار ١٩٧١، ثم أصدر السادات قراراً بتعيين ممدوح سالم (محافظ الإسكندرية) وزيراً للداخلية المصرية^(١).

أدى ذلك إلى استياء باقي الوزراء المعارضين لسياسة السادات، وفي اليوم نفسه، قام خمسة وزراء مصريين بتقديم استقالة جماعية محاولين بذلك ان يخلقوا ما يعرف بـ (الأزمة السياسية). إلا ان السادات سيطر على الموقف الداخلي بعد قبول استقالتهم، وقام في ١٤ أيار ١٩٧١ بحملة من الاعتقالات لعدد من قادة الاتحاد الاشتراكي، وحرص الإعلام المصري على تسمية ما حدث في ذلك اليوم، بأنه صراع على السلطة السياسية حسم لصالح السادات، وليس انقلاباً على سياسة عبد الناصر^(٢).

وفي ١٥ أيار ١٩٧١ عقد القادة السوفيت اجتماعاً جرى فيه بحث التطورات الداخلية الأخيرة التي شهدتها ج.ع.م، على ضوء تقرير عاجل بعثه السفير السوفيتي في القاهرة، وفيما يبدو فان القادة السوفيت توصلوا إلى استنتاج مفاده ان الذين فقدوا مواقعهم في ج.ع.م ليسوا بالضرورة أصدقائهم، كما ان السادات الذي انفرد بالسلطة ليس بالضرورة عدوهم، والراجح في ظنهم انه صراع تقليدي على السلطة، وان كل طرف من أطرافه حاول استغلال (المركز السوفيتي) لصالحه، لكن الذي بقي بعد ذلك نتيجة البحث المستفيض لتلك الأحداث، هو ان الصورة العامة في القاهرة غير واضحة، وذلك هو مكن الخطر بالنسبة للسوفيت^(٣).

(١) للمزيد من التفاصيل ينظر: موسى صبري، وثائق ١٥ مايو، ط١، المكتب المصري الحديث، (القاهرة، ١٩٧٧)، ص ١٥٩ وما بعدها.

(٢) مطر، اين أصبح عبد الناصر في جمهورية السادات، ص ١٤؛ جمال إسماعيل "من باع من في مايو ١٩٧١"، مجلة الدستور (لندن) السنة الثالثة عشرة، العدد (٢٦٨)، ١٩٨٣، ص ٣٠.

(٣) هيكل، أكتوبر ٧٣، السلاح والسياسة، ص ٣١٧.

وعلى الرغم من اعتبار السوفيت ما حدث في ج. ع. م شأن داخلي، فإنهم تأثروا بذلك كثيراً، وكانوا يعدّون تصفية علي صبري ومجموعته تصفية لركائزهم الأساسية في الحكومة المصرية^(١).

وقد تحدثت بعض المصادر السوفيتية عن تلك الأحداث بشيء من الامتناع، إذ يصف الصحفي السوفيتي إيغور بيليبييف تلك الأحداث بانها ((تسويد لصفحة الرئيس المصري عبد الناصر))^(٢).

ويشير الباحثان السوفيتان، (سيرغي لوسيف ويوري تيسوفسكي) إلى تلك الأحداث بالقول ((ان نظام السادات الذي أقصي في ظله انصار عبد الناصر من المناصب الأساسية، كان تلك الحلقة الضعيفة التي قدشت عندها الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل في الجبهة العربية))^(٣).

بينما يقول المستشرق السوفيتي بيجورين (ممثّل وكالة انباء نوفوستي في ج. ع. م): ((تغير الزمن، فقد بدأ رئيس مصر الجديد (السادات) في استبعاد أهم الناصريين لكي تكون أدوارهم ثانوية، ثم ضرب في مايو ١٩٧١، اقرب من أحاط بناصر فتم القبض على (علي صبري) وعلى القادة الآخرين، وكان كل شيء يسير ناحية إنهاء التعامل معنا))^(٤).

لاشك ان الأزمة السياسية الداخلية في ج. ع. م، قد أزاحت الكثير من المعارضين السياسيين للسادات، فضيقت بذلك مجال الاختيار امام الاتحاد السوفيتي، وفي الوقت نفسه كان القادة السوفيت يتخوفون من ان يكون لذلك الصراع الداخلي على السلطة في ج. ع. م، مضاعفاته السيئة على علاقتهم بها، كما ان قرار إقالة علي صبري جاء قبل يوم واحد من زيارة وليم روجرز (وزير الخارجية الأمريكي) للقاهرة، التي تركت مخاوف لدى السوفيت من ان تتطور تلك الاتصالات

(١) عبد العظيم رمضان، مصر في عصر السادات، ج ٢ مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٨٩)، ص ٣٦١.

(٢) بيليبييف، الشرق الأوسط والعرب، ص ٤٣.

(٣) سيرغي لوسيف، يوري تيسوفسكي، الشرق الأدنى البترول والسياسة، دار التقدم، (موسكو، ١٩٨٤)، ص ٢٥٨.

(٤) اناتولي زاخاروفيتش بيجورين، مصر في عصرنا الحديث، ترجمة: علي فهمي عبد السلام، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة، ٢٠٠٦)، ص ٢٥٨.

والمشاورات المتبادلة بين الحكومتين المصرية والأمريكية إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير^(١).

ونتيجة للشكوك السوفيتية تجاه التطور الحاصل في العلاقات المصرية - الأمريكية، طلب السفير السوفيتي في القاهرة موعداً فورياً مع الحكومة المصرية، وأبلغ السادات ان الحكومة السوفيتية قررت إرسال وفد على مستوى عالٍ يرأسه بودغورني وإنها ترجو تحديد موعد لاستقبال ذلك الوفد، وقد وافق الرئيس المصري على استقبال الوفد السوفيتي، بل انه قال للسفير السوفيتي انهم في موسكو سبقوه، لانه كان في نيته الذهاب إليهم الأسبوع القادم^(٢).

وقبيل وصول الوفد السوفيتي إلى القاهرة، أعطى السادات رسالة طمأينة للاتحاد السوفيتي، إذ عرض بنفسه موضوع قلق الاتحاد السوفيتي من الأحداث الأخيرة في ج. ع. م، في اجتماع عقد في مكتبه بقصر القبة، فكرة إدخال واحد أو اثنين من الشيوعيين المصريين البارزين في الوزارة، وتم الاتفاق على (إسماعيل صبري عبد الله) و (فؤاد مرسي) حيث أصبح الأول وزيراً للتخطيط، وأصبح الثاني وزيراً للتموين^(٣).

(١) مقلد، المصدر السابق، ص-ص ٣٢٩-٣٣٠، هناك من يرى ان تلك الأحداث التي شهدتها ج. ع. م في أيار ١٩٧١، أثبتت وحتى بعد توقيع المعاهدة المصرية - السوفيتية في ٢٧ أيار ١٩٧١، (التي سنشير إليها لاحقاً) بان السوفيت كان لديهم تواجد عسكري في ج. ع. م بدون تأثير ونفوذ سياسي معين.

David, P. Forsy, "The Soviets and the Arab - Israeli conflict, world Affairs, Vol. 134, No. 2, 1971, p.139.

(٢) هيكل، أكتوبر ٧٣، السلاح والسياسة، ص ٣١٧؛

Philip D. stewart, Margaret G. Herman "modeling the 1973, Soviet Decisions to support Egypt" The American political Scince Review, VOL. 83, No. 1 (Mar, 1989), p.36.

(٣) شكري، الثورة المضادة في مصر، ص ٦٢. ويلاحظ بعد نجاح السادات فيما اسماه بـ (ثورة التصحيح) في ١٥ أيار ١٩٧١، ان عناصر ماركسية مصرية بدأت سعيها مجدداً لتنظيم نفسها ضمن حزب جديد، اعتقاداً منها بان مبررات الحل ولاندماج في تنظيمات ثورة (يوليو) تموز ١٩٥٢، قد انتهت بنهاية ابرز قياديينها وانتصار القوى المضادة عليها. عبد الهادي ناصف، شاهد عصر، مصر من الثورة إلى الثورة المضادة، دار الوحدة للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٨٦)، ص ١١٥.

- معاهدة الصداقة والتعاون المصرية - السوفيتية ٢٧ أيار ١٩٧١ :

نتيجة لشكوك القادة السوفيت في نوايا القيادة المصرية، قرروا التحقق من مدى ولائها لهم، لذا عرضوا عليها إبرام معاهدة للصداقة والتعاون. وبالفعل وصل إلى القاهرة في ٢٥ أيار ١٩٧١ وفد سوفيتي لذلك الغرض، وفي ٢٧ أيار ١٩٧١ تم التوقيع على المعاهدة التي حددت مدتها بخمسة عشر عاماً^(١).

ويرى البعض ان المبادرة في طلب توقيع المعاهدة جاءت أولاً من الجانب المصري، وذلك في آذار ١٩٧١، من خلال رسالة بعثت بها الاسادات إلى الحكومة السوفيتية، طالباً إبرام تلك المعاهدة رغبة منه في تطمين السوفيت على مستقبل العلاقات مع ج.ع.م ولحثهم على تقديم المزيد من الدعم لها. وقد تردد السوفيت أول الأمر في الموافقة، ثم ما لبثوا ان وافقوا عليها، بعد ان لمسوا تحسناً طارئاً في العلاقات المصرية - الأمريكية، وتحولات داخلية في ج.ع.م أثارت شكوكهم وقلقهم^(٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى ان الحكومة السوفيتية سبق لها ان رفضت عرضاً مصرياً مماثلاً تقدم به عبد الناصر بعد حرب ١٩٦٧، خشية تورطهم في الصراع العربي - (الإسرائيلي) بصورة كاملة^(٣).

غير ان الرأي الأرجح هو ان الحكومة السوفيتية هي التي طالبت بعقد تلك المعاهدة، وان الحكومة المصرية قد استجابت لطلبهم رغبة منها في طمأننتهم، ولعل ما يدل على ذلك ان زيارة بودغورني جاءت نتيجة اقتراح من السوفيت أنفسهم، وان السوفيت قد طالبوا في بادئ الأمر بان تكون مدة سريان المعاهدة لعشرين عاماً، غير ان القيادة المصرية طلبت تخفيضها إلى خمسة عشر عاماً^(٤).

(١) دانكوس، المصدر السابق، ص-ص ١٤١-١٤٢.

(٢) هيكل، حكاية العرب والسوفيت، ص ١٦٨؛ إسماعيل، المصدر السابق، ص ١٨٠.

(٣) أمين هويدي، الفرص الضائعة: القرارات الحاسمة في حربي الاستنزاف واکتوبر، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٩٢)، ص ٢٥٢.

(٤) يذكر محمد حسنين هيكل، (الصحفي ووزير الإعلام المصري السابق)، بأنه كان من المعارضين على مدة المعاهدة، لان مدتها المقررة بـ (٢٠) عاماً، ستجد من يشبهها بالمعاهدة المصرية - البريطانية عام ١٩٣٦، التي كانت مدتها (٢٠) عاماً كذلك. هيكل، حكاية العرب والسوفيت، ص ١٦٨.

كما ان هناك من يشير إلى ان السادات حاول في البداية تأجيل موعد توقيع المعاهدة حتى لا تظهر بمثابة ردة فعل على الأحداث الداخلية في ج. ع. م، واقترح ان يتم التوقيع على المعاهدة بعد الانتهاء من الاحتفال بذكرى ثورة تموز ١٩٥٢، لكن السوفيت أصروا على ان يتم التوقيع عليها في ٢٧ أيار ١٩٧١^(١).

بل ان هناك من يرى ان السادات وقع على المعاهدة مكرهاً لانه كان يواجه موقفاً حرجاً، بعد الأحداث الداخلية الأخيرة، ولخشيته من تحريض السوفيت للقوات المصرية ضده، من خلال قطع الإمدادات العسكرية السوفيتية في حالة رفضه توقيع المعاهدة^(٢). بينما يشير السادات في مذكراته، إلى انه كان قد وافق على عقد المعاهدة مع السوفيت بعد ان وعدته الحكومة السوفيتية، بوصول جميع الطلقات العسكرية التي تقدمت بها الحكومة المصرية للاتحاد السوفيتي في شهر آذار ١٩٧١، خلال أيام محدودة^(٣).

وعلى أية حال فان القادة السوفيت كانوا يهدفون من وراء عقد تلك المعاهدة إلى إبقاء نفوذهم في ج. ع. م، بعد وفاة عبد الناصر والحيلولة دون حدوث تقارب، مصري - أمريكي^(٤).

نصت المعاهدة المصرية - السوفيتية، على استمرار التعاون بين البلدين لمدة ١٥ عام، وتوسيعه ليشمل العلاقات الاقتصادية، والعسكرية والتقنية، والعلمية، والثقافية، وجاء في المادة الأولى من المعاهدة ما يفيد بان التعاون بين البلدين يرسى على أساس احترام السيادة ومبدأ عدم التدخل^(٥).

(1) Ali E. Hilla, Dessouki "The primacy of Economics: The foreign policy of Egypt" in the foreign policies of Arab states, of westview press INS, (U. S. A, 1984), p.145.

(2) Nadav Safran, Saudi Arabia, the ceaseless Quest for security, press of Harvard university (London, 1985), p.145.

(٣) نقلاً عن: أنيس منصور، من أوراق السادات، ط٤، دار المعارف، (القاهرة، ٢٠١٠)، ص ١٤٦.

(٤) محمد علي القوزي، العلاقات الدولية في التاريخ الحديث والمعاصر، ط١، دار النهضة العربية، (بيروت، ٢٠٠٢)، ص ٢٢٠.

(٥) ينظر: المادة الأولى من نص المعاهدة المصرية - السوفيتية، ملحق رقم (٣).

وفي الواقع فإن الوعد المتبادل بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل من البلدين، يعد نجاحاً للحكومة المصرية، إذ إن من الصعب أن تتدخل ج. ع. م، في الشؤون الداخلية للاتحاد السوفيتي.

وعلى الرغم من وجهة النظر القائلة بأن أكثر ما يهتم الحكومة المصرية من مواد تلك المعاهدة هي المادة الثامنة، المتعلقة بالتعاون العسكري، وإن باقي المواد لا تلزمها^(١). فإنه يلاحظ أن المعاهدة لم تحدث تغييراً ملموساً في ذلك المجال، بل كرسست الأمور الأساسية التي كانت تتركز عليها العلاقات المصرية – السوفيتية، وإذا افترضنا أن هناك أمرين رئيسيين تقوم عليهما العلاقات المصرية – السوفيتية يتمثلان بالمساعي السياسية لتسوية أزمة الشرق الأوسط، وبالجهود العسكرية لتعزيز قوة الجيش المصري. فبالنسبة للأمر الأول، نصت المادة الثالثة من المعاهدة على ((أن الطرفين سيواصلان بكل حزم بذل الجهود التي تستهدف تحقيق السلام العادل في الشرق الأوسط وصيانتها))^(٢). وذلك النص هو استمرار للسياسة السوفيتية – المصرية منذ انتهاء حرب ١٩٦٧.

أما بالنسبة للأمر الثاني، فقد نصت المادة الثامنة على الآتي: ((ولصالح تعزيز القدرة الدفاعية للجمهورية العربية المتحدة فإن الطرفين المتعاقدين سيواصلان، تطوير التعاون في المجال العسكري على أساس الاتفاقيات المعينة بينهما ...))^(٣)، وذلك يعني أن المعاهدة لم تسجل أي تغيير في ذلك المجال، بل جاءت لتأكيد الاتفاقيات العسكرية السابقة بين البلدين.

من خلال تلك المعاهدة أراد السوفيت ضمان عدم تحرك ج. ع. م عسكرياً، دون التشاور معهم، ولا سيما وأن تصريحات الحكومة المصرية حول اللجوء إلى الحل العسكري، قد أثارت مخاوف الحكومة السوفيتية، من احتمالات تورطهم في صراع عربي – (إسرائيلي) جديد، وقد استطاع السوفيت أن يحصلوا بمقتضى تلك المعاهدة على تعهد من الجانب المصري بعدم البدء بأي تحرك عسكري قبل التشاور مع السوفيت، فقد نصت المادة السابعة من المعاهدة على: ((في حالة نشوب أوضاع

(١) دانكوس، المصدر السابق، ص ١٤٣.

(٢) ينظر: المادة الثالثة من نص المعاهدة، ملحق رقم (٣).

(٣) ينظر: المادة الثامنة من نص المعاهدة، ملحق رقم (٣).

يرى الجانبان فيها خطراً على السلام، وخرقاً له فانهما سيجريان فوراً الاتصالات بينهما بغية تنسيق مواقفهما لإزالة الخطر الناشئ وإحلال السلام^(١).

ولا يمكن إغفال الآثار السياسية للمعاهدة، فهي أعطت الاتحاد السوفيتي الأساس القانوني الذي يعكس وجوده السياسي والعسكري في ج. ع. م، وإذا أخذنا بعين الاعتبار الظروف التي رافقت توقيع المعاهدة، سواء الداخلية في ج. ع. م ام المبادرات السياسية الأمريكية الهادفة إلى بناء علاقات جديدة مع الحكومة المصرية. نرى ان أهمية المعاهدة تكمن في تثبيت الدور السياسي للاتحاد السوفيتي في المنطقة العربية^(٢).

وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات في بنود المعاهدة بين النصين المصري والسوفيتي^(٣) إلا ان الصحافة السوفيتية قدمت المعاهدة على انها حدث تاريخي له أهمية كبرى، ويفتح عهداً جديداً في العلاقات بين البلدين. وبينما وصفها صحيفة ازفستيا بالحدث الهام والبارز في حياة الشعبين وعدتها عامل سيكون له نصيب كبير في دعم بناء دولة مصرية حديثة^(٤). وصفها صحيفة برافدا بالحدث الضخم بالنسبة للمشرق العربي بأسره^(٥). وانها (اي المعاهدة) تمثل مواصلة لخط الرئيس المصري جمال عبد الناصر في تقوية الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي، بما هيئته من أساس طويل الأمد لتعاون متعدد الأوجه بين البلدين^(٦). ويمكن القول ان معاهدة الصداقة والتعاون كانت بمثابة تقنين للعلاقات المصرية - السوفيتية القائمة آنذاك^(٧).

ويبدو ان الحكومة المصرية كانت تدظر إلى تلك المعاهدة بوصفها ضرورة ملحة تملئها عليها اعتبارات مؤقتة، ولا تعني ارتباط ج. ع. م المطلق بالاتحاد

(١) ينظر: المادة السابعة من نص المعاهدة، ملحق رقم (٣).
(٢) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية، لعام ١٩٧١، ط١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية (بيروت، ١٩٧٥)، ص٤٤٣.

(٣) ينظر: دانكوس، المصدر السابق، ص١٤٣.

(٤) صحيفة الازفستيا، العدد ١٢٦، ١٩٧١/٥/٣٠.

(٥) نقلاً عن وكالة (نوفوستي) الصحافية العدد ١٥٥٤، في ١٩٧١/٧/١١.

(٦) نقلاً عن: Yodfat, Op. Cit., p.277.

(٧) فريد مان، المصدر السابق، ص٨٤.

السوفيتي، ومما يدل على ذلك وصف السادات للمعاهدة عقب توقيعها بأنها لا تزيد عن مجرد كونها (حبراً على ورق)^(١). بينما كانت الحكومة السوفيتية ترى في تلك المعاهدة أساساً لعلاقات طويلة الأجل بين البلدين^(٢).

وربما كانت أهمية المعاهدة بالنسبة للجانب السوفيتي تكمن في إظهار مدى فشل السياسة الخارجية الأمريكية، في إحداث انشقاق في العلاقات المصرية – السوفيتية وما يدل على ذلك ما ذكره بودغورني بعد التوقيع على المعاهدة حين قال ((تكمن أهمية المعاهدة بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة، في انها ضربة جديدة لمخططات الامبريالية العالمية التي تحاول بكل طريقة ممكنة دق اسفين في العلاقات بين بلدينا بهدف إضعاف صداقتنا وبث الفرقة بين القوى التقدمية))^(٣).

أما عند الجانب المصري فانها كانت تمثل عنصراً من عناصر الضغط على الولايات المتحدة و (إسرائيل) لحملها على التحرك الجدي على طريق التسوية السلمية، كما انها تضمنت التزاماً سوفيتياً بإمداد ج. ع. م بحاجتها من السلاح بهدف دعم قدراتها العسكرية اللازمة للقيام بتحريك عسكري لإزالة اثار العدوان في حال فشل جهود التسوية السياسية^(٤).

وربما تكون النتيجة المهمة لتلك المعاهدة على العلاقات الدولية، قد تمثلت بتأثيرها في سياسة عدم الانحياز، فحتى أيار ١٩٧١، بقي مبدأ عدم الانحياز فكرة حية في العالم الثالث، وكان في توقيع مصر للمعاهدة مع السوفيت، اعترافاً ضمناً، بان خط عدم الانحياز، تجاوزه الزمن، وشكلت المعاهدة غياباً رسمياً لمبدأ -على الرغم من ضعفه- كان في عام ١٩٧١ أحد معطيات السياسة العالمية^(٥).

وبعد توقيع الجانبين المصري والسوفيتي على معاهدة الصداقة والتعاون دخلت العلاقات بينهما مرحلة جديدة من التنسيق المشترك. وخلال الفترة (٢٩ حزيران - ٤

(١) نقلاً عن: جمال علي زهران، السياسة الخارجية لمصر ١٩٧٠-١٩٨١، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٨٧)، ص ٢٨٣.

(٢) وثائق وقرارات المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي، منشورات وكالة انباء نوفوستي، (موسكو، ١٩٧٦)، ص ١٥.

(٣) نقلاً عن فريدمان، المصدر السابق، ص ٨٥.

(4) Glassman. Op. Cit, p.89.

(٥) دانكوس، المصدر السابق، ص ١٤٤.

تموز ١٩٧١) قام محمود رياض (وزير الخارجية المصري) بزيارة للاتحاد السوفيتي، كان الهدف المعلن لها، هو تبادل وثائق إبرام معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين^(١). بينما هناك من يشير إلى ان الهدف الفعلي لتلك الزيارة هو تأكيد ضرورة البدء بعمليات عسكرية بعد فشل الجهود السياسية في حل أزمة الصراع العربي- (الإسرائيلي)^(٢). ولاسيما ان التصميم على القتال في أقرب فرصة، واعتبار الخيار العسكري حلاً وحيداً لتلك الأزمة، كان توجهاً سائداً لدى القيادة العسكرية المصرية آنذاك^(٣).

وتعد تلك الزيارة أول اتصال رسمي بين الاتحاد السوفيتي و ج. ع. م، بعد ان دخلت العلاقات بينها مرحلة جديدة، تقتضي استمرار التشاور والاتصال لتدقيق الموقف، والعمل المشترك بغية التوصل إلى حل يحقق أهداف الحكومة المصرية، في إزالة آثار العدوان (الإسرائيلي)، واتفق الجانبان في تلك الزيارة على ان الوصول إلى ذلك يمكن من خلال دعم القدرة العسكرية المصرية، آخذين في الاعتبار ان (إسرائيل) تبني حساباتها وموقفها على أساس قدرة الخصم على التحرك العسكري في حال فشل كافة الجهود السلمية^(٤).

وبعد عرض وجهات النظر المتبادلة، اتفق الجانبان على ضرورة استمرار العمل السياسي وأهميته في تلك المرحلة^(٥).

وذلك يعني ان تعزيز التعاون العسكري بين الجانبين المصري والسوفيتي لا يعني إهمال الخيار السياسي، وربما كان الهدف منه هو التلويح بالقوة العسكرية من اجل تحقيق مكاسب على المستوى السياسي.

وفي نهاية المباحثات صدر بيان ختامي مشترك، تمثلت أهميته، في تأكيده على ان اي تسوية للنزاع العربي- (الإسرائيلي) يجب ان تشمل جميع جوانب المشكلة، التي تتصل ببعضها، وأهمها سحب القوات (الإسرائيلية) وإقرار السلام في الشرق

(١) نشرة وكالة (نوفوستي) الصحافية، العدد ١٥٤٩، ١٩٧١/٧/٥، ص ١.

(٢) إسماعيل، المصدر السابق، ص ١٨٠.

(٣) عبد المنعم خليل، في قلب المعركة، المكتبة الأكاديمية، (القاهرة، ١٩٩٥)، ص ٣٦١.

(٤) صحيفة الجمهورية (القاهرة)، العدد ٦٤٠٣، ١٩٧١/٧/٧.

(٥) صحيفة الأهرام، العدد ٣٠٨٨٨، ١٩٧١/٧/٦.

الأوسط، وتأمين الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، كما أكد البيان على ان مسألة فتح قناة السويس للملاحة الدولية، لا يمكن حلها على حدة دون حل مسائل التسوية الأخرى^(١).

وبهذا تضمن البيان مواجهة واضحة لمحاولات تجزئة مشكلة الشرق الأوسط، وفصل مسألة فتح قناة السويس للملاحة الدولية، عن بقية اجزاء التسوية الشاملة.

(١) "البيان المشترك، السوفيتي - المصري" نشرة وكالة (نوفوستي) الصحافية العدد ١٥٤٩،
١٩٧١/٧/٥،
ص-ص ١-٢.

المبحث الثاني

العلاقات المصرية - السوفيتية تموز ١٩٧١ - حزيران ١٩٧٢ :

لم تخلُ الشهور التي أعقبت توقيع المعاهدة المصرية - السوفيتية في ٢٧ أيار ١٩٧١، من خلافات واضحة بين الجانبين، فلم يمضِ شهران على توقيعها حتى حدثت (أزمة ثقة) جديدة بين القيادتين المصرية والسوفيتية، بسبب تطور الموقف الداخلي في السودان خلال الفترة ١٩-٢٢ تموز ١٩٧١ الذي نتج عنه اضطهاد لعناصر الحزب الشيوعي السوداني الذي قام في ١٩ تموز ١٩٧١ بانقلاب على القيادة السياسية في السودان، وقد أثبتت تلك التطورات وما نتج عنها من خلاف مصري - سوفيتي - بسبب الموقف المصري المؤيد للنظام السوداني، والتدخل المصري في الأحداث من خلال المساهمة العسكرية في قمع الانقلاب - ان معاهدة الصداقة والتعاون جاءت نتيجة ظروف طارئة ولم تكن ناتجة عن إيمان حقيقي بتطور العلاقة بين البلدين.

- أحداث السودان ١٩-٢٢ تموز ١٩٧١ واثرها في العلاقات المصرية السوفيتية :

كان الانقلاب (الشيوعي) الذي قاده الرائد هاشم العطا، عضو مجلس قيادة الثورة السوداني السابق، في ١٩ تموز ١٩٧١، ضد نظام حكم الرئيس السوداني جعفر النميري، بمثابة المناسبة التي أظهرت خلافات واضحة بين الجانبين المصري - والسوفيتي، وزادت من توتر العلاقات المصرية - السوفيتية، فذلك الأحداث وما رافقها من تأييد مصري للنميري قدمت دليلاً عملياً للاتحاد السوفيتي عن طبيعة النوايا التي كانت القيادة المصرية تضررها لهم، وللقوى المرتبطة بهم في المنطقة العربية.

كان الرئيس السوداني جعفر النميري يهدف إلى تأمين أقصى دعم سياسي ممكن لنفسه في الداخل، وقد أيده في أول الأمر معظم أعضاء الحزب الشيوعي السوداني، وعندما اصدر النميري قراراً بحظر جميع الأحزاب السياسية، وإنشاء اتحاداً اشتراكياً سودانياً واحداً، على غرار الاتحاد الاشتراكي العربي الذي أسسه عبد الناصر، فإنه كان يأمل ان يمضي الحزب الشيوعي السوداني على طريق

الحزب الشيوعي المصري ويقوم بحل نفسه رسمياً، والاندماج في الاتحاد الاشتراكي السوداني، لكن الحزب الشيوعي السوداني كان رافضاً أن يقوم بذلك^(١).

وفي ١٢ شباط ١٩٧١ ألقى النميري خطاباً تميز بلهجته العنيفة ضد الشيوعيين^(٢). وفيما بعد تأزمت العلاقة بين السلطة الحاكمة في السودان والحزب الشيوعي السوداني، وشهد منتصف عام ١٩٧١، ذروة تلك الأزمة، ونتيجة لمعارضة قادة الحزب الشيوعي السوداني لخطط وتوجهات النميري للانضمام إلى اتحاد الجمهوريات العربية، والتحدي الواضح لسلطته، تعاملت القيادة السودانية بشدة مع الشيوعيين، وقامت في ٢٥ أيار ١٩٧١، باعتقال أبرز قيادات الحزب، كان من بينهم جميع أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني تقريباً، كما دلت النقابات العمالية التي كانت تستخدم لدعم سلطة الشيوعيين^(٣). وبدأ النميري يزيح الشيوعيين البارزين من مناصبهم في وزارة الداخلية والجيش وخلال شهر واحد تم تسريح حوالي ٦٠ شيعياً^(٤).

وأدى ذلك التوتر في العلاقات، إلى أن يقوم الجناح العسكري للحزب الشيوعي السوداني، بانقلاب على السلطة في ١٩ تموز ١٩٧١، وبعد استكمال تقدم القطاعات العسكرية الموالية للشيوعيين نحو العاصمة السودانية، واعتقال النميري وأعضاء مجلس وزراءه، تمكن الانقلابيون من إحكام سيطرتهم على مقاليد السلطة في البلاد^(٥).

وقد تباينت مواقف الجانبين المصري والسوفيتي من ذلك الانقلاب، فبينما كان السوفيت يؤيدون ذلك الانقلاب، ويطلبون من الحكومة المصرية بإلحاح أن تعترف

(١) هيك، حكاية العرب والسوفيت، ص ١٧١.

(٢) دانكوس، المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٣) فريدمان، المصدر السابق، ص ٨٧.

(٤) محمد احمد مدحوب، الديمقراطية في الميزان، ط٢، دار النهار للنشر، (بيروت، ١٩٨٢)، ص ٢٤٤.

(٥) للمزيد من التفاصيل ينظر: ذاكر محي الدين عبد الله، الانقلابات العسكرية في السودان ١٩٥٨-١٩٧١، (داسة تاريخية)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، ل، ٢٠٠٣، ص-ص ٢٤١-٢٦٠.

بالنظام الجديد^(١). كانت الحكومة المصرية لا تشعر بارتياح لتلك التطورات، وتسعى لعودة الأوضاع إلى سابق عهدها في السودان، وظهر ذلك الاتجاه واضحاً، من خلال دعمها للانقلاب المضاد في ٢٢ تموز ١٩٧١، الذي لعبت ج. ع. م وليبيا دوراً كبيراً في نجاحه وإعادة النميري للسلطة. إذ قامت ج. ع. م بدور بارز في إحباط محاولة انقلاب ١٩ تموز ١٩٧١ من خلال استخدامها السلاح الجوي وإرسال وحدات المظليين إلى السودان على عجل لإنجاز تلك المهمة، وقد تمكن النميري بفضل تلك المساعدة العسكرية المصرية من استعادة سيطرته على الوضع الداخلي في السودان، ليبدأ بعدها سلسلة من الإجراءات القمعية العنيفة ضد الحزب الشيوعي السوداني^(٢).

وقد فوجئ الاتحاد السوفيتي بموقف الحكومة المصرية، التي لم تكتف بالتدخل سراً لضرب الانقلاب الشيوعي في السودان، بل أعلنت عن ذلك في خطاب رسمي للرئيس المصري في ٢٣ تموز ١٩٧١، أعلن فيه ان اتحاد الجمهوريات العربية ولد قوياً وان أثار تلك القوة ظهرت في السودان، وان على أي دولة تحاول الاعتداء على دول الاتحاد ان تفكر كثيراً قبل ذلك^(٣).

وأثبتت أحداث السودان للقيادة السوفيتية بأنها تتعامل مع نظام ذي توجهات قومية في ج. ع. م^(٤). وبعد استعادة النميري لسلطته في السودان، طالبت الحكومة السوفيتية من الرئيس المصري ان يستخدم صداقته مع القيادة السودانية لإنقاذ حياة الشفيق احمد الشيخ (زعيم نقابات العمال السودانية)، الذي حكم عليه بالإعدام، وعندما اخبر النميري، القيادة المصرية، بان ذلك الحكم قد نفذ فيه، امتدحه السادات، وطلب منه ان ينفذ حكم الإعدام كذلك في عبد الخالق محجوب، (زعيم الحزب الشيوعي السوداني) الذي نفذ حكم الإعدام به بالفعل. ويقال ان السوفيت كانوا على اطلاع بتلك التفاصيل^(٥) مما أدى إلى توتر العلاقات بين الجانبين المصري والسوفيتي وانعدام

(١) مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، ص ٩٤.

(2) Glassman, Op. Cit., p.90.

(٣) حمروش، غروب يوليو، ص ١٣٦.

(4) Hannes Adomeit "Soviet policy in the Middle East – problems of Analysis", Soviet studies Vol, 27, No. 2. Apr – 1975, p.298.

(٥) جمعة، المصدر السابق، ص ٩٠؛ فرسكو باليدي، المصدر السابق، ص ٥٦.

الثقة بينهما، ورداً على ذلك أجلت الحكومة السوفيتية الوفاء بالوعد الذي قدمتها لـ ج.ع.م حول التسليح^(١).

وبدا في تلك الفترة واضحاً أن المعاهدة المصرية – السوفيتية وكأنها أهملت تماماً، وبالنسبة للحكومة المصرية فإن الوقت لم يكن مناسباً لقطع العلاقات مع الاتحاد السوفيتي، إذ إن إعلان السادات في ٢٣ تموز ١٩٧١ بأن العام ١٩٧١ سيكون عام الحسم^(٢). جعله أمام التزام يحتم عليه استمرار وإدامة العلاقة مع السوفيت لتأمين حاجة الجيش المصري من الأسلحة التي تؤهله لخوض حرب جديدة مع (إسرائيل)، وقد حدث مراراً في السابق أن تدهورت العلاقات المصرية – السوفيتية، لكن حاجة القاهرة إلى الأسلحة كانت تفرض تقارباً مع الاتحاد السوفيتي^(٣).

وعلى أية حال فإن ما حدث في السودان لم يؤدي إلى قطيعة تامة في العلاقات المصرية السوفيتية، ولم يمنع ذلك من صدور بيان مشترك في ٣٠ تموز ١٩٧١، بين القيادة المصرية وشخصية سوفيتية مهمة، تمثلت بـ (بوريس بوناموريف)، (سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي)، الذي جاء إلى القاهرة في ٢٠ تموز ١٩٧١، لحضور الاحتفال بذكرى ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢، وتبادل الآراء مع قادة الاتحاد الاشتراكي، في مجال تطوير الاتصالات الحزبية للفترة المقبلة وبصورة خاصة تبادل الوفود للتعرف على التجارب المختلفة للبلدين، والتعاون في مسألة إعداد الكوادر الحزبية^(٤).

وقد تضمن البيان المصري – السوفيتي المشترك إدانة لموجة العداء للشيوعية وجاء فيه ((... أن العداء للشيوعية لا يخدم سوى الأوساط الاستعمارية والرجعية العالمية، ويهدف إلى إثارة الوقيعة في صفوف المناضلين الثوريين العرب الذين يخوضون نضالاً ضد الامبريالية))^(٥).

(١) إسماعيل، المصدر السابق، ص ١٨٢.

(2) David Hirst and Iran Beeson, Sadat, by faber and faber LTD, (London, 1981), p.123.

(٣) دانكوس، المصدر السابق، ص-ص ١٤٦-١٤٧.

(٤) صحيفة النداء (صنعاء)، العدد ٣٨٢٠، ١٩٧١/٨/١.

(٥) "بيان مصري – سوفيتي مشترك بمناسبة زيارة وفد يمثل الحزب الشيوعي السوفيتي للجمهورية العربية المتحدة"، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧١، المصدر السابق، ص ٦٥٨.

إن ذلك يدل على ان الاتحاد السوفيتي، كان يحرص على بناء علاقات قوية مع الحكومات الرسمية بغض النظر عن مواقفها الداخلية تجاه الأحزاب الشيوعية. مع ذلك شهدت تلك الفترة استياءً سوفيتياً من بعض الاجراءات التي قامت بها الحكومة المصرية في الداخل آنذاك، ومن بينها وضع عدد من المواطنين المصريين المتعاطفين مع الشيوعية في السجن، وتأكيد السادات في الخطاب الذي ألقاه يوم ٨ آب ١٩٧١، أمام مندوبي النقابات العمالية المصرية، على الوحدة الوطنية في مواجهة الصراع الطبقي^(١).

ومما زاد من حدة استياء الحكومة السوفيتية، هو إعطاء الحكومة المصرية قدراً كبيراً من الحرية للقطاع الخاص، وتصالحها مع عدد من كبار ملاك الأرض والرأسماليين المصريين، الذين كانت ممتلكاتهم قد صودرت في عهد عبد الناصر، وتشجيع المصريين على العودة إلى استثمار الأراضي وإقامة المنشآت، وللاجتذاب رأس المال الأجنبي، أنشأت الحكومة المصرية مصرفاً بالعملات الأجنبية لأغراض التنمية والتجارة الدولية^(٢).

وخلال الأسبوع الأول من شهر أيلول ١٩٧١، تمكنت المخابرات المصرية من القبض على شبكة تجسس أمريكية، وقد تبين من خلال اعتراف افردها بأن المعلومات التي حصلوا عليها، كانت من أفراد سوفيت، إذ تمكن مسؤول تلك الشبكة، وهو مصري الجنسية من أصول يونانية، من إقامة علاقة صداقة مع ثلاث من الضباط السوفيت، في قاعة عسكرية سوفيتية مجاورة لمنزله. وفي تلك الأثناء أصدرت الحكومة المصرية تعليمات إلى سعد الدين الشاذلي، (رئيس الأركان العامة المصرية)، بأن يطلب من نظيره السوفيتي (شوارتزكوف)^(٣)، ان يقوم بسحب

(١) نقلاً عن: فريدمان، المصدر السابق، ص ٩٠.

(2) Malak Zaalouk , Power Class and Foreign Capital in Egypt , The rise of New Bourgeoisie (London, 1989), p.58;

اوليا نوفسكي، الاشتراكية والبلدان المتحررة، دار التقدم، (موسكو، ١٩٧٥)، ص ٣٥٠.

(٣) هيكمل، الطريق إلى رمضان، ص ١٣٧.

الضباط السوفيت الثلاثة، ويصدر أمراً يمنع جميع الخبراء السوفيت المتواجدين في ج. ع. م من الكلام مع أي مصري، في أي موضوع خارج نطاق شؤون التدريب^(١). لكن بعد مشورة السفير السوفيتي في القاهرة، قررت الحكومة المصرية عدم تضخيم الموضوع، وإيقاف أمر إبعاد الضباط السوفيت، والاكتفاء بإبلاغ الحكومة السوفيتية بذلك، تاركة لها حرية التصرف في اتخاذ الإجراءات المناسبة تجاه الضباط الذين تسببوا في تسرب تلك المعلومات، وقد قامت الحكومة السوفيتية بترحيل أولئك الضباط واتخاذ إجراءات أمن مشددة تمنع تكرار مثل ذلك الحادث مستقبلاً^(٢). وخلال تلك المرحلة لم تثمر جهود الوساطة الدولية في الوصول إلى حل للصراع العربي- (الإسرائيلي)، وإزاء التعت (الإسرائيلي) واللامبالاة الأمريكية، بدأت الحكومة المصرية تعيد حساباتها مرة أخرى، واتضح لها عدم إمكانية إحراز أي تقدم ملموس على طريق التسوية السلمية، وإن الأمر يقتضي القيام بتحريك عسكري لتحريك القضية سياسياً. غير أن مثل ذلك التحرك في ظل تدهور العلاقات المصرية – السوفيتية، كان أشبه ما يكون بمغامرة غير محسوبة، في الوقت الذي بدأ فيه السوفيت يتكئون في إمداد ج. ع. م بالسلاح، لذا قرر السادات القيام بزيارة للاتحاد السوفيتي خلال شهر تشرين الأول ١٩٧١، لتخفيف حدة التوتر في العلاقات بين البلدين، ولحث الحكومة السوفيتية على الإسراع بتسليم مصر ما تحتاجه من السلاح الهجومي المتطور قبل نهاية عام ١٩٧١^(٣).

- زيارة الرئيس المصري أنور السادات للاتحاد السوفيتي :

بناءً على دعوة رسمية من الحكومة السوفيتية، قام الرئيس المصري أنور السادات بزيارة رسمية إلى الاتحاد السوفيتي خلال الفترة ١١-١٢ تشرين الأول ١٩٧١، وبعد استقباله من قبل القيادة السوفيتية، بحث الجانبان أوجه التعاون بين

(١) سعد الدين الشاذلي، حرب أكتوبر، منشورات مؤسسة الوطن العربي للطباعة والنشر (باريس، ١٩٨٠)، ص-ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) فينوغرادوف، المصدر السابق، ص ٥٨؛ الشاذلي، المصدر السابق، ص ١٥٣.

(٣) ممدوح منصور، الصراع الأمريكي – السوفيتي في الشرق الأوسط، ص ٤٠٣.

البلدين في المجالات السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والفنية كما تم تبادل الآراء حول (قضية الشرق الأوسط) والقضايا الدولية التي تهم الجانبين^(١).

ومنذ البداية أراد السادات ان يزيل أية شكوك سوفيتية تخص الوضع الداخلي في مصر، مؤكداً على ان ما حدث في أيار ١٩٧١، لا يعني تغييراً في علاقة مصر مع الاتحاد السوفيتي، أو تعديلاً في مسارها الاشتراكي، وانه على الرغم من وجود قوى يمينية في الجبهة الداخلية، إلا انه لا يقيم لها وزناً، طالما كان تأييد السوفيت لمصر كاملاً في المعركة^(٢). وبالمقابل أعلنت القيادة السوفيتية للسادات نفيها أي علاقة لها بالشخصيات المصرية، التي تم إقصاؤها من مناصبها في أيار ١٩٧١، وأكدت انها استقبلتهم كممثلين للقيادة المصرية. كما نبّه الجانب السوفيتي القيادة المصرية من مخاطر التحرك الأمريكي ضد الجبهة الداخلية المصرية^(٣).

وأثناء المباحثات أشار السادات إلى ان القيادة المصرية تولي أهمية كبيرة لتطوير الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي في جميع المجالات وهي ترى في ذلك عاملاً مهماً لتعزيز دور مصر في النضال ضد (الامبريالية) و (الصهيونية) ومن اجل تطور البلاد في طريق التقدم الاجتماعي^(٤). وقد أدرجت تلك الإشارة ضمن النتائج المهمة للزيارة حسب وصف الصحافة السوفيتية^(٥).

أثناء تلك الزيارة أبلغ السادات، القيادة السوفيتية، انه بات من الضروري امام تعنت (إسرائيل) وعدم استطاعة الولايات المتحدة الضغط عليها للاستجابة إلى سعي مصر نحو الحل السلمي، تحريك القضية سياسياً عن طريق عمل عسكري محدود،

(١) "بيان مصري - سوفيتي مشترك بمناسبة زيارة الرئيس أنور السادات، رئيس جمهورية مصر العربية للاتحاد السوفيتي، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧١، المصدر السابق، ص ٨٠٢.

(2) The Policy of the Soviet Union in the Arab world: A short collection of foreign policy , Document progress publisher, (Moscow, 1975), p.177.

(٣) إسماعيل، المصدر السابق، ص ١٨٨.

(٤) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧١، المصدر السابق، ص ٢٠٨.

(٥) صحيفة ازفستيا، العدد ٢٤٥، ١٦/١٠/١٩٧١؛ نشرة وكالة (نوفوستي) الصحافية، العدد، ١٦٣٩، ١٩/١٠/١٩٧١، ص ١.

وانه لذلك يطلب من الاتحاد السوفيتي ضرورة تسليح مصر بما يجعلها متساوية مع (إسرائيل) عسكرياً^(١).

تم خلال تلك الزيارة تجاوز الخلافات بين الجانبين، وساهمت المباحثات المشتركة في تنقية أجواء العلاقات المصرية - السوفيتية من التوتر الذي كان يشوبها، وتمكن الجانبان من تحقيق اتفاق جديد حول صادرات الأسلحة السوفيتية إلى مصر، وتعهدت الحكومة السوفيتية بوضعه في حيز التنفيذ قبل نهاية عام ١٩٧١^(٢).

وأقرت الحكومة السوفيتية صفقة سلاح مصرية - سوفيتية بقيمة ٢٨٨ مليون دولار، تشمل طائرات تي - ٢٢، وما يقارب المئة طائرة من طراز ميج ٢١ وسيخوي ٧، فضلاً عن سرب طائرات نوع ميج ٢٣ تقرر ان تصل مصر خلال النصف الثاني من عام ١٩٧٢^(٣). وكتيبة مدفعية عيار ١٨٠ ملم، يصل مداها إلى ٤٢ كيلومتر، فضلاً عن مدافع هاون عيار ٢٤٠ ملم^(٤). وكان المفروض ان تشمل تلك الإمدادات العسكرية السوفيتية عدداً من طائرات الميج ٢٥، والمقاتلات الاعتراضية، فضلاً عن مجموعات إضافية من صواريخ أرض-أرض^(٥).

إلا ان الجانب السوفيتي ما طل في إمداد مصر بتلك الصفقة، لأسباب، منها قيام الحرب الهندية - الباكستانية في كانون الأول ١٩٧١، التي أدت إلى وقوف الاتحاد السوفيتي في ذلك الصراع إلى جانب الهند، بينما كانت الولايات المتحدة تساند باكستان^(٦).

(١) شفيق مقار، قتل مصر من عبد الناصر إلى السادات، دار رياض الريس للنشر، (بيروت، ١٩٨٩)، ص ٢٠٥.

(2) Glassman, Op. Cit, p.91.

(3) Foreign Relations of the United State 1969-1976, volume XIV, Soviet Union, October 1971- May 1972, Document, (5).

(٤) قتيبة عبد الله عباس البدرى، مصر وإسرائيل بين المواجهة والسلام ١٩٦٧-١٩٧٨، رسالة ماجستير، المعهد العالي لدراسات السياسية والدولية، جامعة المستنصرية، بغداد ٢٠٠٦، ص ١٧٤.

(5) Glassman, Op. Cit, p. 91.

(٦) محمد نعمان جلال، العلاقات المصرية الباكستانية في نصف قرن، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

(القاهرة، ١٩٩٨)، ص ٥٣. من الأمور التي كانت تثير ضغينة الجانب المصري، ان السوفيت استخدموا مصر محطة في عملية نقل المعدات العسكرية السوفيتية إلى الهند، فضلاً عن

وهكذا لم يرغب السوفيت في تصعيد حدة التوتر في منطقة الشرق الأوسط في ظل توتر العلاقات بينهم وبين الولايات المتحدة في منطقة المحيط الهندي^(١).

ويظهر ان هناك أولويات في سياسة تصدير الأسلحة السوفيتية تقضي تقديم احتياجات الدول التي تخوض حرب بالفعل على الدول التي تنوي أو تستعد للقيام بحرب، كما ان السوفيت لم يكونوا راغبين في تصعيد حدة سباق التسلح في منطقة الشرق الأوسط، ولا سيما في ظل التأكيدات القوية التي حصلت عليها (إسرائيل)، والتي تعهدت الولايات المتحدة بمقتضاها بمضاعفة الدعم العسكري الذي تحصل عليه (إسرائيل) في حال تعرضها لهجوم عسكري من جانب مصر^(٢).

وإزاء ذلك التباطؤ السوفيتي، واقترب نهاية عام ١٩٧١ دون حسم بدأ الرئيس المصري يشعر بالقلق على مكانته زعيماً لمصر، فأخطر الحكومة الاسوفيتية بأنه ينوي القيام بزيارة للاتحاد السوفيتي، خلال شهر كانون الأول ١٩٧١، إلا ان الحكومة السوفيتية ردت بعدم إمكانية إتمام تلك الزيارة قبل حلول شهر شباط ١٩٧٢، وقد أثار ذلك الرد استياء السادات، نظرا للموقف المحرج، الذي وضعه فيه السوفيت، الذي يؤدي إلى زعزعة الثقة في قراراته^(٣).

استخدام السوفيت للأراضي والمطارات المصرية في عملية النقل تلك، فان الشعب المصري لم يكن راضٍ على المساعدات السوفيتية الموجهة ضد دولة إسلامية مثل باكستان. فريدمان، المصدر السابق، ص ١٠٤، وكانت للقيادة المصرية اعتراضات على تلك السياسة السوفيتية كان من ضمنها ان هدف الهند كان أساساً التوسع الاقليمي، في حين كان هدف مصر اكثر مشروعية وهو استعادة ارضها المحتلة، ينظر: عبد المنعم سعيد "التغير في السياسة الخارجية بعد الهزيمة"، في كتاب: حرب يونيو ١٩٦٧ بعد ٣٠ سنة، (تحرير) لطفي الخولي، ط ١، مركز الاهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٧)، ص ١٦٧.

(1) Glassman, Op. Cit, p.92.

(٢) مقلد، المصدر السابق، ص ٣٤٠.

(٣) كان الرئيس المصري يعتقد آنذاك، انه من المفروض بعد الزيارة التي قام بها للاتحاد السوفيتي في تشرين الأول ١٩٧١ ان يأتي احد القادة السوفيت إلى مصر، لا ان يذهب هو إليهم، أمينة سعيد "أسرار جديدة يذيعها الرئيس لأول مرة" مجلة الهلال (القاهرة) العدد (٣) المجلد (٣)، تشرين الأول ١٩٧٦، ص ٢٣.

وفي تلك الظروف الحرجة أجرى الرئيس المصري تعديلات وزارية واسعة النطاق فقام بتعيين محمود فوزي نائباً له، وكلف عزيز صدقي^(*) بتشكيل الوزارة في ١٧ كانون الثاني ١٩٧٢^(١). وجاء اختيار صدقي بوصفه الأقر على إعداد الدولة للحرب إذا توجب ذلك، كما انه كان وزيراً للصناعة وكانت لديه علاقات ودية مع الاتحاد السوفيتي، وفي ذلك شيء من حسن النوايا تجاه السوفيت في مرحلة تتطلب تعاوناً وثيقاً بين الجانبين^(٢). كما تم تعيين سيد مرعي^(*) أميناً عاماً للاتحاد الاشتراكي العربي، ومراد غالب وزيراً للخارجية خلفاً لمحمود رياض، وقد جاء تولي مراد غالب لوزارة الخارجية في مرحلة تقتضي تعاوناً مع السوفيت ودعمًا للثقة المتبادلة بين مصر والاتحاد السوفيتي وكان غالب الذي قضى أكثر من عشر سنوات سفيراً لمصر في الاتحاد السوفيتي خير من يعهد به لتلك المهمة^(٣).

وأضطر السادات إلى ان يذهب إلى موسكو في ظروف نفسية سيئة، ففضلاً عن تزايد الدعم الأمريكي لـ (إسرائيل)، وعدم وصول الأسلحة السوفيتية لمصر كان

(*) سياسي مصري، حاصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد، يعد من أوائل خبراء التخطيط في الوطن العربي، عين وزيراً للصناعة ١٩٥٦-١٩٦٣، ونائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للصناعة والثروة المعدنية ١٩٦٤-١٩٦٥، ثم أعيد تعيينه وزيراً للصناعة والثروة المعدنية ١٩٦٨-١٩٧١، ونائباً لرئيس الوزراء (١٩٧١-١٩٧٢)، ورئيساً للوزراء (١٩٧٢-١٩٧٣) توفي في ٢٥ كانون الثاني ٢٠٠٨، عبد الوهاب الكيالي (وآخرون)، موسوعة السياسة، ج ٤، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، د.ت)، ص ١٠٦.

(١) للتفاصيل ينظر: محمد الجوادي، التشكيلات الوزارية في عهد الثورة، الهيئة العامة للاستعلامات، (القاهرة، ١٩٨٦)، ص ص ٨١-٨٢.

(2) Water bury, Op. Cit., p.21;

محمد الطويل، وزارة أكتوبر، دار ثابت للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٠)، ص ٩٢.

(*) سياسي مصري ولد في ٢٦ آب ١٩١٣، تخرج مهندساً من كلية الزراعة في جامعة القاهرة عام ١٩٣٧، برز أسمه على أثر صدور قوانين الإصلاح الزراعي في خمسينيات القرن العشرين، وأصبح وزيراً للإصلاح الزراعي ١٩٥٧-١٩٥٨، وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي ١٩٥٨-١٩٦١، فنادباً لرئيس مجلس الأمة ١٩٦٤، أصبح عام ١٩٧٢ الأمين العام للاتحاد الاشتراكي العربي، فمساعداً للرئيس السادات (١٩٧٣-١٩٧٥)، ف رئيساً لمجلس الشعب (١٩٧٥-١٩٧٨) كان يعتبر من أهم رجال النظام القائم في مصر حتى عام ١٩٨١. ينظر: محمد الجوادي، سيد مرعي شريك وشاهد على عصر اللبرالية والثورة والانفتاح في مصر المعاصرة (١٩٤٤-١٩٨١)، ط ١، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩٩)، ص ١٩ وما بعدها.

(٣) صحيفة المصري اليوم (القاهرة) العدد ١٢٨٤، ١٩/١٢/٢٠٠٧.

الوضع الداخلي في مصر لا يسمح بالتأجيل^(١). وفي ١٣ كانون الثاني ١٩٧٢ ألقى الرئيس المصري خطاباً حاول فيه ان يرد على التساؤلات التي شاعت حين انتهى عام ١٩٧١ دون ابتداء الحرب^(٢). وقد أثار الخطاب استياء طلبة الجامعات المصرية، الذين عقدوا اجتماعاً في كلية الهندسة، هاجموا فيه خطاب السادات وتظاهروا معبرين عن رفضهم لكل الإجراءات التي وصفوها بـ (الاستسلامية)، كفتح قناة السويس للملاحة، والمفاوضات مع الولايات المتحدة، وقد ساد ذلك الجو في أغلب الجامعات المصرية^(٣).

- زيارة السادات للاتحاد السوفيتي شباط ١٩٧٢ :

خلال الفترة ٢-٤ شباط ١٩٧٢، قام الرئيس المصري أنور السادات بزيارة للاتحاد السوفيتي، وأجرى مباحثات مع القادة السوفيت، كان لأزمة الشرق الأوسط النصيب الأكبر فيها، وأكد الجانبان على ضرورة التركيز على العمل السياسي المشترك للوصول إلى حل لتلك الأزمة، إلا ان القيادة المصرية رجحت فكرة القيام بعمل عسكري محدود، يمكن من خلاله تحقيق نجاحات على المستوى السياسي، ثم طرحت القيادة المصرية احتياجات العمل العسكري المحدود، متمثلة بطائرات مقاتلة للردع يمكنها الوصول إلى العمق (الإسرائيلي)، ودبابات حديثة من طراز (ت ٦٢)، وإعادة تقييم جهاز الحرب الالكترونية من جديد، ثم أكدت القيادة المصرية انها لا تريد مواجهة سوفيتية - أمريكية، كما انها لا تريد إشراك الجنود السوفيت في الحرب^(٤).

وفي تلك الزيارة تحدث الرئيس المصري مع القيادة السوفيتية بصراحة، ونقل لها عدم رضا الطيارين المصريين عن الطائرة السوفيتية تي يو ١٦، وصرح

(١) موسى صبري، السادات الحقيقة والأسطورة، المكتب المصري الحديث، (القاهرة، ١٩٨٥)، ص ٣٣٥.

(٢) ينظر: (حديث السادات في ١٣/١/١٩٧٢) الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٢ المجلد ٨، (بيروت، ١٩٧٥)، ص-ص ١٩-٢٥.

(٣) للمزيد من التفاصيل ينظر: الانتفاضة الطلابية في مصر، (كانون الثاني ١٩٧٢) سلسلة وثائق، ط ١، دار ابن خلدون للطباعة، (بيروت، ١٩٧٢)، ص ١٥ وما بعدها.

(٤) للمزيد من التفاصيل حول طبيعة المباحثات المصرية - السوفيتية خلال تلك الزيارة، ينظر: مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، ص-ص ١٠٣-١١١.

باستعداد المملكة العربية السعودية، والكويت لتزويد مصر بالطائرات المقاتلة البريطانية، والدبابات الفرنسية المزودة بأشعة الليزر، كما صرح القيادة السوفيتية بأن علاقات الضباط المصريين بالمستشارين السوفيت، ليست جيدة نتيجة لطول فترة الاستعداد، وطالب باحتياجات مصرية لبعض الذخائر^(١).

إلا ان القيادة السوفيتية طلبت من الرئيس المصري عدم التسرع في تنفيذ أية خطط أو تدابير عسكرية ضد (إسرائيل)، قبل حلول شهر أيار ١٩٧٢ على أساس ان الحل العسكري يتطلب اعداداً وتجهيزاً جيداً لضمان فاعليته في تحقيق أهدافه. ويبدو ان في ذلك إشارة إلى ان السوفيت لم يوافقوا على القيام بأي عمل عسكري قبل انعقاد قمة موسكو في أيار ١٩٧٢، المقرر ان تلتقي فيها القيادتان السوفيتية والأمريكية. وان أي تحرك عسكري مصري خلال تلك الفترة قد يؤدي إلى تعثر الجهود المبذولة نحو الوفاق الدولي المرتقب^(٢). وبذلك لم تستجب القيادة السوفيتية لمطالب السادات، وكان رأيهم ان يستمر النضال السياسي من أجل تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢)، وان تستأنف الأمم المتحدة اتصالاتها مع الأطراف المعنية، كان ذلك أبرز ما تضمنه البياني الختامي المصري - السوفيتي الذي صدر في أعقاب تلك الزيارة^(٣).

وخلال الفترة (١٨-٢١ شباط ١٩٧٢)، قام اندريه غريشكو (وزير الدفاع السوفيتي) بزيارة رسمية لمصر، بناءً على دعوة رسمية وجهت له من الحكومة المصرية، وقام غريشكو خلال تواجده في مصر، بزيارة بعض الوحدات العسكرية المصرية للوقوف على مستوى التدريب والمهارة القتالية للقوات المسلحة المصرية^(٤).

وخلال شهري آذار ونيسان ١٩٧٢، اشتدت حملة المعاداة للسوفيت في مصر، بسبب تباطؤ وصول الأسلحة السوفيتية، وشملت الأوساط العسكرية والمدنية. ففي

(١) إسماعيل، المصدر السابق، ص ٢٠٣.

(2) Glassman, Op. Cit, p.93.

(٣) "بيان مصري - سوفيتي مشترك بمناسبة زيارة الرئيس أنو السادات للاتحاد السوفيتي" الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٢، المصدر السابق، ص ٤٨.

(٤) "بيان مصري - سوفيتي مشترك بمناسبة زيارة المارشال اندريه غريشكو، (وزير الدفاع السوفيتي)، لجمهورية مصر العربية"، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٢، المصدر السابق، ص ٧٢.

أواسط آذار ١٩٧٢، وبعد ان اشترط الجانب السوفيتي ان يتم تسديد ثمن الصفقات العسكرية بالعملة الصعبة، طالب الفريق أول محمد أحمد صادق^(*) (وزير الحربية المصري) بطرد الخبراء السوفيت المتواجدين في مصر واستغلال نفقاتهم في تسديد ثمن المعدات العسكرية التي تم التعاقد عليها^(١).

ومع مطلع نيسان ١٩٧٢ ظهرت في مصر حملة موجهة ضد الاتحاد السوفيتي، تقودها مجموعة من الشخصيات المصرية، التي لم تكتف بالتذمر من طبيعة العلاقات المصرية - السوفيتية، وانما ذهبت إلى حد توجيه مذكرة إلى السادات في ٤ نيسان ١٩٧٢، جاء فيها ((... أن الألوان من ثم لمراجعة سياسة الإسراف في الاعتماد على الاتحاد السوفيتي، ان تلك السياسة لم تحقق بعد (٥) سنين من الهزيمة، تحرير الأرض، وردع العدوان، واسترداد الحق))^(٢).

ومع اقتراب حلول موعد انعقاد قمة موسكو، بدأ السوفيت في التمهيد لدعم موقفهم التفاوضي خلال تلك القمة حيث وجهوا دعوة للرئيس المصري لزيارة موسكو خلال شهر نيسان ١٩٧٢، بهدف اثبات الولاء المصري للاتحاد السوفيتي، في

(*) عسكري مصري ولد عام ١٩١٦، تخرج من الكلية الحربية المصرية عام ١٩٣٩، تم تعيينه رئيساً لمكتب المخابرات المصرية في ألمانيا الغربية (١٩٦٢-١٩٦٤)، بعد عودته من ألمانيا ثم تعيينه كبيراً للمعلمين في الكلية الحربية المصرية، ثم مديراً للمخابرات الحربية، في ١١ حزيران ١٩٦٦. في أيلول ١٩٦٩ أصبح رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة المصرية، وتمت ترفيقه من رتبة لواء إلى فريق، في ١٥ مايو ١٩٧١، أصبح وزيراً للحربية ونائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للإنتاج الحربي، تمت إقالته في ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٢. ينظر: "مذكرات الفريق أول محمد صادق" متاحة على الموقع الإلكتروني لساحات الطيران العربية على الرابط:

<http://www.4flying.com.showthread.php?p=714209>

(١) هناك من يقرن تشدد الفريق محمد صادق، تجاه السوفيت بعامل نفسي يرتبط بالعام الذي أمضاه صادق في موسكو لغرض الدراسة وهو عام ١٩٥٨، الذي شهدت فيه العلاقات المصرية - السوفيتية مرحلة من البرود. إسماعيل، المصدر السابق، ص-ص ٢٠٦-٢١٢.

(٢) ينظر: "مذكرة إلى السادات تحذر من روسيا وتطالب بجهة وطنية" ملحق رقم (٤)، وقد ندد السادات في خطاب له في ١٤ أيار ١٩٧٢ بالمذكرة وعلق على ما جاء فيها قائلاً ((ان علاقتنا مع الاتحاد السوفيتي ليست مجال للصيد في الماء العكر))، ووصف موقعها بأنهم يبدئون عن دور سياسي جديد من خلال المزايدة على مواقف الحكومة المصرية. ينظر: "خطاب الرئيس أنور السادات، رئيس جمهورية مصر العربية، أمام مجلس الشعب حول أزمة الشرق الأوسط والعلاقات بالاتحاد السوفيتي". الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٢، المصدر السابق، ص ٢٧٠.

فترة كان السوفيت فيها بحاجة إلى ان يظهروا للولايات المتحدة دلائل قوة موقفهم في الشرق الأوسط^(١).

- زيارة السادات للاتحاد السوفيتي نيسان ١٩٧٢ :

بناءً على دعوة القيادة السياسية في الاتحاد السوفيتي قام الرئيس المصري خلال الفترة ٢٧-٢٩ نيسان ١٩٧٢، بزيارة للاتحاد السوفيتي، إلا انه لم يستقبل بالمستوى المطلوب خلافاً لما سبق من زيارات قام بها إلى موسكو، فلم يحضر لاستقباله لا برجذيف ولا بود غورني، وناب عنهما كوسيجين، وقد تضايق السادات من ذلك ولا سيما ان غياب برجذيف، سيفسح المجال للتفسيرات والاجتهادات التي لا تخدم نتائج تلك الزيارة^(٢).

خلال تلك الزيارة اقترح السادات على الحكومة الاسوفيتية ان لا تعقد اتفاقاً مع الرئيس الأمريكي يكون من شأنه تقييد عملية شحن الأسلحة السوفيتية لمصر - والتي تم التعاقد عليها- قبل ان تتم إزالة آثار حرب عام ١٩٦٧، وكذلك ان لا توافق على السماح باستمرار ما عرف في حينه بـ (حالة اللاسلم واللاحرب)، وان لا تقبل الدخول طرفاً في مفاوضات مع الولايات المتحدة حول الحدود العربية - (الإسرائيلية)، ما دامت (إسرائيل) مستمرة في احتلالها للأراضي العربية، وترفض الرجوع إلى حدود ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧^(٣).

ويتضح من خلال الاطلاع على البيان الختامي المشترك، ان الرئيس المصري، نجح في تلك الزيارة في الحصول على موقف سوفيتي جديد، يتمثل في العبارة التي احتواها ذلك البيان والتي نصت على: ((... في ظل هذه الظروف فان الدول العربية التي تعرضت للعدوان لها كل الحق في استخدام مختلف الوسائل لاسترداد الأراضي العربية التي اغتصبتها إسرائيل))^(٤).

(١) ممدوح منصور، التنافس الأمريكي - السوفيتي في الشرق الأوسط، ص ٤٠٦.

(٢) مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، ص ١١٤.

(٣) مقلد، المصدر السابق، ص ٣٤١؛ صحيفة النهار (بيروت)، العدد ١١٤٧١، ١٩/٧/١٩٧٢.

(٤) "بيان مصري سوفيتي مشترك بمناسبة زيارة الرئيس أنور السادات، رئيس جمهورية مصر العربية، للاتحاد السوفيتي"، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٢، المصدر السابق، ص ٢٥٠.

وحتى تلك الزيارة لم تكن البيانات المصرية – السوفيتية المشتركة، تتضمن مثل تلك الفقرة التي وردت في البيان الختامي لهذه الزيارة، وهناك من يرى في تلك العبارة مكسباً جديداً للحكومة المصرية، وتغييراً ايجابياً في الموقف السوفيتي تجاه القضية العربية^(١).

وتجدر الإشارة هنا إلى ان الصيغة السوفيتية لتلك الفقرة كانت مختلفة عن الصيغة المصرية، فبدلاً من عبارة (مختلف الوسائل) التي وردت في الصيغة المصرية اعتمدت الصيغة السوفيتية عبارة (وسائل أخرى)^(٢). ومن وجهة نظر مصرية فان الصيغة المصرية كانت اكثر وضوحاً وتحديداً من الصيغة السوفيتية إلا ان الدبلوماسية السوفيتية في صياغة تلك الفقرة لا تقلل من أهميتها^(٣).

وعلى الرغم من محاولة الصحافة السوفيتية إحاطة تلك الزيارة بطابع الود والثقة المتبادلة، واعتبارها خطوة لترسيخ الأواصر المتينة للصدقة^(٤). فإن هناك من يشير إلى ان الحكومة السوفيتية امتنعت عن إعطاء مصر أسلحة هجومية متمثلة بـ (طائرات ميج ٢٣) وصواريخ أرض – أرض ذات المدى المتوسط، الأمر الذي دفع بالسادات إلى قطع زيارته للاتحاد السوفيتي والعودة إلى مصر^(٥).

وفي ١ أيار ١٩٧٢ ألقى السادات خطاباً أكد فيه على ان الاهتمام المصري بالدعم السوفيتي لا يعني التقليل من قيمة الاعتماد على النفس، وان مصر هي التي ستقاتل وليس الاتحاد السوفيتي^(٦).

ولم تخلُ تلك الفترة من احتكاك يلفت النظر بين الخبراء السوفيت والقيادة العسكرية المصرية. ففي ٨ أيار ١٩٧٢ أجرى رجال (الكمارك) المصرية تفتيش

(١) صحيفة النهار (بيروت)، العدد ١١٣٩٣، ١٩٧٢/٥/١.

(٢) ينظر: الصيغة السوفيتية في ترجمة: البيان السوفيتي – المصري، نشرة وكالة (نوفوستي) الصحافية، العدد ١٧٨٥، ١٩٧٢/٥/٣، ص ٢.

(٣) صحيفة الأهرام، العدد ٣١١٨٧، ١٩٧٢/٤/٣٠.

(٤) صحيفة البرافدا، العدد ١٢٢، ١٩٧٢/٥/١.

(٥) علي أكبر ولايتي، إيران وتطورات القضية الفلسطينية، دراسة في وثائق الخارجية الإيرانية (١٨٩٧-١٩٧٩)، ط ١، دار الهادي، (بيروت، ٢٠٠٦)، ص ٣٧٥.

(٦) أنيس منصور، من أوراق السادات، ص ١٩٤؛

Foreign Relations of the United State 1969-1976. Volume XIV, Soviet Union, October 1971 may 1972, Document (231).

لأمتعة عدد من الخبراء السوفيت في مطار القاهرة، وهم في طريق عودتهم إلى بلادهم، وكان الغرض من ذلك الإجراء، هو التأكد من كونهم لا يحملون معهم سلعاً ذهبية، مخالفين بذلك قانون البلاد، وفي أثر ذلك الإجراء تأخر سفرهم إلى ما بعد ظهر يوم ٨ أيار، حتى أمرت الحكومة المصرية بسفرهم^(١). ولم يتبين خلال ذلك الحادث ما يؤكد شائعات (تهريب) الذهب من مصر، ويقال ان الخبراء لم يكونوا يحملون ما يزيد عن الهدايا التي يحملها أي سائح لعائلته، وهناك من يرى ان الفريق محمد صادق (وزير الحربية المصرية) هو من كان وراء ذلك الإجراء الذي أراد من ورائه ان يؤكد - قبيل وصول وزير الدفاع السوفيتي، المقرر وصوله في ١٤ أيار ١٩٧٢، بأن مشكلة الخبراء لا زالت موجودة^(٢).

وقبيل قمة موسكو لمقرر انعقادها في أواخر أيار ١٩٧٢، قام الاتحاد السوفيتي باستعراض جديد لنفوذه في مصر حيث وصل إلى القاهرة في ١٤ أيار ١٩٧٢، المارشال اندريه غريشكو (وزير الدفاع السوفيتي)، الذي كان قد سبقه إليها أربع طائرات سوفيتية من طراز سوخوي ١٧، سبق وان وافق السوفيت على إمداد مصر بها في اتفاق نيسان ١٩٧٢، وقد شاركت تلك الطائرات في عرض جوي، أعقبه إصدار بيان مصري رسمي أشار إلى ((ان مصر قد حصلت على قاذفات سوفيتية بعيدة المدى، وان القوات الجوية المصرية، قد تخطت مرحلة القدرات الدفاعية إلى مرحلة تنمية القدرات الهجومية))^(٣).

كما تباحث وزير الدفاع السوفيتي أثناء تلك الزيارة مع المسؤولين المصريين حول أوضاع التسهيلات البحرية للأسطول السوفيتي في الموانئ المصرية^(٤).

-
- (١) إسماعيل، المصدر السابق، ص ٢١٢؛ الشاذلي، المصدر السابق، صص ١٠٥-١٠٦.
 (٢) إسماعيل، المصدر السابق، ص ٢١٢. بينما هناك من يرى بأن كميات كبيرة من الذهب وجدت لدى الخبراء السوفيت أثناء عملية تفتيشهم، إلا ان ظروف العلاقات في ذلك الوقت كانت تفرض معاملة الخبراء السوفيت بشيء من التساهل. محمد الحيوان، قصة الديون السوفيتية على مصر، مطابع الاوفست بشركة الإعلانات الشرقية، (القاهرة، د. ت)، ص ٨٥.
 (٣) هناك إشارة إلى انه لم يصل إلى مصر أي شيء من تلك الأسلحة، وانما كانت مناورة إعلامية، حاولت القيادة المصرية فيها دعم الموقف السوفيتي قبيل قمة موسكو، ينظر: أنيس منصور، من أوراق السادات، ص ١٩٨.
 (٤) صحيفة الفيغارو (باريس)، ١٩٧٢/٥/١٦، ترجمة: دار البعث، دمشق، رقم الرمز ١/٢/١١/٦/١، في ١٩٧٢/٥/١٦.

ومن الجائز ان السوفيت أرادوا من وراء ذلك إقناع الولايات المتحدة بان العلاقات المصرية - السوفيتية، تسير نحو التحسن، في محاولة لإخفاء الخلافات التي أخذت تتصاعد في تلك المرحلة.

كانت تلك المصالحة الظاهرية بين مصر والاتحاد السوفيتي تخفي وراءها توتراً في العلاقات، ربما يكون سببه خوف السادات من اتجاه الاتحاد السوفيتي إلى تقديم مصالحه في سياق علاقات الوفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية على التزاماته تجاه مصر، ولم تفلح التأكيدات التي قدمها القادة السوفيت للرئيس المصري في تخفيف حدة ذلك التوتر، وعلى الرغم من تأكيد الجانب السوفيتي على وضع القضية العربية في منهاج مفاوضاتهم مع القيادة الأمريكية خلال قمة موسكو إلا ان ذلك لم يفلح في إقناع القيادة المصرية التي ظلت على اعتقاد بان السوفيت كانوا مستعدين لان يذهبوا بعيداً في سبيل الاحتفاظ بذلك الوفاق، وان كان الثمن على حساب علاقاتهم بمصر^(١).

ومع ذلك فقد ذكر السادات في خطاب له في ١٥ أيار ١٩٧٢ لمناسبة مرور عام على ما وصفه بـ (حركة التصحيح) التي قام بها عام ١٩٧١، بان هدف (إسرائيل) هو: ((عزلنا عن الصديق الوحيد وهو الاتحاد السوفيتي الذي يتعامل معنا كصديق شريف))^(٢).

وخلال الفترة من ٢٢-٣٠ أيار ١٩٧٢، عقد لقاء القمة الأمريكي - السوفيتي، الذي كان يمثل إيذاناً ببدء مرحلة جديدة في علاقات البلدين، ولم يتضمن البيان الختامي لتلك القمة أي جديد بالنسبة للصراع العربي (الإسرائيلي)، باستثناء عبارة تشير إلى ضرورة تقليص توريد الأسلحة إلى منطقة الشرق الأوسط^(٣). بينما يشير

(1) Foreign Relations of the United States 1969-1976, volume XIV, Soviet Union, October, 1971 May 1972, Document, (256);

محمد الأطرش، "الاتحاد السوفيتي والصراع العربي الإسرائيلي" مجلة المستقبل العربي (بيروت)، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد (١٢٢)، السنة الحادية عشر، نيسان ١٩٨٩، ص ١٨١.

(٢) خطاب الرئيس أنور السادات، رئيس جمهورية مصر العربية، أمام مجلس الشعب، حول أزمة الشرق الأوسط والعلاقات بالاتحاد السوفيتي"، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٢، ص ٢٦٧.

(٣) فينو غرادوف، المصدر السابق، ص ٦٢.

أحد المصادر إلى أن القيادة السوفيتية عرضت قضية الشرق الأوسط في الاجتماع الأول من المؤتمر، وكان لها موقف مؤيد للجانب العربي، وكرر السوفيت مطالبهم بانسحاب إسرائيل الشامل من كافة المناطق المحتلة، وقد استمرت المحادثات ثلاث ساعات متواصلة من التوتر، إلا أن ذلك الموقف السوفيتي قوبل برفض أمريكي، إذ كان هناك اتفاق بين القيادة الأمريكية والقيادة (الإسرائيلية) على عدم تقديم أي تنازلات فيما يتعلق بالضغط على (إسرائيل) ^(١).

وفي أعقاب انتهاء اجتماعات قمة موسكو ^(٢)، قام الفريق محمد صادق (وزير الحربية المصري)، بزيارة للاتحاد السوفيتي في ٨ حزيران ١٩٧٢، لمناقشة وصول إمدادات السلاح السوفيتي، كما أن القيادة المصرية حملته رسالة موجهة إلى القيادة السوفيتية تضمنت شكراً وتقديراً لموقف السوفيت في الضغط على (إسرائيل)، عبر فيها الرئيس المصري، عن خشيته من أن يترتب على تأخير موعد المعركة المرتقبة مع (إسرائيل)، أن تعزز الأخيرة من مراكزها في الأراضي المحتلة، وفي النهاية طالب بالمسارعة في توريد ما تضمنته اتفاقيات التسليح، التي تم الاتفاق عليها سابقاً، كما طالبهم بأن يبعثوا له توضيحاً لمضمون البيان المشترك لقمة موسكو. وكان الرئيس المصري قد أرسل مع وزير حربيته رسالة إلى برجنيف، تضمنت بعض الأسئلة أوضح له فيها، أن سياسة مصر في المستقبل ستوقف على أجوبته،

(١) اسحق رابين، مذكرات اسحق رابين، القسم الثاني، ط ١، ترجمة: دار الجليل، (عمان، ١٩٩٣)،

صص-٦٦-٦٩.

(٢) في ٢٦ أيار ١٩٧٢، وقع الطرفان الأمريكي والسوفيت معاهدة تحد من تطور ونشر الأنظمة الدفاعية، واتفقا على إبرام اتفاق مؤقت، أصبح معروفاً باسم (سالت ١) للحد من عدد منصات إطلاق الصواريخ النووية الهجومية، كما وقع الجانبان وثيقة عرفت باسم (اتفاقية المبادئ الأساسية) التي نصت على أن البلدين سينطلقان من التصميم المشترك على أنه في (العصر النووي)، ليس هناك بديل لإدارة علاقتهما على أساس التعايش السلمي، وأنهما سيطوران علاقات طبيعية استناداً إلى مبادئ السيادة والمساواة، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، والنفع المتبادل، وتعهدا بتجنب المواجهات التي يمكن أن تؤدي إلى حرب نووية. ينظر: أمين اسبر، السلام والتسلح النووي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (دمشق، ١٩٩٥)، ص ٧٠؛ العسل والخل الحوافز والعقوبات والسياسة الخارجية، (تحرير)، ريتشارد هاس وميجان اوسوليفان، ترجمة: إسماعيل عبد الحكم، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٢)، ص ١٢٤.

أراد السادات من خلالها ان يعرف هل ان السوفيت عازمون على تقديم الأسلحة التي طالبت بها مصر، والتي وعد السوفيت مراراً بأنها في الطريق إلى مصر، ام لا^(١).
غير ان وزير الحربية المصري عاد بعد ستة أيام ليبلغ الحكومة المصرية، بان السوفيت ليس لديهم الاستعداد للانتظام في توريد السلاح لمصر، وفقاً للمواعيد التي سبق الاتفاق عليها^(٢).

لقد شكلت نتائج (قمة موسكو) عوامل ضغط على الرئيس السادات الذي عدّ الاتفاق الأمريكي - السوفيتي حول (استرخاء عسكري) في سياق الحرب الباردة، بمثابة تجميد للوضع القائم، واستمرار (إسرائيل) في احتلال الأراضي العربية، وعدم فرض أي تنازل عليها، يعني تواطؤاً سوفيتياً وتخدياً عن القضية العربية، لصالح علاقته الجديدة مع الولايات المتحدة، وانه من جانب آخر تأكيد على قدرة الولايات المتحدة على تمرير آرائها واستراتيجياتها، واطهار لحدود القدرة السوفيتية في إدارة الأزمات الدولية^(٣). وعندها بدأ السادات مقتنعاً بان لا جدوى من استمرار مصر في الارتباط بالسوفيت، ومن ثم أصبح البديل الوحيد أمام السادات آنذاك هو ان يتحول تجاه الولايات المتحدة، وبالفعل تم الإعلان في ٢ تموز ١٩٧٢ عن استئناف العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة، وقد شكلت تلك الخطوة دليلاً قاطعاً على بداية حدوث تحول جذري في توجهات السياسة الخارجية المصرية^(٤). ولا شك في ان أول خطوة تتخذ في طريق التقارب المصري - الأمريكي، هي التخلص من النفوذ السوفيتي في مصر.

(١) صحيفة الجريدة، (الكويت)، العدد ٦١٢٢، ١٩٧٢/٨/١.

(٢) ممدوح منصور، التنافس الأمريكي - السوفيتي في الشرق الأوسط، ص ٤٠٩.

(٣) حسن ابو طالب، عروبة مصر بين التاريخ والسياسة، مكتبة الأسرة، (القاهرة، ٢٠٠٤)، ص ٨٨.

(٤) فريد مان، المصدر السابق، ص ١١٩. وكان احد الباحثين قد أشار إلى ان السادات كان يعتقد ان الولايات المتحدة هي القوة الأكثر تأثيراً في العالم وان السوفيت يأتون في المرتبة الثانية من حيث الأهمية العالمية، وكان مؤمناً بإمكانية الدور الأمريكي في إيجاد حل لازمة الصراع العربي - (الإسرائيلي)

Kirk j. Beattie, Egypt During The Sadat Years, printed in (U. S. A, 2000). P.147.

المبحث الثالث

قرار الحكومة المصرية إنهاء مهمة الخبراء السوفيت في مصر (٨ تموز ١٩٧٢) وأثره في العلاقات المصرية – السوفيتية

في الثامن من تموز ١٩٧٢، استقبل الرئيس المصري، السفير السوفيتي في القاهرة، الذي نقل إليه رسالة من القيادة السوفيتية، تتضمن تقريراً عن نتائج القمة الأمريكية – السوفيتية (٢٢-٣٠ أيار ١٩٧٢). وقد اتضح للقيادة المصرية، من خلال قراءة ذلك التقرير، عدم حدوث أي تقدم بالنسبة لقضية الشرق الأوسط، ولم يشر التقرير إلى مطالب مصر من السلاح، التي تقدمت بها سابقاً^(١). وعند ذلك أبلغ السادات، السفير السوفيتي بقرار إنهاء مهمة الخبراء السوفيت في مصر^(٢). والذي تمثل بـ:

- ١- توجيه الشكر للاتحاد السوفيتي على المساعدة التي قدمها العسكريون السوفيت، وأنه يريد إنهاء خدماتهم اعتباراً من ١٧ تموز ١٩٧٢.
- ٢- الأسلحة السوفيتية في مصر، إما ان تباع لمصر، ويدرب عليها المصريون، أو يتم سحبها.
- ٣- أي قوات سوفيتية تبقى في مصر يجب ان توضع تحت القيادة المصرية، أو تسحب.

(١) وقد أشار السادات إلى ان التقرير كان باللغة العربية، ويتألف من ثلاث صفحات، تتحدث الصفحة الأولى عن مرحلة الصداقة التي مرت بها العلاقات المصرية – السوفيتية في السابق، أما الصفحة الثانية، فقد تضمنت إلقاء المسؤولية في تدهور العلاقات بين البلدين علي محمد حسنين هيكل (رئيس تحرير صحيفة الأهرام). أما الصفحة الثالثة، فكانت نصف صفحة، وكانت استمراراً في (الهجوم) على هيكل. ينظر: صحيفة الحياة (بيروت)، العدد ٨٢٤٢، ١٩٧٢/٨/٢. وكان هيكل قد نشر خلال شهر أيار ١٩٧٢، مجموعة من المقالات في صحيفة الأهرام، هاجم فيها بصراحة سياسة الاتحاد السوفيتي الداعية إلى تفضيل الحل السلمي، ومنع قيام أي عمليات عسكرية في الشرق الأوسط، وقد توجت تلك المقالات بدعوة عقدتها صحيفة الأهرام في ١٨ أيار ١٩٧٢ بعنوان (لقاء القمة الكبير في موسكو)، تعرضت فيها السياسة السوفيتية لعدة انتقادات صريحة، ووصف الاتحاد السوفيتي فيها بأنه يفضل مصالحه الشخصية على مصالح حلفاءه، ويساهم باستمرار حالة (اللاسلم واللاحرب)، ينظر: PRO. F. C. O. 17/1647-104105, from British Embassy in Cairo to Near East and North African Dept Foreign and Commonwealth, Office in London, 4 July 1972.

(٢) فينو غرادوف، المصدر السابق، ص ٦٤.

٤- إجراء مباحثات على مستوى عالٍ بين البلدين، طبقاً لنصوص، معاهدة الصداقة والتعاون، المصرية - السوفيتية.

٥- ان الفنيين الموجودين في مصر لأغراض التدريب والذين جاءوا قبل وصول المجموعة الرئيسية من الخبراء يمكن إبقاؤهم^(١).

لقد بدا القرار وكأنه مفاجئاً، أو ان المقدمات التي سبقته لم تكن توحى بأن تدهور العلاقات المصرية - السوفيتية، قد بلغ حداً يتطلب الوصول إلى تلك المرحلة، كما ظن البعض ان الحكومة المصرية لا تمتلك الشجاعة الكافية التي يتطلبها، إصدار مثل ذلك القرار، الذي يتحدى إرادة إحدى القوتين العظميين في العالم آنذاك^(٢).

وقد عدّ السادات ذلك القرار أول الخطوات العملية لدخول الحرب، إذ يقول: ((بعد ان أصدرت قرار إنهاء خدمات الخبراء السوفيت، والذي كان فعلاً أول الخطوات العملية لدخول الحرب، لم يفهم أحد ذلك، لأنه لم يكن من الطبيعي، ان ادخل الحرب، وعلى أرضي خبراء عسكريون سوفيت كما إنني أسقطت حجة إسرائيل، التي كانت تضلل بها الرأي العام، مدعية انها ستواجه الحرب مع السوفيت لا مع المصريين))^(٣).

(1) Anwar el Sadat, in search of identity An Autobiography, by Harperand Row, (New York, 1978), p.275.

وفي ما بعد أشار محمود غاريف، (كبير المستشارين العسكريين في مصر ١٩٧١-١٩٧٢)، إلى ان القيادة السوفيتية أبلغت السادات بعدم إمكانية تزويده بالأسلحة، في حالة إبعاد كافة المستشارين السوفيت، لذلك وافق السادات على إبقاء خبراء السلاح والآليات الحربية الذين يمكن ان يساهموا في استخدام وصيانة، وتصلح الآليات الحربية السوفيتية، أما مستشارو الاختصاصات السياسية والإستراتيجية فقد قرر إبعادهم وإنهاء خدماتهم. لقاء مع محمود غاريف (كبير المستشارين العسكريين في مصر ١٩٧١-١٩٧٢) تم عرضه على قناة روسيا اليوم ضمن برنامج (رحلة في الذاكرة)، الجمعة الموافق، ٢٠٠٨/٨/٨، توقيت العرض: الساعة الثامنة والنصف مساءً.

(٢) طه المجذوب، سنوات الأعداد وأيام النصر، (يونيو ١٩٦٧ - أكتوبر ١٩٧٣)، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٩)، ص ٦٦.

(٣) نقلاً عن: محمد أنور السادات، رئيس جمهورية مصر العربية - رجل الحرب والسلام، (١٩٧٠/١٠/١٧ - ١٩٨١/١٠/٦)، (إعداد) مركز زايد للتنسيق والمتابعة، (أبو ظبي، ٢٠٠١)، ص ٤٧.

ولأهمية ذلك القرار الذي يعد نقطة فاصلة في تاريخ العلاقات المصرية – السوفيتية، توجب علينا، إعطاء تحليل لدوافع ذلك القرار ونتأجه على العلاقات المصرية – السوفيتية.

- دوافع القرار ونتأجه على العلاقات المصرية – السوفيتية :

يرى البعض ان بواذر التفكير في إخراج الخبراء السوفيت من مصر قد بدأت مع زيارة الرئيس المصري للاتحاد السوفيتي في شباط ١٩٧٢، حيث أصر الجانب السوفيتي حينها على إقرار مبدأ الدفع بالعملة الأجنبية ضمن اتفاقية توريد السلاح الذي طلبته مصر^(١). إلا ان ذلك الطلب السوفيتي قوبل برفض مصري، إذ استدعى الفريق محمد صادق، (وزير الحربية المصري) آنذاك، كبير الخبراء السوفيت في مصر، وابلغه بأنه يكفي ان الخبراء السوفيت الموجودين في وحدات الدفاع الجوي يتقاضون أجورهم بالعملة الأجنبية، وفقاً لطلبهم، ولذلك فإن عليهم اذنٌ بالخروج، وكانت تلك أول الإشارات إلى ضرورة اخراج الخبراء السوفيت^(٢).

كان الرئيس المصري قد بذل جهوداً كبيرة لشرح الجذور الحقيقية، وتحليل الأسباب الفعلية التي أدت في النهاية إلى صدور ذلك القرار، وان تلك الأسباب قد تراكت بشكل أكثر تعقيداً، وتشابكاً في السنتين الأخيرتين قبل صدور القرار، وفي ذلك الوقت لاحظت الحكومة المصرية ان الصداقة مع الاتحاد السوفيتي تجاوزت حدودها الطبيعية ومضمونها الحقيقي^(٣).

وأكد الرئيس المصري فيما بعد ان الدافع وراء اتخاذه لقرار إبعاد الخبراء السوفيت يتمثل بالطريقة التي عومل بها من قبل السوفيت، وإهمالهم، ومماطلتهم في

(١) هناك من يشير إلى ان السادات كان متذمراً من مسألة الإنفاق على الخبراء السوفيت بالعملة الصعبة، وانه كان قد اخطر الحكومة الأمريكية سراً، بانه بحاجة لتلك المبالغ للإنفاق على أشياء أخرى أكثر أهمية، لاسيما ان تلك النفقات تضاعفت من ٧١,٨ مليون دولار عام ١٩٦٧، إلى ١٢٦ مليون دولار في عام ١٩٧٠.

Craig A. Daigle "The Russians Are Going , Sadat, Nixon and the Soviet presence in Egypt 1970-1971", Middle East Review of international Affairs Vol. 8, No. 1, (March, 2004), p.60.

(٢) زهران، المصدر السابق، ص ٢٥٢.

(٣) المجذوب، سنوات الأعداد وأيام النصر، ص ٦٦.

مسألة توريد الأسلحة، كما ان إيمانه بحتمية المعركة، وحرصه على ان يكون قرار المعركة قراراً مصرحاً دفعه إلى اتخاذ ذلك القرار^(١).

وهناك من يرى ان طبيعة الخبراء السوفيت وطريقة معاملتهم الاستفزازية للمصريين كانت من بين أسباب قرار إبعادهم، تلك المعاملة التي جعلتهم موضع كراهية من قبل الضباط المصريين، فهم في أغلب الأحيان كانوا يعرضون رأيهم، وكأنه هو الرأي الوحيد والصحيح، وليس مجرد رأي يقبل المناقشة والجدل^(٢). وكان لهم في أغلب الأحيان تأثير سلبي في معنويات القوات المسلحة المصرية، إذ كانوا أحياناً يتعمدون ترسيخ فكرة وجود عيب أساس في القوات

المسلحة المصرية، يكمن في ضعف القدرات القتالية المصرية والمعنوية للمقاتل المصري^(٣). كما ان وجودهم في القوات المسلحة المصرية، كان يمثل ازدواجية في القيادة العسكرية، وكانوا يتدخلون حتى في الخطط العسكرية المصرية، وأصبح في مصر مناطق محرمة حتى على القيادة المصرية ذاتها، لاسيما منطقة (صواريخ سام ٢ وسام ٣)، وكانت إجراءاتهم مشددة، في القواعد العسكرية التي تتواجد فيها طائرات (الماج ٢٣)، وبالنتيجة فأن خشونة معاملتهم، وإهمالهم لأراء الجانب المصري، جعلت العسكريين المصريين يشعرون بأنهم دقل تجارب ليس أكثر^(٤).

ونتيجة لذلك قد يكون قرار القيادة المصرية بإنهاء مهمة الخبراء السوفيت في جزء منه راجع إلى المنافسة بين الرئيس المصري ووزير حربيته محمد صادق -

(١) مجلة الهلال، العدد (٣)، المجلد (٣)، ١٩٧٦، المصدر السابق، ص ٢٤؛ Beattie, Op. Cit, p.172.

(٢) الشاذلي، المصدر السابق، ص ١٧٧؛ هناك تفاصيل يرويها بعض القادة العسكريين المصريين الذين عملوا مع الخبراء السوفيت، يشيرون فيها إلى تزمّت وصلف أولئك الخبراء. ينظر: محمد الجوادي، مذكرات قادة العسكرية المصرية ١٩٦٧-١٩٧٢ -في أعقاب النكسة، ط١، دار الخيال، (القاهرة، ٢٠٠١)، ص ١٩١، وما بعدها.

(٣) المجذوب، سنوات الأعداد وأيام النصر، ص ٦٨.

(٤) صحيفة العمل (تونس)، العدد ٨٠٧٥، ١٩٧٢/٧/٢٦؛ عثمان أحمد عثمان، صفحات من تجربتي، المكتب المصري الحديث، (القاهرة، ١٩٨١)، صص ٤٤٢-٤٤٤.

الذي كان شديد العداء للسوفيت - على كسب مشاعر ضباط القوات المسلحة المصرية^(١).

ويظهر ان السادات أراد من وراء ذلك القرار فتح المجال لدور دبلوماسي نشط للولايات المتحدة في المنطقة العربية^(٢). وإذا كان مطلب إخراج الخبراء السوفيت من مصر مطلباً أمريكياً، فإنه كان مطلباً صعب التحقيق، فالاتحاد السوفيتي لم يفرض وجوده على مصر، وانما المصلحة السياسية المصرية هي التي تطلبت وجوده^(٣). فبعد وصول الأسلحة والمعدات التي تم التعاقد عليها ضمن صفقة عام ١٩٥٥، إلى مصر لم تخطر على بال الحكومة المصرية فكرة الاستعانة بالخبراء السوفيت، للمساعدة في شرح عملية استخدامها، واكتفت بالكتب والنشرات التوضيحية المرافقة للأسلحة والمترجمة إلى اللغة الانكليزية، وان فكرة استخدام الخبراء السوفيت في القوات المسلحة المصرية على مستوى واسع، لم تخطر في أذهان الحكومة المصرية، إلا بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، وفي بادئ الأمر قررت الحكومة المصرية، إفاد نخبة من كبار ضباط الجيش المصري لغرض الدراسة في أكاديمية (فرونزا) العسكرية في الاتحاد السوفيتي، وفعلاً بدأت تلك الدفعة دراستها عام ١٩٥٧، وتبعتها دفعة ثانية عام ١٩٥٨، كما أوفد ضباط مصريون من السلاحين البحري والجوي إلى الكليات السوفيتية الخاصة بهم، وهنا ظهرت الحاجة إلى بعض الخبراء المتخصصين في التقنيات الصغرى، والاستخدام التقني للأسلحة وصيانتها، وخلاف ذلك من الموضوعات التي لم تتضمنها مناهج دراسة الضباط المصريين المبعوثين إلى الاتحاد السوفيتي، وفعلاً وصل عدد من الخبراء السوفيت في أواخر عام ١٩٥٧، وبدأوا عملهم في الوحدات والتشكيلات المصرية، ثم زاد ذلك العدد

(١) هيك، أكتوبر ٧٣، السلاح والسياسة، ص ٣٥٧.

(٢) كان السادات يأمل ان تبادر الولايات المتحدة باتخاذ خطوات أكثر إيجابية تجاه مصر، على أثر قرار إبعاد الخبراء السوفيت، ويؤكد ذلك ما جاء في مذكراته حين قال: "استدعيت حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومي، وقلت له ان أميركا، بعد هذه القرارات التي اتخذتها لا بد ان تتصل بنا، وعليه ان يعد نفسه للبدائل المختلفة لمناقشتهم."

El- Sadat, Op. Cit., p.278.

(٣) رياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٢٥.

تدريجياً سنة بعد سنة، حسب الحاجة إليهم، وحاجة التشكيلات الجديدة التي كانت تنشأ طبقاً لسياسة التوسع الموضوعية للقوات المسلحة المصرية^(١).

وقد قبل القرار بترحاب كبير في الولايات المتحدة، وربما يكون أكثر ما يثير الدهشة هنا ان الحكومة المصرية لم تحاول الحصول من الولايات المتحدة على شيء مقابل ذلك^(٢). ولو كانت قد أبلغت الحكومة الأمريكية بأنها تفكر جدياً بأبعاد الخبراء السوفيت، لكانت الأخيرة قد اهتمت بأن تقدم لها شيء بالمقابل^(٣).

وبينما يرى البعض ان السادات أراد من وراء ذلك القرار التمهيد لسياسة خارجية مصرية أكثر استقلالاً في تعامله مع (إسرائيل)، في الحرب والسلام^(٤).
يضف

البعض ان القرار كان حتمياً، فالوجود السوفيتي في مصر فقد مبررات بقائه بعد صدور بيان قمة موسكو في أيار ١٩٧٢، وما جاء فيه من دعوة إلى (استرخاء عسـ

بيزما كان الوضع الداخلي في مصر لا يقبل التأخير، وان ذلك الوجود أصبح ضد المصالح المصرية، لأنه يحول دون قيام مصر بحرب تحرير ضد القوات (الإسـرائيلية)

في سيناء، وان نشوب مثل تلك الحرب أثناء التواجد السوفيتي في مصر، من شأنه ان يؤدي إلى مواجهة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، ولم يكن بوسع السوفيت القبول بتلك المخاطرة، ومن جهة أخرى فإن الوجود السوفيتي في مصر في حالة هجوم مصري يستهدف عبور قناة السويس، سوف يدفع الولايات المتحدة بالضرورة

(١) صلاح الدين الحديدي، شاهد على حرب ٦٧، ط٢، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٧٥)، ص-ص ٦٧-٦٨.

(2) Heikal, Op. Cit., p.290.

(3) Henri Kissinger, The White House Years, Little Brown and CO, (Boston, 1979), p٤٨٣..

(4) Philip Adams "Sadat's Egypt", British society for Middle Eastern studies, vol. 3, No. 2, 1976, p.75;

صوفي بومييه، مصر الوجه الآخر، دار الفارابي، (بيروت، ٢٠٠٩)، ص٦٥.

إلى النزول بكل ثقلها في المعركة لموازنة الوجود السوفيتي، لكن هجوماً مصرياً بحثاً قد يدفع الولايات المتحدة إلى الوقوف موقف الحياد^(١).

وهناك رأي آخر يشير إلى ان السوفيت إذا ما وقعت الحرب، وانتصر الجيش المصري، سيطالبون بثمن ذلك النصر، وهو منحهم قوا عد عسكرية أو تسهيلات عسكرية لأسطولهم البحري وقواتهم الجوية، بحجة حماية ذلك النصر، وفي حالة الخسارة سيطالبون بالبقاء من اجل إعداد العدة لمعركة جديدة، لذا فان إخراجهم، على حد تعبير البعض، يعد مكسباً وخلصاً من محاولات الالتفاف من اجل البقاء والسيطرة، والتدخل في شؤون مصر الداخلية^(٢).

وقد يكون للعامل النفسي دور وراء اتخاذ ذلك القرار، في إطار طبيعة العلاقة بين السادات والقيادة السوفيتية، وهناك من يرى ان من الأمور التي كانت وراء تدهور العلاقات المصرية – السوفيتية، منذ تولي السادات الحكم، هي تلك الكراهية الشخصية من جانب السادات للسوفيت، وذلك بسبب اختلاف معاملتهم له عن المعاملة التي كانوا يعاملون بها جمال عبد الناصر، وكان القادة السوفيت يبادلونه ذلك الشعور، نتيجة انعدام الثقة، والشك تجاه شخصيته، وربما يكون ذلك ما دفعهم إلى التردد في المساندة الفورية له^(٣).

وقد أشار السادات إلى ذلك في حديث له نشرته إحدى الصحف الأمريكية في ٣١ تموز ١٩٧٢، عندما قال: ((لا تستطيعون تصور الحياة التي أعيشها منذ ان أصبحت رئيساً لمصر، إذ لم يمر علي يوم واحد بدون خصام مع الروس، فهم لم

(١) عبد العظيم رمضان، حرب أكتوبر في محكمة التاريخ، مكتبة الأسرة، (القاهرة، ١٩٩٥)، ص-ص ٤٥-٤٦.

(٢) عبد الله سلوم السامرائي، الولايات المتحدة الأمريكية والمؤامرة على الأمة العربية، ط ١، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، (بغداد، ١٩٨٢)، ص ١٠٧.

(٣) عبد الستار الطويلة، أنور السادات الذي عرفته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٢)، ص ١٢٥. للتفاصيل ينظر: زهران، المصدر السابق، ص-ص ٢٧٠-٢٧١؛

Ibrahim A. Karawan, "Sadat and the Egyptian – Israeli peace Revisited", International Journal of Middle East studies, Vol. 26, No. 2 May 1994, p. 254.

يثقوا بي أبداً، وقالوا إنني موالٍ لأمریکا، وأقنعوا نائب الرئيس السابق، (علي صبري)، بأنني أبيع مصر للأمريكان))^(١).

ولا يمكن إغفال دور الضغوط الخارجية التي تلقتها القيادة المصرية، في اتخاذ ذلك القرار، ففي ٦ حزيران ١٩٧٢، حضر إلى القاهرة، سلطان بن عبد العزيز (وزير الدفاع السعودي) حاملاً معه رسالة شفوية من الرئيس الأمريكي نيكسون كان من بين ما تضمنته، أن حل مشكلة الشرق الأوسط موجود في أيدي الحكومة المصرية، وأن الولايات المتحدة لن تضغط على (إسرائيل) لتقديم تنازلات، قبل أن تتم تصفية الوجود السوفيتي في مصر^(٢).

ويبدو أن الدعاية الأمريكية، لعبت دوراً في تصوير مصر على أنها قد

أصبحت (ثكنة سوفيتية)، أو أراضاً يحتلها الخبراء السوفيت، للفت الانتباه عن المسؤوليات التي أنيطت بهؤلاء، وخلق أجواء معادية للوجود السوفيتي في مصر^(٣).

وفي إطار الدور الخارجي وأثره في اتخاذ ذلك القرار يرى البعض أن صداقة السادات بشاه إيران، محمد رضى بهلوي (١٩٤١-١٩٧٩)، قد أثرت في تغيير رؤية السادات للاتحاد السوفيتي، ويقال أن الشاه كان دائماً يطالب الرئيس المصري بتحسين علاقات مصر بالولايات المتحدة بدلاً من الاتحاد السوفيتي، ويقرن تأييده لمصر بالتخلص من الوجود السوفيتي فيها^(٤). ويلاحظ هنا أنه إذ كان السادات راغباً

(١) صحيفة الهيرالد تريبيون، (واشنطن) ١٩٧٢/٧/٣١، ترجمة: دار البعث (دمشق) في ١٩٧٢/٧/٣١.

(٢) يفغيني بريماكوف، تشريح الصراع في الشرق الأوسط، ترجمة: سعيد أحمد، دار ابن خلدون، (بيروت، ١٩٨٢)، ص ٢٢؛ محمد علي محمد التميم، العلاقات السعودية الأمريكية ١٩٦٤-١٩٧٥،

(دراسة تاريخية)، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠٢، ص ١٣٧.

(٣) "رحلة العلاقات المصرية - السوفيتية من حرب الاستنزاف إلى ما بعد مرسى مطروح" مجلة كل شيء، (القاهرة)، العدد (٩٣١)، آب ١٩٧٢، ص ١٩؛ عبد الحسين شعبان، الصراع الأيدلوجي في العلاقات الدولية، وتأثيره على العالم العربي، ط ١، (دمشق، ١٩٨٥)، ص ٢٤٨.

(٤) حميد أحمد "العلاقات الإيرانية - المصرية والنظام الدولي المعاصر" في، مجموعة مؤلفين، إيران - مصر، مقاربات مستقبلية، (تحرير) توفيق شومان، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،

(بيروت، ٢٠٠٩)، ص ٦٠.

في الاتجاه نحو الولايات المتحدة، فإن الشاه كان راغباً أيضاً في جذبته نحو الاتجاه ذاته، وبشكل يجعله بعيداً عن الاتحاد السوفيتي، وهو ما كان يؤكد مدى ما تمثله الولايات المتحدة لهما من أهمية، ويعبر بالقدر نفسه عن مدى اتفاقهما التلقائي على النفور من الاتحاد السوفيتي^(١).

ويرى محمود رياض (وزير الخارجية المصري السابق)، أن العوامل التي ساعدت على صدور قرار إخراج الخبراء السوفيت من مصر، تمثلت في إسراف السوفيت في تردهم من ناحية، وإسراف الولايات المتحدة في وعودها للرئيس المصري من ناحية أخرى، فقد استمر السوفيت في تردهم وخشيتهم من استخدام القوة العسكرية في تحرير الأراضي العربية المحتلة، بالرغم من تأكدهم، أن الولايات المتحدة لن تتحرك مطلقاً باتجاه الحل السلمي، وكانوا حريصين دائماً على تجنب احتمالات المواجهة مع الولايات المتحدة في المنطقة^(٢).

وقد يكون لجانب السرية والتمويه، دورٌ في دفع القيادة المصرية إلى اتخاذ ذلك القرار، إذا اعتبرنا أن القيادة المصرية، أقدمت على تلك الخطوة لغرض أيهام (إسرائيل) بأن الحرب لم تعد وشيكة، وفي ذلك شيء من سياسة التمويه التي اتبعتها المصريون بغية تضمين الحرب المقبلة عنصر المفاجأة^(٣).

وبعد مرور ما يقرب من الأربع عقود على اتخاذ القيادة المصرية لذلك القرار، هناك وجهة نظر مصرية تعتقد أن السادات كان ينوي رفع الروح المعنوية لدى كبار

(١) سعيد الصباغ، العلاقات المصرية – الإيرانية بين الوصال والقطيعة ١٩٧٠-١٩٨١، دار الشروق،

(القاهرة، ٢٠٠٧)، ص ٣٤.

(٢) رياض، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٢٢.

(٣) للمزيد من التفاصيل حول سياسة التمويه التي اتبعتها القيادة المصرية قبيل حرب تشرين ١٩٧٣، ينظر: محمد عبد القادر حاتم، دور الاعلام المصري في تحقيق المفاجأة الإستراتيجية في حرب أكتوبر ١٩٧٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠٩)، ص-ص ٣٩-٨٧؛ عبده مباشر، يوميات أكتوبر في سيناء والجولان، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٧٦)، ص ٤٩ وما بعدها؛ صلاح الدين الحديدي، حرب أكتوبر في الميزان العسكري، ط ١، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص-ص ٥٢-٧١؛ "انتصار مصري وانكسار إسرائيلي"، مجلة صباح الخير (القاهرة) العدد (٢٦٤٩)، تشرين الأول، ٢٠٠٦، ص-ص ٦-٨.

ضباط الجيش المصري، من خلال تأكيده لهم بأنهم قادرين على خوض الحرب والنجاح في عملية عبور قناة السويس بدون وصاية سوفيتية، كما ان السادات كان يخشى من وقوع بعض التقارير السرية - التي كان الخبراء السوفيت يبعثوا بها لقياداتهم - بطريقة غير محسوبة بيد المخابرات (الإسرائيلية)^(١).

ويبدو ان تلك العوامل ساهمت مجتمعة على نمو فكرة قرار إبعاد الخبراء السوفيت ثم جاءت نتائج قمة موسكو لتكون الحدث الذي اوجب اتخاذ ذلك القرار. أما السبب المباشر في اتخاذ ذلك القرار فقد تمثل في العجز السوفيتي عن تحقيق معادلة في ميزان القوى بين مصر و (إسرائيل)، إذ ساد الاعتقاد عند القيادة السياسية المصرية، بان الاتحاد السوفيتي غير جاد في مساعدة مصر للوصول إلى موقف متوازن مع (إسرائيل)^(٢). وان ذلك الاعتقاد كان له نصيب كبير من الصحة، إذ يرى البعض ان الإستراتيجية السوفيتية قد التزمت بتوفير القدرات الدفاعية لمصر مع الحذر الشديد من توفير وسائل السيطرة، وأساليب الردع^(٣)، وهناك من يرى ان الاتحاد السوفيتي قد دفع ثمناً لذلك الموقف، تمثل بانهيار إستراتيجيته في المنطقة، نتيجة لإغفاله الربط بين أهدافه في تحقيق النفوذ الإقليمي وبين أهداف مصر في التطلع لتحرير الأرض^(٤).

وشأنه شأن أي قرار آخر، فأقار إبعاد الخبراء السوفيت عن مصر له مزاياه وعيوبه، لكن ربما يكون النقد الرئيسي لهذا القرار هو في أسلوب اتخاذه وتوقيته وكان يمكن ان يتم بطريقة أكثر دبلوماسية وبالاتفاق مع الاتحاد السوفيتي مباشرة، الذي كان صديقاً لمصر، رغم الأساليب التي تخللت تلك الصداقة، وكان يمكن ان يتم في توقيت أفضل يسمح للقيادة المصرية بالمساومة، ويمكنها من

(١) مقابلة شخصية للباحث مع د. نور هان الشيخ، مديرة مركز الدراسات الأمريكية، في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، يوم الثلاثاء الموافق ٢٠١٠/١٢/١٤.

(٢) اشرف غربال، صعود وانهيار علاقات مصر وأمريكا - الاتصالات السرية مع عبد الناصر والسادات، ط١، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٤)، ص٦٥.

(3) George W. Breslauer, Soviet Strategy in the Middle East, by Unwin Hyman, INC (London, 1990), p.49; ص٣٠٨. العقد مأساة يونيو ١٩٦٧، ص٣٠٨.

(4) Egypt and Nasser , Volume. 3, (1967-1972) printed in the United States of America. هويدي، الفرص الضائعة، ص٢٩٥، p.279; 1973.

الحصول على تنازلات مهمة من الجانب الأمريكي، لو انه تم في إطار إستراتيجية شاملة، توازن بين المصالح العالمية والإقليمية والمحلية.

- رد الفعل السوفيتي تجاه القرار المصري واثره في العلاقات المصرية - السوفيتية:

أتسم رد الفعل السوفيتي تجاه قرار القيادة المصرية بانتهاء مهمة الخبراء السوفيت في مصر بالهدوء وضبط النفس، حيث أصدرت الحكومة السوفيتية بياناً أشارت فيه إلى ان المستشارين، والخبراء الفنيين العاملين في مصر، الذين قد ارسلو في مهام محددة المدة، قد انهوا مهمتهم التي أو فدوا من أجلها، ولم يعد هناك مبرر لبقائهم، وقد تجنبت الحكومة السوفيتية في بيانها، استخدام عبارات (الطرد) و (السحب) التي استخدمها الجانب المصري^(١).

استجاب السوفيت لذلك الأقرار بسرعة^(٢). وأوضحت الحكومة السوفيتية، ان المصريين هم أصحاب القرار بهذا الشأن، وان الوجود العسكري السوفيتي في مصر كان بناءً على طلب القيادة العسكرية المصرية، وهم ليس لديهم أي مطامع في البقاء في مصر^(٣).

وان كان هناك من يرى ان استجابة السوفيت السريعة لذلك القرار، جاءت تأكيداً لمبدئية السياسة الخارجية السوفيتية فيما يتعلق بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الأخرى^(٤). فهناك من يشير إلى ان السوفيت شعروا بارتياح لذلك القرار، لتخلصهم من الالتزامات العسكرية، التي كان يفرضها عليهم وجودهم العسكري في مصر، ولا سيما طيارتهم، وان استجابتهم جاءت سريعة لعوامل خارجية، تتمثل في

(١) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٢، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت، ١٩٧٦)، ص ٣٨٤؛ مقلد، المصدر السابق، ص-ص ٣٤٤-٣٤٥.

(٢) تم ترحيل الخبراء السوفيت بنسبة (١٠٠) خبير في اليوم، واستقل هؤلاء الخبراء وعائلاتهم طائرات تعود لشركة تابعة لألمانيا الشرقية، إلا ان القسم الأكبر منهم سافر عن طريق البحر، وقد وافق الاتحاد السوفيتي على بقاء الخبراء اللازمين للمعدات العسكرية المعقدة مثل وحدات صواريخ سام-٣. صحيفة الفيجارو (باريس) ١٩٧٢/٧/٢١ ترجمة: دار البعث (دمشق) في ١٩٧٢/٧/٢١.

(٣) صحيفة الأنوار (بيروت)، العدد ٤٢٠٦، ١٩٧٢/٧/٢٠؛ Glassman, Op. Cit., p96.

(٤) سمير كرم "الثابت والمتغير في مبادئ السياسة السوفيتية"، مجلة شؤون فلسطينية، (بيروت)، العدد (٧٢)، تشرين الثاني، ١٩٧٧، ص ٦٠.

خشية السوفيت من ان تؤدي معارضتهم لقرار طلب سحب خبرائهم من مصر إلى إثارة الشكوك لدى بقية الدول التي يوجد فيها مستشارين أو خبراء سوفيت^(١).

ويشير أحد المؤرخين السوفيت إلى ان الجانب السوفيتي قد تقبل خبر إبعاد العسكريين السوفيت من مصر بشعور تضمن شيئاً من (الازدواجية)، إذ كان ذلك القرار يمثل هزيمة سياسية بالطبع، وان الشكل الذي جرى فيه إجلائهم كان مهيناً، ومن جهة أخرى فان الاتحاد السوفيتي بخروج خبرائه من مصر، كان قد ابتعد عن خطر الانجذاب المباشر إلى المجابهة العسكرية مع الولايات المتحدة^(٢).

ويتضح من ذلك ان اعتراض السوفيت، كان على الطريقة المهينة التي أخرج بها خبرائهم، أما الموضوع الأساسي وهو خروجهم ذاته، فهو أمر رحبوا به في قرارة أنفسهم، وسارعوا في تنفيذه قبل نهاية المدة التي حددها لهم الرئيس المصري، كان السوفيت يأملون في ان يؤدي مجرد تواجدهم العسكري إلى الضغط على (إسرائيل) والولايات المتحدة للقبول بالحل السلمي، إلا ان ذلك لم يتحقق بل أدى إلى مزيد من التصعيد من جانب الولايات المتحدة، التي زادت بالمقابل من دعمها للجانب (الإسرائيلي)، لذا فأنهم عندما لمسوا من الجانب المصري إصراراً على العمل العسكري، شعروا بالراحة لتخلصهم من الالتزامات العسكرية التي كان يفرضها عليهم وجود وحداتهم العسكرية في مصر. فالاتحاد السوفيتي يصبح أقل تورطاً في الحرب المصرية - (الإسرائيلية)، عندما تتم تلك الحرب بغير وجود عسكري له في مصر، عنه إذ تمت تلك الحرب وله طيارون مقاتلون داخل مصر، ووحدات مشتركة في الدفاع الجوي^(٣).

وقد حظي ذلك القرار بتأييد شعبي واسع في مصر، يرى احد الباحثين المصريين المناصرين للسادات، ان احد أخطاء الاتحاد السوفيتي في علاقته مع مصر، هو أخذه لمصر قضيةً مسلم بها، كحليف استراتيجي، تعتمد عليه، ومن ثم تراخي وأهمل في مراعاة مشاعر ومصالح المصريين وبدأ يعامل مصر كدولة تابعة، ففقد بالتدريج تعاطف المصريين وحرصهم على العلاقة معه، وبالتالي حينما أٌخذ

(١) زهران، المصدر السابق، ص ٢٩٦.

(٢) فاسلييف، روسيا في الشرقي الأدنى والأوسط، ص ١٤٢.

(٣) رياض، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٢٤.

السادات، قراره بطرد الخبراء السوفيت، فان قطاعاً كبيراً من الرأي العام المصري كان متجارباً مع ذلك القرار^(١).

كان من النتائج المتوقعة لذلك القرار، حدوث توتر في العلاقات المصرية – السوفيتية، إذ كان إخراج الخبراء السوفيت من مصر هدفاً أمريكياً منذ عام ١٩٧٠، لذا فإن خروج السوفيت من مصر على ذلك النحو يمثل هزيمة سياسية للاتحاد السوفيتي، وكان من الطبيعي ان ينتج عن ذلك القرار تباطؤ في المساعدات العسكرية السوفيتية لمصر، وعدم تقديم تسهيلات مادية في مسألة تسديد أثمان تلك المساعدات، كما كان يحدث في الماضي^(٢).

أما خسائر الجانب المصري العسكرية الناتجة عن ذلك القرار فقد تمثلت في خروج الوحدات العسكرية السوفيتية من مصر، وهي وحدات تعمل أساساً في دعم الدفاع الجوي المصري، إذ كان السوفيت يقومون بتشغيل ٣٠% من الطائرات نوع ميج ٢١، والتي تقوم بالدفاع الجوي، وكانوا يقومون بتشغيل ٢٠% من كتائب صواريخ أرض – جو، كما كانوا يقومون بتشغيل الغالبية العظمى من الوحدات الالكترونية، وكان قسم من معدات تلك الوحدات، يمثل ممتلكات سوفيتية متطورة لم يوافق السوفيت على بيعها لمصر، على اعتبار انها على درجة عالية من السرية، وكانت هناك أيضاً الطائرات ميج ٢٥، التي يقودها طيارون سوفيت، وتقوم بعمليات استطلاعية فوق المواقع العسكرية (الإسرائيلية) في سيناء، وقد عادت كل تلك الوحدات العسكرية التي يزيد عدد أفرادها على ستة آلاف خبير، علاوة على ألفي خبير فني وبحلول ١٧ تموز ١٩٧٢، انخفض عدد الخبراء السوفيت في مصر من ١٥,٠٠٠ خبير إلى ما يقرب من مئتي خبير. وهو الأمر الذي يؤدي بالتأكيد إلى فجوة خطيرة في الدفاع الجوي المصري، وبالتالي في القدرات العسكرية المصرية^(٣).

(١) سعد الدين إبراهيم، إعادة الاعتبار للرئيس السادات، ط١، دار الشروق، (القاهرة، ١٩٩٢)، صص-١٩-٢٠.

(٢) إسماعيل، المصدر السابق، ص ٢١٩.

(٣) الأشاذلي، المصدر السابق، ص ٦٨؛ رياض، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٢٢؛ Glassman Op. Cit., p.96، يرى الفريق أول محمد فوزي (وزير الحربية المصري السابق) ان القيادة المصرية لم تتمكن في حرب تشرين ١٩٧٣ من تعويض ١٢٠ طياراً سوفيتياً، كانوا يشاركون القوات المصرية في مهماتها، كما لم تتمكن من تعويض وسائل الاستطلاع التعبوي والاستراتيجي التي

كما ان وجود الخبراء والمستشارين العسكريين السوفيت في مصر كان بمثابة الحماية للمناطق التي كانوا يتواجدون فيها، وعلى سبيل المثال، ان الإسكندرية لم تتعرض لقصف جوي خلال حرب الاستنزاف، وكذلك الإسماعيلية، وبور سعيد، في حين ان بقية المناطق المصرية كانت تقصف بعنف^(١). لذا فان قرار القيادة المصرية بإبعاد الخبراء السوفيت مع إيمانها بحتمية المعركة وجد من يشبهه بقرار عبد الناصر بسحب قوات الأمم المتحدة قبيل حرب حزيران ١٩٦٧^(٢).

ويرى البعض ان ذلك القرار لا يعني ان مصر فقدت مصدرها الرئيسي لاسترداد السلاح، بل ان ذلك القرار كان فيما بعد حافزاً للسوفيت على زيادة حجم السلاح والمعدات العسكرية المرسلة لمصر، إذ كان السوفيت يريدون تحسين سمعتهم، خوفاً من إلغاء المعاهدة والتسهيلات البحرية، وانهم أصبحوا أكثر قدرة على الحركة بعد ان تخلصوا من مسؤولياتهم التي كانت مصدر قلق لهم جراء تواجدهم في مصر من جانب آخر^(٣).

وفي ١٣ تموز أوفدت الحكومة المصرية، عزيز صدقي (رئيس الوزراء المصري) إلى موسكو، موصية إياه ان يفعل ما بوسعه لتهدئة المشاعر السوفيتية، والتخفيف من حدة وقع القرار على القيادة السوفيتية^(٤). وفي محاولة لإصدار بيان مشترك، يتضمن شكر الحكومة المصرية للاتحاد السوفيتي بمناسبة انتهاء عمل الخبراء السوفيت في مصر، واتخاذ الترتيبات اللازمة لشراء بعض المعدات التي تركها السوفيت في مصر^(٥). ولكن القيادة السوفيتية رفضت ان تشترك في مثل ذلك

كان السوفيت يوفرونها بوسائلهم الحديثة. محمد فوزي، حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، دراسة ودروس، ط٢، دار المستقبل العربي، (بيروت، ١٩٨٩)، ص٢٤٥.

(١) صحيفة النهار (بيروت)، العدد ١١٤٧٢، ١٩٧٢/٧/٢٠.

(٢) صحيفة النهار (بيروت)، العدد ١١٤٧٤، ١٩٧٢/٧/٢٢.

(٣) هويدي، الفرص الضائعة، ص٢٩٢.

(٤) هيكل، حكاية العرب والسوفيت، ص١٨٢.

(٥) كان من بين الأسلحة التي خلفها الخبراء السوفيت في مصر ما يقارب الـ ١٧٠٠ دبابة و ٦٢٠ طائرة حربية و ١٣٠ قاعدة صواريخ نوع سام.

The Arms Bazaar, from Lebanon to Lockheed by Anthony Sampson, (New York, 1977), p.197.

البيان، وتركت لمصر ان تتصرف منفردة في ذلك الشأن، كما انها رفضت بيع أي من المعدات التي طلبت مصر شرائها^(١).

وهناك من يرى ان عدم موافقة الجانب السوفيتي على الاشتراك في بيان إنهاء مهمة الخبراء، كانت ناتجة عن تصور الحكومة السوفيتية بان السادات سوف لن يعلن من جانبه قرار إنهاء مهمة الخبراء، في حالة رفض الجانب السوفيتي إصدار البيان المشترك، أم انهم أرادوا إحراج النظام المصري بحديث تترتب عليه وحده مسؤولية أي رد فعل ينتج عن ذلك البيان^(٢).

ومع ذلك فقد أشار مصدر سوفيتي في ٢٠ تموز ١٩٧٢، إلى عزم الاتحاد السوفيتي على تطوير وتعزيز علاقته مع مصر بجميع الوسائل على أساس معاهدة الصداقة والتعاون المعقودة بين الطرفين^(٣).

وفي ٣١ تموز ١٩٧٢، أرسل برجنيف رسالة شخصية إلى السادات طغى عليها الطابع الرسمي، وغابت عنها العبارات الودية التي جرت العادة ان يتبادلها الجانبان في السابق، وأوضح برجنيف فيها وجهة النظر السوفيتية من التطورات الأخيرة التي طرأت على العلاقة بين البلدين، مذكراً الحكومة المصرية بـ (الصداقة المصرية – السوفيتية) في زمن عبد الناصر، ومؤكداً فيها بأن قرار إبعاد الخبراء السوفيت قد ترك أثراً سلبية على العلاقة بين البلدين، محملاً (الامبريالية) والعناصر اليمينية في مصر مسؤولية ما حدث^(٤).

(١) هيكمل، الطريق إلى رمضان، ص ١٥٧؛ وحيد رأفت، العالم العربي والإستراتيجية السوفيتية المعاصرة، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٧٧)، ص ١٨١.

(٢) مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، ص ١٦٣.
(٣) بيان لوكالة الأنباء السوفيتية (تاس) في ١٩٧٢/٧/٢٠، نقلاً عن نشرة وكالة أنباء (نوفوستي) الصحافية، العدد ١٨٥٤، ١٩٧٢/٧/٢٤، ص ١.

(٤) هيكمل، حكاية العرب والسوفيت، ص ١٨٣؛ مجموعة مؤلفين، النار والجليد – الإمبراطورية الحمراء من المهد إلى اللحد، دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٩٢)، ص ٢٠٤.

وشهد شهر آب ١٩٧٢، حملة كلامية تبادلت فيها الصحافة المصرية ونظيرتها السوفيتية الاتهامات بهذا الشأن^(١).

(١) على سبيل المثال انتقدت صحيفة أخبار اليوم، السياسة السوفيتية، واصفة إياها بأنها تبدي أهمية كبيرة لوفاقها مع الولايات المتحدة على حساب القضايا العالمية الأخرى، أخبار اليوم، العدد ١٤٤٨، ١٩٧٢/٨/٥. كما وصفت صحيفتي الأهرام والأخبار، سياسة الاتحاد السوفيتي بالجمود والافتقار إلى أي جديد، صحيفة الأهرام العدد ٨١٢٨٧، ١٩٧٢/٨/٨؛ صحيفة الأخبار العدد ٦٢٨٠، ١٩٧٢/٨/٨، وأشارت صحيفة أخبار اليوم في عددها الصادر في ١٩ آب ١٩٧٢، إلى مسألة اليهود السوفيت والتسهيلات الممنوحة لهم تحت عنوان ((الاتحاد السوفيتي في موقف حرج فهو يمد العرب بالسلح وإسرائيل بالمهاجرين)) صحيفة أخبار اليوم العدد ١٤٥٠، ١٩٧٢/٨/١٩، بينما نشرت صحيفة برافدا في عددها الصادر في ١٩٧٢/٨/٢٣ مقالاً انتقدت فيه السادات من دون ان تسميه قاذلة ((ان تقارب بعض الزعماء العرب من الولايات المتحدة لن يكون مثمراً على صعيد تسوية النزاع مع إسرائيل، لأن تأييد أمريكا لإسرائيل يتزايد، وان السلام العادل لا يتحقق إلا معنا)). نقلاً عن، مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، ص ١٧٠.

واستدعت حكومتا البلدين سفير كل منهما لدى الأخرى، ولبضعة أشهر دخلت علاقاتهما الدبلوماسية، مرحلة من الفتور^(١)، حتى ان اتصالاتهما على المستويات السياسية العليا كانت قد توقفت بصورة شبه كاملة^(٢).

ويلحظ ان خروج السوفيت من مصر وان أدى إلى تعقيدات في العلاقات بين موسكو والقاهرة، إلا انه لم يؤد إلى انهيار تام في تلك العلاقات، كما لم يؤد إلى نهاية للنفوذ السوفيتي في الشرق الأوسط، وذلك لعدة أسباب لعل من أهمها، استمرار المعاهدة المصرية - السوفيتية، واستمرار اعتماد مصر على الأسلحة والمساعدات الاقتصادية السوفيتية، لاسيما وانه لم تظهر أي استجابة ايجابية من الولايات المتحدة تجاه ذلك القرار، كما ان استمر السوفيت في استخدام الموانئ المصرية، وان كان في ظل ظروف متغيرة بسبب فقدانهم السيطرة المباشرة على تلك التسهيلات البحرية، قد خفف من ضعف الموقف العسكري السوفيتي في المنطقة^(٣).

ان ما يميز أزمة تموز ١٩٧٢ بين مصر والسوفيت، هو اندلاعها في إطار دولي جديد حيث ان المصالح لم تعد بسيطة كما كانت في السابق، كما ان مصر أصبحت في وضع داخلي حرج لا يمكّنها مع استمرار القطيعة مع السوفيت مع دخول أي نزاع جديد مع (إسرائيل)^(٤).

(1) Robert W. Vaagan, the USSR and Egypt: Soviet Egyptian Relation 1967-1976, by universitet loslo, (Varen 1982). P.112.

(٢) مقلد، المصدر السابق، ص ٣٤٥.

(٣) هالة أبو بكر سعودي، السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الإسرائيلي ١٩٦٧-١٩٧٣، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٩٨٦)، ص ٧٧.

(٤) دانكوس، المصدر السابق، ص ١٤٩، بعد اتخاذ السادات لقرار إبعاد الخبراء السوفيت، نظمت الحركة الشيوعية المصرية اعتصاماً بقاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة، كما حاولت عناصر شيوعية مصرية، تنظيم اعتصام في ميدان التحرير في القاهرة، في محاولة لتحريض الشعب المصري ضد النظام الحاكم وكانت تلك الجامعات تلعب دوراً واضحاً في مراكز ومؤسسات مصرية مهمة مثل الجامعات والوحدات الصناعية والاتحادات العمالية والصحافة والإعلام، إلا ان النظام المصري تصدى لتلك المحاولات بحزم. شهادة النبوي إسماعيل (وزير الداخلية ونائب رئيس الوزراء المصري السابق)، في كتاب علي حسن عبد الباقي، شهود عصر السادات، (القاهرة، ٢٠٠٣)، ص ١٢٢.

ويبدو ان السادات قد أدرك مدى خطورة القرار الذي أقدم عليه فأعاد تقييم موقفه، ووجد انه تسرع في فقدان صداقة السوفيت قبل ان يتأكد من حقيقة الموقف الأمريكي، مما دفعه إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه من جسور الصلة مع السوفيت^(١).

ولتلك الاعتبارات فان الخلاف المصري - السوفيتي، لم يستمر طويلاً، فلم يكن أي من الجانبين راغباً في قطيعة دائمة. وفي ٢٩ آب ١٩٧٢ بعث الرئيس المصري رسالة إلى القيادة السوفيتية، رداً على رسالة برجذيف في ٣١ تموز ١٩٧٢، تضمنت عبارات الود والصداقة، وجاء فيها ما يشير إلى ان الحكومة المصرية تود التوصل إلى حل ينهي أزمة العلاقة بين البلدين^(٢).

وفي ٢٧ أيلول ١٩٧٢ سافر الرئيس السوري حافظ الأسد (١٩٣٠-٢٠٠٠) إلى الاتحاد السوفيتي، ليدحض مع الحكومة السوفيتية موضوع تسليح القوات المسلحة السورية، وخلال تلك المباحثات تطرق الجانبان لموضوع العلاقات العربية - السوفيتية، والعلاقات المصرية - السوفيتية بوجه خاص، وخلال تلك الزيارة رحبت الحكومة السوفيتية بضرورة زيارة وفد مصري للاتحاد السوفيتي لمناقشة قضايا الأزمة الراهنة بين الجانبين، وعاد الرئيس السوري إلى القاهرة في ٢٩ أيلول ١٩٧٢، وعرض على القيادة المصرية كل جوانب ما دار في مباحثاته مع الحكومة السوفيتية، ولا سيما ما يتعلق بالعلاقات المصرية - السوفيتية، وفي ضوء ذلك رأت الحكومة المصرية، ان الظروف الراهنة تقتضي مباحثات مصرية - سوفيتية ضمن لقاء قمة بين الجانبين يتم ترتيبه في أقرب فرصة ممكنة^(٣).

(١) منصور، الصراع الأمريكي - السوفيتي في الشرق الأوسط، ص ٤١٤.

(٢) هيك، حكاية العرب والسوفيت، ص ١٨٣.

(٣) موسى صبري، وثائق حرب أكتوبر، ط١، المكتب المصري الحديث، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص ٢٦٨.

Israel and The Arabs, the October 1973 war, Edited, by Lester A. Sobel, (New York, 1974), p.66.

ان رغبة الاتحاد السوفيتي في الحفاظ على مواقع نفوذه في الشرق الأوسط، واعتبارات مواجهته العالمية للولايات المتحدة من ناحية، ورغبة الحكومة المصرية في استكمال استعدادها للمعركة من ناحية أخرى، قد ساهم لاحقاً في تطويق أزمة الخبراء السوفيت في مصر^(١).

(١) محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، (بيروت، د. ت)، ص ٤٦.

الفصل الثالث

العلاقات المصرية – السوفيتية تشرين الأول ١٩٧٢ – كانون الأول ١٩٧٣

المبحث الأول

العلاقات المصرية - السوفيتية تشرين الأول ١٩٧٢ - أيلول ١٩٧٣

بحلول شهر تشرين الأول ١٩٧٢، عادت العلاقات المصرية - السوفيتية إلى الحد الذي استأنف فيه سفراء البلدين وظائفهم^(١). وفي ٤ تشرين الأول ١٩٧٢ طلبت السلطات السوفيتية من الحكومة المصرية، الإذن لثلاثة سفن ناقلة للجنود للتمركز في ميناء بور سعيد، وقد وافقت الحكومة المصرية على ذلك، أملا في تحسين العلاقة بين الجانبين، ومنح الفرصة لإنجاح رحلة عزيز صدقي (رئيس الوزراء المصري) إلى موسكو، التي كان المقرر لها ان تتم في يوم ١٦ تشرين الأول ١٩٧٢. وفي ٥ تشرين الأول ١٩٧٢، دخلت السفن السوفيتية الثلاث ميناء بور سعيد، فكانت أول ظاهرة عملية على بدء تحسن العلاقات بين البلدين^(٢).

وفي يوم ٦ تشرين الأول ١٩٧٢، وفي حديث صحفي خاص للسادات، وجه الرئيس المصري انتقاداً للسياسة السوفيتية التي تعطي مصالحها الخاصة في الوفاق الدولي مع الولايات المتحدة الأولوية على حساب علاقاتها الأخرى، إلا انه أكد على استمرار الصداقة المصرية - السوفيتية، مع أمله في الوصول إلى علاقة يراعي فيها كل طرف مصالح الآخر^(٣).

وفي ١١ تشرين الأول ١٩٧٢، بعثت الحكومة السوفيتية خطاباً إلى الحكومة المصرية، وافقت فيه على زيارة رئيس الوزراء المصري لموسكو، محددة موعد تلك الزيارة بيوم ١٦ تشرين الأول ١٩٧٢. وقبيل سفر عزيز صدقي أبلغته الحكومة المصرية ان يتخذ موقفاً حازماً، وان لا يستجيب لأي مناقشة حول قرار إبعاد الخبراء، مع التركيز على ضرورة القيام بعمل عسكري، لتحرير الأراضي العربية المحتلة، مما يتطلب توفير قدرات قتالية لذلك الغرض، تتضمن سلاح الردع في القوات الجوية المصرية^(٤).

(1) Vaagan, Op. Cit., p.114.

(٢) الشاذلي، المصدر السابق، ص ١٦٥.

(٣) "حديث صحفي خاص للرئيس أنور السادات، رئيس جمهورية مصر العربية، حول العلاقات بالاتحاد السوفيتي، ومسألة التسليح" الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٢، المصدر السابق، ص ص ٤٢٥-٤٢٨.

(٤) إسماعيل، المصدر السابق، ص ٢٢٣.

وخلال الفترة ١٦-١٨ تشرين الأول ١٩٧٢، تمت زيارة عزيز صدقي إلى الاتحاد السوفيتي، وقد نقل صدقي خلال زيارته تلك إلى الحكومة السوفيتية تعهد الحكومة المصرية بعدم تصعيد حدة التوتر في المنطقة^(١). وفي الوقت نفسه أكدت القيادة السوفيتية على حق مصر في كفاحها لتحرير الأراضي المحتلة، وأوضحت للجانب المصري بأنه لا يوجد اتفاق سوفيتي - أمريكي على حساب الحق العربي، كما أكدت ان الاتحاد السوفيتي يدرك تماماً طبيعة الموقف في الشرق الأوسط، وسوف يتخذ خطوات عملية لدعم قدرة مصر العسكرية^(٢).

وأوضحت القيادة السوفيتية لرئيس الوزراء المصري، بان الصداقة السوفيتية - المصرية، نشأت وقويت نتيجة (المصالح الحيوية المشتركة)، إلا ان أعداء هذه الصداقة يحاولون تخويف العرب من الاتحاد السوفيتي، ثم أكدت القيادة السوفيتية في نهاية حديثها على ان المعاهدة المصرية - السوفيتية هي أساس التعاون بين البلدين^(٣).

وصدر في نهاية الزيارة بيان مشترك، تضمن تأكيد الأهداف المشتركة لشعبي البلدين، ودور معاهدة الصداقة والتعاون في تعزيز علاقتهما وتعاونهما، واعتراف الاتحاد السوفيتي بحق الدول العربية في تحرير أراضيها^(٤). ولم تكن الحكومة المصرية تتوقع الكثير من النتائج الايجابية لتلك الزيارة، وكان ضنها ان الحكومة السوفيتية ستعود إلى تكرار نفس مواقفها السابقة، إلا ان تلك الزيارة حققت أهدافها في تحسين العلاقات بين البلدين. ووافقت الحكومة السوفيتية على شحن كافة طلبات الجانب المصري المتأخرة من صفقات الأسلحة السابقة^(٥).

(1) Glassman, Op.Cit., p.96.

(٢) حمدي فؤاد، الحرب الدبلوماسية بين مصر وإسرائيل، دار قضايا، (بيروت، ١٩٧٦)، ص ٢١٨.

(٣) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٢، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت، ١٩٧٦)، ص ٣٨٦.

(٤) نقلاً عن: المصدر نفسه، ص ٣٨٦.

(٥) هيك، أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة، ص ٣٦٧؛

Gregory Hale Brad Ford, The Rise and Fall of Soviet influence in Egypt, Master of Arts in National security Affairs from The Naval post, raduate school, Monterey California, December, 1976, p.104.

كانت المهمة الأساس التي كلف بها الوفد المصري من قبل حكومته تتمثل في بحث موضوع العلاقات بين البلدين، بعد التطورات التي طرأت على تلك العلاقات نتيجة اتخاذ القيادة المصرية قرار إبعاد الخبراء السوفيت في تموز ١٩٧٢، وقد حرص رئيس الوزراء المصري على التحدث بصراحة مع القادة السوفيت، ونجحت مباحثاته معهم في إزالة التوتر الذي ساد العلاقة بين البلدين منذ تموز ١٩٧٢^(١).

وقد وافق الاتحاد السوفيتي على تقديم أسلحة جديدة ومتقدمة لمصر، لم تظهر من قبل على مسرح العمليات في الشرق الأوسط، من بينها طائرات ميج ٢٣، وطائرات سوخوي ٢٠، والصواريخ المتقدمة من طراز (R 17E)، الذي يبلغ مداها ثلاثمائة كيلومتر، فضلاً عن النظم الصاروخية المتقدمة، كما وقع الجانب السوفيتي صفقات أسلحة جديدة مع مصر، يتم تسليمها خلال فترة زمنية قصيرة، اشتملت على طائرات ميج ٢٥، وعربات القتال المدرعة من طراز (EMP)، ونظام كامل للحرب الالكترونية^(٢). كما تم الاتفاق على إعادة بعض وحدات صواريخ سام - ٦، التي كان قد تم سحبها في تموز ١٩٧٢^(٣).

وعلى الصعيد الداخلي المصري، قرر السادات تماشياً مع تلك التحركات التوفيقية للعلاقة مع السوفيت، إقالة الفريق محمد صادق (وزير الحربية المصري) في ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٢، وعلى الرغم من ادعاء السادات بأن إقالة صادق كانت بسبب عدم تنفيذه لأوامر الحكومة المصرية، بتهيئة الجيش المصري لشن حرب ضد (إسرائيل)، وان كان هناك من يشير إلى أن قرار إقالة وزير الحربية المصري، كان بسبب صراع خفي على السلطة بين السادات وصادق^(٤). إلا أن كون الأخير من كبار المعارضين للوجود السوفيتي في مصر، وكونه يعدّ من جانب الاتحاد السوفيتي

(١) "بيان الدكتور عزيز صدقي، رئيس مجلس الوزراء المصري حول العلاقات بالاتحاد السوفيتي" الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٢، المصدر السابق، ص-ص ٤٥٧-٤٥٩.

(٢) هيك، أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة، ص ٣٦٧؛ الشاذلي، المصدر السابق، ص ١٦٥.

(٣) Glassman, Op. Cit., p.97.

(٤) الشاذلي، المصدر السابق، ص ١٢٣؛ هيك، أكتوبر ٧٣، السلاح والسياسة، ص ٣٤٧.

شخصاً غير مرغوب فيه، جعل إقالته تبدو وكأنها خطوة توفيقية أخرى باتجاه تحسين العلاقات مع الاتحاد السوفيتي^(١).

ومن الأمور التي زادت من التقارب المصري - السوفيتي في تلك الفترة، هو استمرار مساندة الحكومة الأمريكية لـ (إسرائيل) عسكرياً وسياسياً، والجفاء الأمريكي للحكومة المصرية، فعندما اتخذ السادات قراره بإبعاد الخبراء السوفيت، كان يتوقع من الجانب الأمريكي رد فعل مناسب، كأن يكون في اقل التقديرات، الوقوف موقفاً حيادياً من الصراع العربي - (الإسرائيلي)، وعدم الانحياز الكامل لـ (إسرائيل)، إلا ان الحكومة المصرية أصيبت بخيبة أمل كبيرة من تلك الناحية، لاسيما بعد العملية التي قام بها فدائيون فلسطينيون في ميونخ، بتاريخ ٦ أيلول ١٩٧٢، التي استهدفت وفداً رياضياً (إسرائيلياً)، ذهب للمشاركة في دورة الألعاب الاولمبية في ميونخ، وما صاحبها من رد فعل (إسرائيلي) عنيف على مناطق حدودية عديدة من البلدان العربية، وقد

لقيت تلك السياسة الانتقامية (الإسرائيلية)، دعماً مطلقاً من قبل الولايات المتحدة، مما جعل القيادة المصرية تراجع حساباتها مع الاتحاد السوفيتي^(٢).

أما الاتحاد السوفيتي فإنه قرر التعاون مجدداً في المجال العسكري مع مصر وتزويدها بأسلحة جديدة، لاعتباره بان مخاطر تسهيل القيام بهجوم عربي محدود، تعد اقل من الخسائر التي تترتب على امتناعه عن تزويد الجانب العربي بالأسلحة، وعدّه مقصراً في مسألة دعم الدول العربية في تحقيق هدفها الأول وهو الدثار لهزيمة ١٩٦٧^(٣).

وفي تشرين الثاني ١٩٧٢ سافر وفد مصري إلى الاتحاد السوفيتي لغرض إنهاء إجراءات الصفقة العسكرية، التي اتفق عليها رئيس الوزراء المصري في زيارته الأخيرة لموسكو، والتي بلغت قيمتها نحو ٢٠٠ مليون دولار. وبحلول كانون الأول ١٩٧٢، حل موعد انتهاء مدة اتفاقية التسهيلات البحرية بين مصر والاتحاد

1) (Ilana Dimant Kass "The Soviet military and Soviet policy in the Middle East 1970-1973), Soviet studies, VOL. 26, NO. 4, October, 1974), p.519.

(٢) فريدمان، المصدر السابق، ص ١٦٢.

(٣) مانغولد، المصدر السابق، ص ٣٣٦.

السوفيتي الموقعة في عام ١٩٦٨ ولمدة خمس سنوات، يتم بمقتضاها منح تسهيلات بحرية للأسطول السوفيتي على الموانئ المصرية في البحر المتوسط، فما كان من الحكومة المصرية، إلا أن أصدرت قراراً في ١٢ كانون الأول ١٩٧٢، يفضي بتجديد الاتفاقية لمدة خمس سنوات أخرى^(١). وذلك لإثبات أن مصر لا ترغب في مقاطعتهم، وبالمقابل عدت الحكومة السوفيتية تجديد الاتفاقية بمثابة (خطوة تصحيحية) على طريق إعادة العلاقات إلى مجراها الطبيعي مع مصر، ومن ثم أضحى إجراء تجديد تلك الاتفاقية، بادرة من بواذر حسن النية التي اتبعتها الحكومة المصرية بهدف إعادة العلاقات بين البلدين إلى سابق عهدها^(٢).

وفي أواخر شهر كانون الثاني ١٩٧٣ تم الاتفاق على تحديد يوم ٧ شباط ١٩٧٣، موعداً لزيارة يقوم بها وفد مصري إلى الاتحاد السوفيتي^(٣) وخلال الفترة من ١٠-٧ شباط، قام محمد حافظ إسماعيل، (مستشار الرئيس المصري لشؤون الأمن القومي) بزيارة للاتحاد السوفيتي، وبعد استقباله من قبل الحكومة السوفيتية، جرى

(1) Vaagan, Op. Cit., p.114.,

وعلى الرغم من بواذر تحسن العلاقات بين البلدين، وموافقة القيادة السوفيتية في ١ تشرين الثاني ١٩٧٢، على إرسال صواريخ من طراز (سام - ٦)، لمصر، إلا أن الحكومة المصرية صرحت في ٢٠ كانون الأول ١٩٧٢، بأن العلاقات مع السوفيت لازالت متأزمة، لرفضهم منح مصر المعونة العسكرية اللازمة لتحرير الأراضي العربية وإزالة آثار العدوان، مجلة السياسة الدولية، العدد (٤٥)، السنة الثانية عشرة، ١٩٧٦، ص ٢٣٢. وربما كانت هذه التصريحات المصرية من قبيل توجيه الضغوط على الجانب السوفيتي بهدف دعم مصر بالسلاح على نحو خاص.

(٢) محمد موسى آل طويرش: تاريخ العلاقات الدولية من كندي حتى غورباتشوف ١٩٦١-١٩٩١، ط ٢، دار المرتضى، (بغداد، ٢٠٠٨)، ص ١١٠-١١١؛ فاسلييف، روسيا في الشرقين، ص ١٤٣.

(٣) إسماعيل، المصدر السابق، ص ٢٢٨. على الرغم من تلك التطورات الايجابية في العلاقة

المصرية - السوفيتية، إلا أن ما يثير الدهشة، هو ذلك التناقض الذي مارسته الحكومة المصرية في شأنها الداخلي. ففي ٤ شباط ١٩٧٢، أصدر السادات بياناً، قام فيه بإسقاط العضوية عن أكثر من ٦٤ عضواً في الاتحاد الاشتراكي، كان غالبيتهم من اليساريين المصريين، ولم يعودوا إلى أماكن عملهم إلا في ٢٨ أيلول ١٩٧٣، وقد يكون ذلك الموقف دليلاً على دخول الحكومة المصرية في مرحلة الصدام مع المتفكرين والمفكرين (التقدميين) في وقت ازدادت فيه المعارضة الداخلية لصمت النظام المصري وعدم دخوله الحرب المرتقبة مع (إسرائيل). حمروش، غروب يوليو، ص ١٥٥؛ شكري، الثورة المضادة في مصر، ص ١٥١.

النقاش في المحادثات التي تمت بين الجانبين حول الوضع الراهن في الشرق الأوسط آنذاك، واتفق الجانبان على ان تعنت (إسرائيل)، و عدم التزامها بقرارات مجلس الأمن يعد السبب الرئيسي في التوتر الحاصل في المنطقة، وإزاء ذلك فان للدول العربية كل الحق في استخدام أي شكل من أشكال النضال في سبيل تحرير أراضيها^(١).

وقد أعطت تلك الزيارة مؤشراً على وجود نهاية صريحة وحاسمة لفترة التوتر بين موسكو والقاهرة. وجاء في التقرير الذي أعده محمد حافظ إسماعيل عن تلك الزيارة: ان الجانب المصري توصل إلى فهم متطابق مع الجانب السوفيتي حول كيفية العمل في المرحلة المقبلة، كما تم الاتفاق على إعادة جدولة الديون المصرية، وتأكيد استمرار الاتصالات وتبادل الآراء والمعلومات^(٢).

وقد تحدث السادات فيما بعد عن تلك الزيارة وعن زيارة الفريق أول محمد إسماعيل (وزير الحربية المصرية)، (٢٧ شباط - ٢ آذار ١٩٧٣) والتي سنتطرق إليها لاحقاً، قائلاً ((اننا وضعنا بهاتين الزيارتين علاقاتنا الودية مع الاتحاد السوفيتي في إطارها الصحيح))^(٣).

لقد أبدى الاتحاد السوفيتي تفهمه الكامل للموقف الذي تتخذه مصر في رفضها الحازم لكل خطط التسوية الجزئية، وأعلن الاتحاد السوفيتي، انه سيواصل تقديم دعمه السياسي والاقتصادي لمصر وسعيه في تعزيز قدرتها العسكرية، وفقاً لبنود معاهدة الصداقة والتعاون المصرية - السوفيتية^(٤).

(١) صحيفة الأهرام، العدد ٣١٤٧٤، ١١/٢/١٩٧٣.

(٢) ينظر: إسماعيل، المصدر السابق، ص ٢٤٢.

(٣) "بيان الرئيس أنور السادات، امام المؤتمر المشترك للجنة المركزية ومجلس الشعب في ٢٦ آذار ١٩٧٣"، مجموعة خطب وأحاديث الرئيس محمد أنور السادات في الفترة من يناير - ديسمبر ١٩٧٣، بمناسبة العيد الثالث والعشرين لثورة يوليو ١٩٥٢، ج٣، مطابع الهيئة العامة لاستعلامات، (القاهرة، ١٩٧٣)، ص ٨٢.

(٤) نشرة وكالة (نوفوستي) الصحافية العدد ٢٠١٤، ١٤/٢/١٩٧٣، ص ٢.

وأعرب الجاذبان عن رغبتهما في تعزيز علاقات الصداقة، مؤكدين أهمية ممارسة الاتصال المنتظم بين حكومتي البلدين بهدف تبادل الآراء وتنسيق الأعمال الخاصة بالمواضيع التي تهم البلدين^(١).

وتعزيراً لذلك قام الفريق أول محمد إسماعيل (وزير الحربية المصري)، خلال الفترة ٢٧ شباط - ٢ آذار ١٩٧٣ بزيارة للاتحاد السوفيتي، وقد استقبل الوزير المصري استقبالاً عسكرياً رسمياً، ويبدو ان المباحثات في تلك الزيارة كانت تدور حول التعاون العسكري^(٢). وقد نجح الفريق أول إسماعيل في إقناع الحكومة السوفيتية بالموافقة على عقد صفقة أسلحة جديدة مع مصر، تتضمن كميات كبيرة ومتنوعة من الأسلحة^(٣).

لم تكن أهمية تلك الصفقة بكمية السلاح المرسل فقط، بل في تعقيده وتنوعه، فأول مرة يرسل الاتحاد السوفيتي كميات كبيرة من الأسلحة الهجومية، إذ تضمنت الصفقة عدداً إضافياً من قاذفات (تي يو ١٦) المسلحة بالصواريخ الجاهزة للإطلاق، كما اشتملت الصفقة على عدد محدود من صواريخ أرض - أرض يتراوح أجمالها بما يقرب من ٣٠ صاروخاً، وضعت تحت إدارة الحكومة المصرية المباشرة، على الرغم من بقاء صيانتها وتشغيلها جزئياً في أيدي الخبراء السوفيت^(٤).

كما شملت شحنات الأسلحة السوفيتية كذلك ما يقرب من ٦٠٠ دبابة إضافية وأكثر من ٢٥٠ ناقلة جنود مصفحة، وصواريخ ضد الدروع والطائرات، فضلاً عن ٥٠ قاذفة صواريخ مضادة للدروع (مالوتكا)، ومدافع ميدان عيار ١٨٠ ملم، وبذلك

(١) "بيان مصري - سوفيتي مشترك بمناسبة زيارة السيد محمد حافظ إسماعيل مستشار رئيس جمهورية مصر العربية للأمن القومي، للاتحاد السوفيتي"، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٣، ط١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية (بيروت، ١٩٧٦)، ص ٥٣.

(٢) صحيفة الأهرام، العدد ٣١٤٩٠، ٢٧/٢/١٩٧٣.

(٣) يشير إسماعيل فهمي (وزير الخارجية المصري السابق) في مذكراته إلى ان الفريق أول احمد إسماعيل كان على علاقة قوية برئيس جهاز المخابرات السوفيتية المدعو (انديوف)، منذ ان كان وزير الحربية المصري رئيساً للاستخبارات العسكرية المصرية عام ١٩٧١، وان ذلك لعب دوراً كبيراً في نجاح مباحثاته مع الحكومة السوفيتية وحصوله على الأسلحة المطلوبة.

Ismail Fahmy, Negotiating for peace in the Middle East, by Billing and Sons LTD, (London, 1983), p.9.

(4) Glassman Op. Cit, p. 99.

فان تلك الصفقة قد أكسبت مصر، فضلاً عن زيادة قدراتها على تهديد (إسرائيل) استراتيجياً، زيادة في قدرتها الهجومية^(١).

هناك من يرى ان من أسباب الموافقة السوفيتية على تسليم مصر أسلحة حديثة يتمثل في محاولة القيادة السوفيتية تفادي الاتهام العربي لها بالتقصير في مسألة تسليح حلفائها، والتخلي عنهم في الأزمات، كما ان السوفيت حاولوا اختبار بعض أسلحتهم الحديثة بعد ان أدركوا إصرار القيادة المصرية على خوض الحرب المرتقبة^(٢).

وقد يكون وصول تلك الأسلحة لمصر عاملاً مهماً في قرار الحكومة المصرية بشن الحرب ضد (إسرائيل). فعلى اثر وصول تلك الأسلحة أجرى الرئيس المصري تغييراً وزارياً يوحى بالتهيو لصراع جديد مع (إسرائيل)، عندما عين عزيز صدقي مساعداً لرئيس الجمهورية وتولى هو رئاسة الوزارة في ٢٧ آذار ١٩٧٣^(٣).

وبعد تلك التطورات الايجابية عادت العلاقات المصرية السوفيتية إلى سابق عهدها. وفي مطلع نيسان ١٩٧٣، أكد الكسي كوسيجين (رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي) في مؤتمر صحفي، على حق مصر في إعداد جيش قوي لتحرير أراضيها المحتلة، وعندما سئل كوسيجين عن استئناف علاقة الاتحاد السوفيتي بـ (إسرائيل) أجاب بان الاتحاد السوفيتي لا يمكنه استئناف العلاقات الدبلوماسية مع (إسرائيل) ((لأننا لا نستطيع ان نعامل كلاً من المعتدي وضحية العدوان بنفس الطريقة))^(٤). وفي الوقت نفسه أعربت الحكومة المصرية عن رضاها التام تجاه الموقف السوفيتي، مؤكدة على ان السوفيت يقدمون لمصر كل ما بوسعهم من مساعدة^(٥).

وفي ٢٧ أيار ١٩٧٣ وبمناسبة حلول الذكرى الثانية لتوقيع معاهدة الصداقة والتعاون المصرية – السوفيتية، تبادل الجانبان برقيات التهئة بذلك المناسبة، وجاء

(١) مانغولد، المصدر السابق، ص ٣٣٥؛ خليل الياس مراد العبدلي، الصراع المصري الصهيوني ١٩٦٧-١٩٧٣، أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، (بغداد، ٢٠٠٠)، ص ١٥٦.

(2) William B. Quandt "Soviet policy in The October Middle East War – I" International Affairs, Vol. 53, No. 3, (Jul, 1977), p.381.

(٣) حمروش، غروب يوليو، ص ١٥٦

(٤) نقلاً عن: صحيفة الأهرام، العدد ٣١٥٢٨، ١٩٧٣/٤/٦.

(5) Glassman, Op. Cit., p.99.

في برقية الحكومة السوفيتية ((باسم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، وباسم هيئة رئاسة مجلس السوفيت الأعلى، وباسم الحكومة السوفيتية وبالأصالة عن أنفسنا، نبعث إليكم وإلى شعب وحكومة جمهورية مصر العربية بأصدق التهاني، وأطيب التمنيات، بمناسبة العيد الثاني لتوقيع اتفاقية الصداقة والتعاون بين بلدينا، وهي تعبير عن تطور العلاقات السوفيتية - المصرية، وتجسيد لإرادة الشعبين السوفيتي والمصري، اللذان يهدفان إلى تدعيم وتطوير التعاون النافع للطرفين في المجالات السياسية، والاقتصادية، والثقافية وغيرها من المجالات))^(١).

وردت القيادة المصرية ببرقية جاء فيها ((... يسرني ان انوه على ان هذه المعاهدة قد دعمت عرى التعاون بين بلدينا في شتى المجالات، وأكدت دور الشعب السوفيتي، وقيادته في مناصرة قضايا التحرر، ومساندة الشعوب العربية وتأييدها التام لها في نضالها المشروع ضد الصهيونية))^(٢).

وقد تطرقت الصحافة السوفيتية لتلك المناسبة، إذ أشارت صحيفة برافدا إلى ان تلك المعاهدة رسخت العلاقات الودية التي كانت قائمة بين البلدين في شتى المجالات، وفتحت أفقا جديدة لتوسيع تلك العلاقات، وأكدت صحيفة الصناعة الاشتراكية (السوفيتية) على ان المعاهدة هي ثمرة تعاون سنين عديدة بين البلدين، وقد أتاحت إمكانيات جديدة، لمواصلة تطوير الروابط العامة بين البلدين^(٣).

وخلال الفترة ٢٧-٢٩ أيار ١٩٧٣، قام محمد حسن الزيات (وزير الخارجية المصري)، بزيارة للاتحاد السوفيتي، وأثناء المباحثات التي تخللت تلك الزيارة، استعرض الجانبان مراحل تطور العلاقات المصرية - السوفيتية، مؤكدين على ضرورة دعمها، بوصفها أهم عوامل النضال ضد (إسرائيل)، والقوى العالمية المؤيدة لها^(٤).

(١) نقلاً عن: صحيفة الاخبار (القاهرة)، العدد ٦٥٣٢، ٢٩/٥/١٩٧٣.

(٢) نقلاً عن: نور محمد خولوف، جينادي جارياتشكين، روسيا ومصر، صداقة ممتدة، ط١، (الإسكندرية، ٢٠٠٤)، ص ١٩.

(٣) نقلاً عن: نشرة وكالة (نوفوستي) الصحافية، العدد ٢٠٩١، ٢٨/٥/١٩٧٣.

(٤) صحيفة الاخبار، العدد ٦٥٣٣، ٣٠/٥/١٩٧٣.

كما تناولت المباحثات تبادل واسع للأراء حول الوضع في الشرق الأوسط، وأكد الاتحاد السوفيتي موقفه السابق تجاه توتر الأوضاع في المنطقة، وان السبب الرئيس في ذلك هو سعي (إسرائيل)، إلى تكريس احتلالها للأراضي العربية في توسيع أراضيها على حساب البلدان المجاورة، وهي بذلك تشكل تهديداً خطيراً للسلام والأمن في الشرق الأوسط^(١).

ان التأييد السياسي السوفيتي للمطالب العربية في تلك الزيارة لا يمثل جديداً في الموقف السوفيتي، بل هو تكرار لما أعلنه السوفيت في زيارات ومؤتمرات قمة سابقة، وان ما يهم الحكومة المصرية في علاقاتها مع السوفيت هو الحصول على اسلحه هجومية سوفيتية كافية لدخول حرب جديدة مع (إسرائيل) بغية إزالة آثار العدوان. وبعد وصول دفعات من تلك الأسلحة ابتداءً من آذار ١٩٧٣، أصبح بمقدور القيادة المصرية خوض حرب محدودة مع (إسرائيل) وعندما انعقد مؤتمر القمة الثاني بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي خلال الفترة ٢٣-٢٥ حزيران ١٩٧٣، تبين للحكومة المصرية بان المؤتمر لم يعنَ فعلاً بالوضع المتأزم في الشرق الأوسط، مما سيعنى ذلك مزيداً من الاستمرار في الحالة التي وصفت آنذاك بـ (حالة اللاسلم واللاحرب)، وذلك ما يفقد مصر زمام المبادرة السياسية والعسكرية في آن واحد^(٢).

ان ما تلقته مصر من الأسلحة السوفيتية خلال الفترة ما بين كانون الأول ١٩٧٢ وحزيران ١٩٧٣، يفوق ما تلقتة منها خلال السنتين السابقتين^(٣). وخلال النصف الأول من عام ١٩٧٣ كانت الاستعدادات العسكرية العربية للمعركة مستمرة في كل من القاهرة ودمشق وعلى الرغم من مراعاة الأسرية المطلقة الا انه كانت

(١) "بيان مصري - سوفيتي مشترك، بمناسبة زيارة الدكتور محمد حسن الزياد، وزير الحربية المصري للاتحاد السوفيتي"، الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٧٣، المصدر السابق، ص ١٧٨.

(٢) ان البيان المشترك الصادر عن ذلك المؤتمر في ٢٥ حزيران ١٩٧٣، لم يعط إلا فكرة ضئيلة عن مضمون المباحثات، وفيما يتعلق بالشرق الأوسط، فقد اقتصر الصياغة على القول بان الطرفين اتفقا على المضي في بذل جهدهما للوصول إلى تسوية في الشرق الأوسط، بأسرع ما يمكن. مينا ملاك عازر، علاقة مصر مع القوتين الأعظم في الفترة من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٧، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٩، ص-ص ١٧٦-١٧٧.

(٣) هيك، الطريق إلى رمضان، ص ١٦٤؛ صلاح العقاد، السادات وكامب ديفيد، ص ٩٩.

هناك بلا شك، مظاهر وتحركات لا يمكن إخفاؤها، نظراً لضخامة الاستعدادات التي تجريها الدولتان^(١).

وفي ١١ تموز ١٩٧٣، قام محمد حافظ إسماعيل، (مستشار الحكومة المصرية للأمن القومي)، بزيارة للاتحاد السوفيتي لإجراء محادثات و صفت بأنها صريحة وودية، وكان إسماعيل مخولاً من القيادة العسكرية المصرية بان يستعجل الجانب السوفيتي في إرسال الأصناف التالية من الأسلحة: لواء صواريخ (R 17E) وسرب الاستطلاع والإعاقة الالكترونية، و ٤ طائرات ميج ٢٥، وقد وافق الجانب السوفيتي على ذلك و حدد يوم ١٣ تموز موعداً لوصول الجنرال السوفيتي (سابكوف) ومعه خمسة ضباط سوفيت لأجراء الترتيبات اللازمة لاستقبال معدات اللواء (R 17E)، كما وعد الجانب السوفيتي الجانب المصري بأنه خلال فترة ٨-١٠ أيام سوف يصل إلى مصر ٦٣ خبيراً سوفيتياً يعود منهم ٢٦ خبيراً بعد تسلم معدات اللواء ويبقى في مصر الـ ٣٧ الآخرين لتدريب الأفراد المصريين^(٢).

وبعد عودته صرح إسماعيل، بان مصر والاتحاد السوفيتي، قد توصلا إلى اتفاق شامل حول علاقتهما في المستقبل، وفي تقييمهما للموقف في الشرق الأوسط، وخلال تلك الزيارة أكد برجذيف استمرار الدعم العسكري السوفيتي لمصر، مع تأكيده على أولوية الحل السلمي لمشكلة الشرق الأوسط. وعلى اثر تلك الزيارة وفي اجتماع لمجلس الوزراء المصري، أكدت القيادة المصرية على التمسك بالصدقة السوفيتية، إلا أنها رفضت كل ما يتعلق بالحل السلمي للمشكلة^(٣).

ويظهر ان الحكومة المصرية أرادت من وراء تلك الزيارة ان توضح للحكومة السوفيتية أبعاد المواجهة العسكرية التي كانت مصر تعتزم الإقدام عليها، ولكن رد الفعل السوفيتي لم يكن ودياً ولا متجاوباً، كما أوحى بذلك التعليقات السوفيتية الرسمية التي صدرت بمناسبة تلك الزيارة^(٤).

(١) رياض، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٣٣.

(٢) الشاذلي، المصدر السابق، ص ١٦٦.

(٣) إسماعيل، المصدر السابق، ص ٢٨٥.

(٤) نقلاً عن: مقلد، المصدر السابق، ص ٣٤٨.

ولم تكن القيادة المصرية راضية تماماً عن نتائج تلك الزيارة، وحذر الرئيس المصري، الحكومة السوفيتية في خطاب له ألقاه يوم ٢٣ تموز ١٩٧٣، مؤكداً فيه على أن سياسة الوفاق الدولي ستؤدي إلى عزل الاتحاد السوفيتي عن حركات التحرر الوطني في المنطقة^(١).

كان مبعث قلق الاتحاد السوفيتي من نشوب حرب جديدة في المنطقة ناتج عن مصدرين يتمثل الأول في أن السماح لـ (إسرائيل) بالحق هزيمة عسكرية جديدة بالعرب، سوف يقدم برهاناً عملياً على عدم فاعلية الدعم العسكري السوفيتي للعرب، وذلك يعني نهاية الدور السوفيتي في المنطقة العربية، بصورة لا رجعة فيها. إما المصدر الثاني لقلق السوفيت، فقد تمثل في خوفهم من أن تؤدي تلك المواجهة العسكرية الكبرى في الشرق الأوسط إلى توتر في علاقاتهم الحديثة العهد مع الغرب، والتي أخذت في الآونة الأخيرة مذحى التفاهم حول مجموعة من القضايا الأساسية التي استأثرت باهتمام الحكومة السوفيتية، وفي طليعتها قضية ضبط سباق التسلح الاستراتيجي بين الجانبين^(٢).

وكانت الحكومة المصرية عازمة على خوض حرب مع (إسرائيل) خلال عام ١٩٧٣ بغض النظر عن موافقة الأطراف الدولية أو رفضها، فالموقف الداخلي أصبح حرجاً ولا يسمح بالتأجيل، كما أن طول فترة الاستعداد والتدريب دون الإقدام على حرب، ترك داخل القوات المسلحة المصرية حالة من الملل والتذمر^(٣).

وبعد حصول مصر على بعض الأسلحة الهجومية السوفيتية التي تمكنها من خوض تلك الحرب، أصبح الدعم السوفيتي في آخر أولويات السياسة المصرية. ففي ٢٣ تموز ١٩٧٣، أعلن الرئيس المصري أن سياسة مصر تتركز في ثلاثة نقاط:

(١) خطاب الرئيس أنور السادات بمناسبة عيد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، مجموعة خطب وأحاديث الرئيس محمد أنور السادات، ج ٣، المصدر السابق، ص ٢٦١.

(٢) مقلد، المصدر السابق، ص ٣٤٨.

(٣) من مظاهر ذلك التذمر قيام أمر الفرقة الميكانيكية (٢٣)، في ١٢ تشرين الأول ١٩٧٢ بقيادة وحدة من السيارات الميكانيكية إلى مسجد الحسين، مخترباً بوحدته شوارع العاصمة دون أن تكون هناك أوامر بتحريك هذه الفرقة، وحين ألقي القبض عليه كان مطالبه هو أن الوقت قد حان لدخول المعركة مع (إسرائيل)، إبراهيم سطوح، نهاية حكم العسكر، دار الشباب، القاهرة، (١٩٩٣)، ص ١٥١.

الأولى هي القوة الذاتية المصرية، والثانية هي الإمكانيات العربية الكبيرة، والثالثة هي الدعم السوفيتي سياسياً وعسكرياً^(١). ومع ذلك لم يكن امام الحكومة المصرية أي خيار آخر في المجال العسكري غير التعاون مع الاتحاد السوفيتي على الرغم من نفورها الشديد منه، ومن هنا كان ذلك الفصل الأخير من فصول التعاون المصري – السوفيتي، قبل حرب تشرين ١٩٧٣، واثنائها والذي سيؤدي مع ذلك إلى إنهاء التواجد السوفيتي في مصر^(٢).

وفي آب ١٩٧٣ دخلت الحكومة السوفيتية في حوار مع الحكومة المصرية حول نية الأخيرة الدخول في حرب مع (إسرائيل) وحاول السوفيت إقناع الرئيس المصري، بأن الحرب ليست ضرورية لاستعادة الأراضي العربية المغتصبة طالما ان الوقت ليس في صالح العرب، وأضافوا بأنه عن طريق استخدام سلاح البترول بحكمة يمكن إرغام (إسرائيل) على الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة، وان على العرب انتظار نتائج الوفاق الأمريكي – السوفيتي^(٣).

ويبدو ان الحكومة المصرية لم تقتنع بتلك الحجج السوفيتية بل أخذت تدسّق موقفها مع الأطراف العربية، استعداداً للحرب، ولإيمان الحكومة المصرية بأهمية تدسيق جهودها مع كل من المملكة العربية السعودية وسوريا والعراق الذي كان لسرب طائراته (الهوكر هنتر)، الذي ساهم في الضربة الجوية العربية الأولى، سمعة عالية في حرب تشرين^(٤).

وخلال شهر آب ١٩٧٣ قام الرئيس المصري برحلتين سريتين إلى كل من المملكة العربية السعودية والجمهورية السورية، عاد من الأولى بوعد بمنح مصر

(١) ينظر: خطاب الرئيس أنور السادات بمناسبة العيد الثالث والعشرين لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، في مجموعة خطب وأحاديث الرئيس محمد أنور السادات، ج ٣، المصدر السابق، ص ٢٤٨.

(٢) قرم، المصدر السابق، ص ٢٥٥.

(٣) فريدمان، المصدر السابق، ص ١٨٣.

(٤) معلومة أفادنا بها الأستاذ المشرف نقلاً عن مصدر موثوق به؛ الشاذلي، المصدر السابق، ص ٢٠٢.

قرضاً قيمته مليار دولار، ووضع مع الثاذية خطط الإستراتيجية العسكرية المنسقة بين البلدين استعداداً للحرب المقبلة^(١).

ويظهر ان الحكومة السوفيتية باتت مقتنعة عند تلك المرحلة، ان الرئيس المصري لم يكن مستعداً بحال من الأحوال للتراجع عن قراره بالحرب، ولذا فأنهم قرروا ان يسايروه على مضض، وان يزيّدوا من دعمهم العسكري له تجذباً لنتائج امتناعهم عن دعم القضية الفلسطينية، وما سيراقد ذلك من خسارة للدور السوفيتي في المنطقة^(٢).

وخلال تلك الفترة حافظت الحكومة المصرية على صلاتها بالحكومة السوفيتية لكنها كانت (حسب وجهة النظر السوفيتية) صلات مفككة ومتباعدة، يشوبها الفتور وينقصها الوضوح والاخلال^(٣). ويظهر ان إدراك الجانب السوفيتي بحتمية إقدام الجانب المصري على خوض غمار الحرب مهما يكن الثمن - لان النظام المصري ما عاد بوسعه ان يتحمل الانتظار - دفع بالسوفيت إلى تسليم مصر عتاداً عسكرياً مهماً لكي لا يخسروا بصورة نهائية جدوى جهود كبيرة بذلوها على مدى عشرين سنة في المنطقة^(٤).

وخلال شهري آب وأيلول ١٩٧٣، قام الاتحاد السوفيتي بإرسال أعداد كبيرة من صواريخ نوع (سكود) متوسطة المدى، التي كانت القيادة المصرية بحاجة ماسة لها قبل بدأ حربها مع (إسرائيل)، نظراً لفاعليتها الرادعة، ولانها كانت تؤمّن سبل الحماية الضرورية للمدن المصرية ضد الهجمات الجوية (الإسرائيلية)^(٥).

(١) سمير احمد سيد، السادات وصفحاته المجهولة، فاروس للنشر والتوزيع، (القاهرة، ٢٠١٠)، ص ٥٤؛ الجمل، المصدر السابق، ص ٨٨. هناك من يرى ان السادات كان أكثر نجاحاً من عبد الناصر في بناء تحالف من الأنظمة اليمينية واليسارية، وبما انه كان شخصية اقل جاذبية سياسية من ناصر، فانه كان اقل عرضة للاتهام بالطموح نحو السيطرة والزعامة. المسح الاستراتيجي ١٩٧٣، (حرب تشرين وقضايا إستراتيجية عالمية) إعداد المعهد الدولي للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٧)، ص ٣٠.

(٢) ممدوح منصور، الصراع الأمريكي - السوفيتي في الشرق الاوسط، ص ٤٢٠.

(٣) فينو غرادوف، المصدر السابق، ص ٧٣.

(٤) قرم، المصدر السابق، ص ٢٥٥.

(5) Glassman, Op. Cit., p.101.

وبعد ان توافر لدى القيادة المصرية من الأسلحة، ما يجعلها قادرة على خوض الحرب مع (إسرائيل) ونتيجة لخرج الوضع الداخلي المصري والضغط المختلفة التي تعرضت لها القيادة المصرية لخوض الحرب، التي باتت أمراً لا يقبل التأجيل والانتظار. نتيجة لكل ذلك اقبلت القيادة المصرية في ٦ تشرين الأول ١٩٧٣، على خوض جولة جديدة مع (إسرائيل)، هدفت القيادة المصرية من ورائها، إلى تحريك الوضع الراهن أو ما كان يعرف بحالة (اللاسلم واللاحرب)، ومن ثم كانت القيادة المصرية تطمح إلى ان تشكل الحرب نوعاً من الضغط يساهم في فتح أفق جديدة للحوار مع (إسرائيل) والوصول إلى تسوية سلمية ملائمة معها. كما ان شرعية النظام الحاكم باتت معرضة للخطر دون القيام بتلك الحرب المرتقبة، التي أراد السادات من ورائها دعم شرعيته التي ارتكز عليها فيما بعد، وساعدته في إجراء الكثير من التغييرات التي طرأت على سياسة مصر الداخلية والخارجية.

المبحث الثاني

حرب تشرين الأول ١٩٧٣ ونتائجها على العلاقات المصرية – السوفيتية

عندما لم تفلح اتصالات الحكومة المصرية، في إقناع الحكومة الأمريكية بالتحرك جدياً، لوضع حد لما بات يعرف بـ (الجمود الدبلوماسي) لمشكلة النزاع العربي- (الإسرائيلي)^(١). لم يعد هناك من بديل سوى الحرب، ويبدو ان هناك عوامل عدة أدت إلى اتخاذ الرئيس المصري قرار الحرب، كان أهمها، إتمام الاستعدادات العسكرية، وضغط القوات المسلحة المصرية من أجل الحرب، وقلق الجبهة الداخلية المصرية، بسبب ثقل المناخ النفسي لحالة (اللا سلم واللا حرب)، فضلاً عن كون استمرار الدعم العربي لمصر مرهوناً بالقدرة على التحرك ايجابياً نحو إيجاد حل للامنة^(٢).

ويبدو ان الحكومة المصرية أدركت ان القضية السياسية لن يحركها إلا عمل ايجابي قوي، وقررت ان تكون الحرب هي ذلك العمل الايجابي^(٣).

كان قرار الحرب في ٦ تشرين الأول ١٩٧٣، يتضمن شيئاً من المفاجأة، بحيث ان قلة قليلة فقط هي التي كانت تعتقد ان مصر ستقدم فعلاً على خوض الحرب مع (إسرائيل) وذلك لان مصر قد التزمت في المواجهات العسكرية السابقة بالموقف الدفاعي^(٤). كما لم يتصور احد إمكانية قيام حرب في ظل تدهور العلاقات العربية السوفيتية من جهة، والموقف الحازم الذي يتخذه الاتحاد السوفيتي، وهو يشهد مرحلة

(١) للتفاصيل حول سعي الحكومة المصرية في الوصول إلى حل لمشكلة النزاع العربي- (الإسرائيلي) عن طريق اتصالاتها مع الولايات المتحدة ينظر: غفار جبار جاسم حمادي الجنابي، السياسة الأمريكية تجاه مصر ١٩٧٠-١٩٧٣، رسالة ماجستير، كلية التربية جامعة تكريت، ٢٠٠٥، ص-ص ٧٧-٧٨.

(٢) حسن نافعة، مصر والصراع العربي – الإسرائيلي، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٩٨٦)، ص ٥٠.

(٣) صلاح السيد بيومي، الديمقراطية والقرار السياسي بين عبد الناصر والسادات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠٨)، ص ١٧٣.

(٤) الجمل، المصدر السابق، ص ٨٨؛ امين هويدي "٣٠ عاماً على حرب العاشر من رمضان"، مجلة العربي، (الكويت)، العدد (٥٤٠)، تشرين الثاني، ٢٠٠٣، ص ٢٠.

من التعايش السلمي، والوفاق مع الولايات المتحدة، في معارضة قيام أي حرب جديدة في الشرق الأوسط من جهة أخرى^(١).

ويبدو ان الحكومة المصرية قد ألمحت للاتحاد السوفيتي باحتمال قيام عمليات عسكرية، لكن بطريقة لا يبدو منها ذية مصر بالهجوم. ففي ٣ تشرين الأول ١٩٧٣، قامت الحكومة المصرية بإبلاغ الاتحاد السوفيتي عن وصول معلومات تفيد بان (إسرائيل) سوف تقوم بعملية إغارة على الأراضي المصرية^(٢).

وفي ٤ تشرين الأول ١٩٧٣، طلب السفير السوفيتي في القاهرة مقابلة الرئيس المصري، وأبلغه بان وجهة النظر السوفيتية تؤكد ان القرار الخاص بأية عمليات عسكرية، قراراً تتخذه الحكومة المصرية وحدها، وأضاف ان الاتحاد السوفيتي سيقدم لها العون والمساعدة، لكن الحكومة السوفيتية طالبت بسحب المستشارين المدنيين السوفيت وأسره من مصر^(٣). وقد وافق الرئيس المصري على ذلك، وطلب ان يتم الأمر بسرية وبشكل لا يثير الشكوك باقتراب موعد الحرب^(٤).

(1) John L. Scherer, "Soviet and American behavior During the yom Kippur war" world Affairs, Vol. 141, No. 1, (Summer, 1978), p.5. ٢٥٤. قزم، المصدر السابق، ص ٧٥؛
(٢) فينو غرادوف، المصدر السابق، ص ٧٥؛

El Sadat, Op. Cit, p.295.

يشير نيكولاي ابغلييف (الملحق العسكري في السفارة السوفيتية في مصر)، بأنه لم يعرف بأخبار الحرب إلا في ٦ تشرين الأول ١٩٧٣، لقاء مع نيكولاي ابغلييف، تم عرضه على قناة روسيا اليوم ضمن برنامج رحلة في الذاكرة، يوم الجمعة الموافق ١٧/١٠/٢٠٠٨، توقفت العرض: الساعة الثامنة مساءً.

(٣) يبدو ان تلك المعلومات تسربت إلى الجانب (الإسرائيلي)، وعلى اثر ذلك عقد اجتماع عاجل في (إسرائيل)، تداولت فيه الآراء حول، هل تعني مسألة سحب العائلات السوفيتية، اقترب قيام حرب جديدة في الشرق الأوسط، وكان هناك رأي يقول ان السوفيت سحبوا مستشاريهم وأسره بسبب تصاعد خلافاتهم مع الحكومة المصرية، ومع ذلك رأت الحكومة (الإسرائيلية)، ان تعلن التعبئة العسكرية على سبيل الاحتياط؛ ينظر: ايلي زعيرا، حرب يوم الغفران، الواقع يحطم الأسطورة، ط ١، ترجمة: توحيد مجدي. المكتبة الثقافية، (بيروت، ١٩٩٦)، ص-ص ١٨٩-١٩٥؛ فاروق الشاذلي، خبايا حرب أكتوبر، دار أخبار اليوم، (القاهرة، ١٩٩٩)، ص ٥٥.

(٤) ويشير السفير السوفيتي في القاهرة، إلى ان السوفيت استطاعوا في وقت قصير جداً، ترحيل (٢٧٠٠) طفل وامرأة سوفيتية، وبحدود ١٠٠٠ شخص آخر من ضمنهم عائلات السالك الدبلوماسي السوفيتي العاملون في السفارة السوفيتية في القاهرة، وخبراء من الدول الاشتراكية الأخرى، وتم ترحيلهم عن طريق طائرات ذات مواعيد إقلاع خاصة من مطار القاهرة، وكان

وعلى أية حال فإن القول بأن السوفيت كانوا قد فوجئوا بتوقيت قرار الحرب يعد قولاً منافياً للمنطق، ذلك لأن الإمدادات العسكرية الضخمة، ونوعية السلاح، وجدية التدريب، والاتصالات المتتابعة على أعلى المستويات، وتأكيد السوفيت على حق العرب في استخدام، الأساليب كافة، بما فيها العمل العسكري لتحرير الأرض، ثم الدعم العسكري السوفيتي لمصر والتأييد السياسي لها، والجسر الجوي بعد الحرب مباشرة، كلها أمور تدل على معرفة الجانب السوفيتي بقرب الحرب، وإن كانوا يجهلون توقيتها بالضبط^(١).

وفي ٦ تشرين الأول ١٩٧٣ نجحت القوات المصرية في عبور قناة السويس، وتمكنت في عملية اقتحام ناجحة، بدأت في الساعة الثانية ظهراً، من الاستيلاء على الجزء الأكبر من الشاطئ الشرقي للقناة، ولم يستطع الطيران (الإسرائيلي) على كثافة موجاته، أن يوقف تقدم القوات المصرية، أما السلاح الجوي المصري، فقد اشتبك مع الطائرات (الإسرائيلية) في معارك جوية في حين كانت القوات البحرية المصرية توجه ضرباتها نحو الأهداف (الإسرائيلية) المهمة على الساحل الشمالي لسيناء، معززة بذلك عبور القوات المصرية وموفرة لها الحماية الكافية^(٢).

- الدعم السوفيتي لمصر أثناء حرب تشرين ١٩٧٣ :

مع أن الاتحاد السوفيتي لم يكن راغباً في قيام الحرب خوفاً من تطور الأمور التي قد تؤدي نتائجها إلى المواجهة مع الولايات المتحدة. إلا أنه في الوقت ذاته لم يكن في مقدوره منع قيام الحرب، وكان يرغب في بقائها ضمن حدود معينة، بحيث تكون حرباً محدودة تساهم في إعادة الدور السوفيتي إلى المنطقة^(٣).

يدير أعمال الترحيل والإخلاء مجموعة خاصة من موظفي السفارة السوفيتية في مصر. فينو غرادوف، المصدر السابق، ص ٧٥.

(١) حمدان وآخرون، المصدر السابق، ص ٩٣.

(٢) حسين طنطاوي، العبور، مصر ارض التحدي، مطبوعات دار الشعب، (القاهرة، ١٩٧٣)، ص ١٢٤؛ حسن البدر وآخرون، حرب رمضان، الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة، أكتوبر ١٩٧٣، ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص-ص ٩٣-٩٤.

(٣) دانكوس، المصدر السابق، ص-ص ١٧٢-١٧٣.

وقد التزم الاتحاد السوفيتي منذ بداية الحرب، بتأييد الجانب العربي سياسياً ومعنوياً وعسكرياً، وقد سعى السوفيت بصورة عملية وجدية لمد الجانب العربي بكافة المساعدات والخبرات الفنية والعسكرية اللازمة، لتمكين الجيوش العربية من المحافظة، على المستوى القتالي المطلوب في مواجهة الجيش (الإسرائيلي)^(١). وفي ٨ تشرين الأول ١٩٧٣ صدر بيان رسمي سوفيتي تحدد فيه الموقف السوفيتي من الحرب، وأكد على مسؤولية (إسرائيل) في قيام تلك الحرب، وان البلدان العربية تقاتل دفاعاً عن حقوقها^(٢).

وفي ٩ تشرين الأول دعت الحكومة السوفيتية، الحكومة الجزائرية إلى مساعدة مصر وسوريا بكل السبل، كما أنشأت جسراً جوياً لنقل الأسلحة إلى البلدان العربية المساهمة في الحرب^(٣).

وفضلاً عن ذلك وضعت وحدات جوية سوفيتية وخمس ناقلات كبيرة من نوع (AN-22) قادرة على نقل أربعين - ستين طن من العتاد على أهبة الاستعداد، تحسباً لأي طارئ يحدث^(٤).

ومع إنشاء الجسر الجوي بدأ الاتحاد السوفيتي اكبر عملية لنقل الأسلحة عن طريق الجو، وقامت الطائرات السوفيتية من نوع (انطونوف-١٢) و (انطونوف-٢٢)، بما يزيد على ٩٠٠ طلعة جوية، لإيصال الأسلحة والمعدات الثقيلة والذخائر إلى مصر وسوريا، وكانت كميات اكبر بكثير من الشحنات تنقل عن طريق البحر إلا انها

(١) الحرب العربية - الإسرائيلية الرابعة، وقائع وتفاعلات، منشورات مركز الأبحاث، (منظمة التحرير الفلسطينية)، سلسلة كتب فلسطينية، تسلسل (٥٩)، (بيروت، ١٩٧٤)، ص-ص ١٨٣-١٨٤.

(٢) عبد الكريم درويش، ليلى تكللا، حرب الساعات الست، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٧٤)، ص ٤٩٢، كما تضمن البيان تأييداً للمطالب العربية بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧، وقد وصف ذلك التأييد بأنه بمثابة الضربة الأولى التي انزلها السوفيت بالإيديولوجية الأمريكية في الشرق الأوسط، علي محجوب وآخرون، مصر بعد العبور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٨٨)، ص ٣٢٦.

(٣) دانكوس، المصدر السابق، ص ١٧٤؛ سعد التائه، مصر بين عهدين [١٩٧٠-١٩٥٢] [١٩٨١-١٩٧٠]، ط١، دار النضال، (بيروت، ١٩٨٢)، ص ١٢٢.

(٤) وداد جابر غازي، موقف الاتحاد السوفيتي من الصراع العربي - الصهيوني حتى عام ١٩٧٣، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، (بغداد، ٢٠٠٣)، ص ١٢١.

أخذت بالوصول عند نهاية الحرب، كما نشر الاتحاد السوفيتي أسطولا في شرق البحر المتوسط، وصل عدد وحداته حتى أواخر تشرين الأول ١٩٧٣ إلى ٩٦ وحدة، من ضمنها ٣٤ سفينة حربية و ٢٣ غواصة^(١).

وخلال الفترة ٦-٩ تشرين الأول كانت القوات المصرية قد حققت نجاحاً في معركة القناة، وتمكنت من عبور مانع مائي صعب، ثم توقفت راضية بما أنجزته^(٢). ولكون النتائج الأولية للحرب في صالح الجانب العربي، كانت الحكومة السوفيتية راغبة في تلك الفترة بوقف عاجل لإطلاق النار، قبل ان يتطور الأمر، وتتغير نتائج الحرب لصالح (إسرائيل)، وبعد توقف القتال مؤقتاً على الجبهة المصرية، أصبح هناك ضغط (إسرائيلي) على الجبهة السورية، وهناك من يشير إلى ان اتفاقاً حصل بين الحكومة السورية والحكومة السوفيتية، على ان يتدخل السوفيت لوقف إطلاق النار، بعد قيام الحرب بفترة قصيرة. وفي ٨ تشرين الأول أبلغت القيادة السوفيتية، الرئيس المصري بان القيادة السورية تمارس ضغطاً كبيراً على الاتحاد السوفيتي للحصول على وقف لإطلاق النار. ونظراً لشكوك القيادة المصرية، وللتأكد من صحة الموضوع، أبلغت القيادة المصرية نظيرتها السورية، بذلك المعلومات، وطلبت منها تأكيدها، إلا ان القيادة السورية نفت صحة تلك المعلومات^(٣).

وفي ٩ تشرين الأول استدعى الرئيس المصري، السفير السوفيتي في القاهرة، وابلغه بان القيادة السورية نفت طلبها وقف إطلاق النار، بل انها أعلنت، ان الوضع

(١) فاسليف، روسيا في الشرقين، ص ١٤٥؛ نورهان الشيخ، السياسة الروسية تجاه الشرق الاوسط في القرن الحادي والعشرين مركز الدراسات الاوربية، جامعة القاهرة، (القاهرة، ٢٠١٠)، ص ٨٦.

(٢) يوسف كعوش، الدروس المستفادة من الحروب العربية - الإسرائيلية، ١٩٤٧-١٩٨٦، ط ١، (عمان، ١٩٧٨)، ص ٦٣، عرفت تلك الوقفة بـ (الوقفة التعبوية) استمرت من ٩-١٣ تشرين الأول ١٩٧٣، للتفاصيل ينظر: الشاذلي، المصدر السابق، ص-ص ٢٣٥-٢٤٣؛ مجموعة مؤلفين، حرب تشرين/ أكتوبر، وجهات نظر وتحليل، ترجمة: خليل إبراهيم حسين الزويعي، محمد نجم الدين النقشبندى، ط ١، بيت الحكمة، (بغداد، ٢٠٠٢)، ص-ص ١٨٩-١٩١.

(٣) عبد المنعم شمس، الاسادات من القرية إلى المنصة، دار نون للطباعة، (القاهرة، ٢٠٠٨)،

ص-ص ٥٤-٥٥؛ Fahmy, Op. Cit., p.26.

على الجبهة السورية مُرضٍ، وهكذا لن تقبل مصر وقف إطلاق النار في ذلك الوقت، وسوف تبلغ دمشق بذلك، وذلك ما أغضب القيادة السوفيتية إلى درجة كبيرة^(١).

ويشير إسماعيل فهمي (وزير الخارجية المصري السابق) في مذكراته إلى أن برجنيف وغروميكو أثارا تلك المسألة في حديث معه في وقت لاحق، إذ أعلنوا أنهما ذهلا لنفي الرئيس السوري طلب وقف إطلاق النار، وأوضحا أن لدى الاتحاد السوفيتي وثائق تثبت ذلك الطلب لأكثر من مرة^(٢).

وفي ١٠ تشرين الأول ١٩٧٣ كانت الحكومة السوفيتية تسعى بجدية للتوصل لقرار بوقف إطلاق النار، بعد أن دخلت العمليات العسكرية في حالة من الجمود، وتوقع السوفيت أن العرب لن يحققوا المزيد من المكاسب من ناحية تحرير الأرض، وكانت وجهة النظر السوفيتية تقتضي أن يتقدم طرف ثالث في مجلس الأمن بالدعوة لوقف إطلاق النار، ويقوم السوفيت بالامتناع عن التصويت، لتوفير غطاء مناسب لحفائهم العرب، لقبول القرار ولكي لا يبدو أن العرب هم الذين يطالبون بوقف إطلاق النار، وقد تعمدت الولايات المتحدة إهمال ذلك المقترح، من أجل إعطاء المزيد من الوقت لـ (إسرائيل) لتحقيق بعض التقدم العسكري، قبل التقدم بأي مشروع لقرار وقف إطلاق النار^(٣).

وخلال الفترة ١٠-١٢ تشرين الأول ركز السوفيت جهودهم نحو دعم عسكري للجبهة السورية، نظراً للموقف الحرج هناك، وفي ١٢ تشرين الأول نقل السوفيت ما يقرب من ٧٠٠ طن من العتاد إلى مصر وسوريا. وفي ١٣ تشرين الأول عبرت ميناء البسفور ٣ سفن سوفيتية كبيرة تحمل ما يقرب من ٧,٠٠٠ طن من المعدات العسكرية، كما تم نقل الطائرات من نوع ميج ٢١، و SA,5 إلى ميناء الإسكندرية^(٤).

وفي نفس اليوم (١٣ تشرين الأول) صرح المارشال غريشكو بأنه يجب على دول حلف وارشو، البقاء في حالة تأهب للقتال، في أعقاب اندلاع الحرب في الشرق

(1) Jonice Gross Stein, "Proxy wars: The Diplomacy of war Termination in The Middle East, International Journal, Vol, 35, NO. 3 (1980), p.507.

(2) Fahmy, Op. Cit., p.26.

(٣) ويليام بير، أسرار حرب أكتوبر في الوثائق الأمريكية، ترجمة: خالد داود، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٤)، ص ١٥٣.

(٤) ربابعة، المصدر السابق، ص ١٢٧.

الأوسط، وأذاع راديو موسكو بياناً جاء فيه ((ان الاتحاد السوفيتي التزم بموقفه المبدئي في دعم الشعوب العربية بكافة الوسائل ضد العدوان الامبريالي - الإسرائيلي، ولم يقف قط ضد استخدام البلدان العربية لكافة الوسائل بما في ذلك السلاح لتحرير أراضيها))^(١).

وفي ١٤ تشرين الأول ١٩٧٣ وصل إلى مصر ما يقرب من (٢٧٥) طناً من المعدات العسكرية. وفي يوم ١٥ تشرين الأول بلغت ما يقرب من (٣٢٥) طناً إلا انها انخفضت كثيراً يوم ١٦ تشرين الأول، إذ بلغت ما يقرب من (١٧٥) طناً، وان وصول رئيس الوزراء السوفيتي إلى مصر في ذلك اليوم لا يمكن اعتباره تعويضاً مناسباً للانخفاض الملحوظ في نسبة التسليح^(٢).

وعند التطرق للدعم العسكري السوفيتي للبلدان العربية في حرب تشرين تجدر الإشارة إلى مسألة هجرة اليهود السوفيت، التي أثارت الكثير من النقاش والجدل آنذاك، فبينما هناك من يرى ان الاتحاد السوفيتي الذي يقف مع العرب من خلال دعمه السياسي والعسكري لهم، يقف في الوقت ذاته مع (إسرائيل) من خلال إمدادها بمجموعات بشرية، تشكل بشكل أو بآخر إضافة جديدة للقوات المسلحة (الإسرائيلية)^(٣). وان تلك المجموعات البشرية من اليهود السوفيت شكلت أهم مصادر المادة البشرية الاستيطانية والقتالية لـ (إسرائيل)، إذ توجد بينهم نسبة عالية من الملتحقين بالجامعات والمتميزين علمياً ومهنيّاً حتى وصفوا بأنهم (نخبة علمية

(١) نقلاً عن: حمدان وآخرون، المصدر السابق، ص ٩٤؛ طاهر عبد الحكيم، حول حرب تشرين والتسوية الأمريكية، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٦)، ص ٢٠٧.
(٢) ملكو، المصدر السابق، ص ١٨٩. في تقرير لمركز العمليات في وزارة الخارجية الأمريكية جاء فيه ان الجهود السوفيتية من اجل إعادة تزويد الجانب العربي بالاسلح تضمنت خلال تلك الفترة القيام بـ (٤٠٠) رحلة جوية، ونقل ما يزيد عن خمسة آلاف طن من معدات الحرب، فضلاً عن قيام السوفيت بعمليات إمداد عن طريق البحر. ينظر:

Department of State Operations center Middle East, Task force situation, Report (36), situation Report in the Middle East as of 1800, EDT 16 Oct 1973, p.1.

(٣) ال طويرش، المصدر السابق، ص ١١٠؛ "مستقبل العلاقات السوفيتية - العربية"، ورقة مقدمة من الأستاذ سيف علي الجروان -وزير الاقتصاد والتجارة- دولة الإمارات العربية المتحدة، إلى (ندوة الحوار العربي - السوفيتي)، (القاهرة ١٤-١٥ يناير ١٩٨٩)، ص-ص ١٤، ١٤١.

متخصصة^(١). يرى البعض الآخر ان للاتحاد السوفيتي موقفاً ضمنياً يتمثل في مناهضة الهجرة إلى خارج الأراضي السوفيتية، إلا في حالات خاصة، مثل تلك التي تقوم على أساس (حق العودة إلى الوطن الأم)، أو وفق منطق إنساني قوامه وحدة الأسرة وجمع الشمل أو غير ذلك من الظروف الاستثنائية الأخرى^(٢).

وان الاتحاد السوفيتي يشترط في ظل ظروف الصراع العربي - (الإسرائيلي)، ان لا يكون المهاجر في سن وقدرة تسمحان له بحمل السلاح والقتال في الجيش (الإسرائيلي)^(٣).

وعلى أية حال وبغض النظر عن حجم تلك الهجرة^(*)، فهناك وجهات نظر أخرى تشير إلى ان قسماً من اليهود السوفيت كانوا يوصفون بضعف انتمائهم للحركة الصهيونية، وان توجهاتهم نحو الهجرة، كانت مدفوعة بدوافع مادية بالدرجة الأولى، وان تدسين أحوالهم المعاشية هو الدافع الرئيس وراء هجرتهم، وإنهم نتيجة ذلك كانوا يتعرضون إلى اضطهاد و عدااء (إسرائيلي)، وان المواطنين السوفيت كانوا يعاملون على انهم دخلاء على المجتمع (الإسرائيلي)^(٤).

لقد بذل الاتحاد السوفيتي جهوداً كبيرة في سبيل التوصل إلى وقف مبكر لإطلاق النار، خلال الفترة (٩-١٦) تشرين الأول ١٩٧٣، وفي الوقت الذي لم يتمكن فيه السوفيت من تحقيق وقف لإطلاق النار، فقد أدى عبور القوات (الإسرائيلية) لقناة

(١) عبد الوهاب المسيري، هجرة اليهود السوفيت، دار الهلال، (القاهرة، ١٩٩٠)، ص، ص ١٤١، ١٤٢.

(٢) سلافه حجاوي، اليهود السوفيت - دراسة في الواقع الاجتماعي، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، (بغداد، ١٩٨٠)، ص ١٤٧.

(٣) لطفي الخولي، ٥ يونيو، الحقيقة والمستقبل، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٤)، ص ٥٦٥.

(*) تقدرها بعض المصادر بـ ٢٧٠٠ مهاجر خلال عام ١٩٦٩ و ٢٠٠,٠٠٠ مهاجر خلال الفترة ١٩٧١-١٩٧٩ ينظر: حجاوي، المصدر السابق، ص ١٦١؛ تيسير النابلسي، حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، سلسلة دراسات فلسطينية (٩٠)، (بيروت، ١٩٧١)، ص، ص ٥٦، ٦٢.

(٤) لقاء مع الصحفي السوفيتي (قسنطين كاييتونوف) ضمن برنامج رحلة في الذاكرة، تم عرضه على قناة روسيا اليوم، في يوم الجمعة الموافق، ٢٤/٤/٢٠٠٩، توقيت العرض، الساعة الثامنة مساءً؛ ماجد الحاج، الشتات الروسي في إسرائيل، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، (فلسطين، ٢٠٠٨)، ص ١٢٢.

السويس، في يوم ١٦ تشرين الأول ١٩٧٣، وفتح ثغرة في صفوف القوات المصرية في منطقة الدفرسوار^(١). إلى تمسك السوفيت بموقفهم، وتأكيدهم على ضرورة الإسراع في الوصول إلى وقف عاجل لإطلاق النار. وفي ١٦ تشرين الأول زار الكسي كوسيجين (رئيس الوزراء السوفيتي)، القاهرة ليحدد مع الرئيس المصري خطاً مشتركاً للعمل، ويظهر ان زيارة كوسيجين كانت تهدف إلى استطلاع للرأي، من أجل الوصول إلى صيغة للسلام، وإقناع القيادة المصرية بضرورة التحرك للوصول إلى قرار بوقف إطلاق النار لان الحرب أخذت تسير في غير صالح العرب^(٢).

كان كوسيجين مكلفاً من القيادة السوفيتية بإبلاغ القيادة المصرية بان السوفيت لم يعودوا مستعدين لتعويض الخسائر الكبيرة في المعدات العسكرية المصرية، ومحاولة جلب انتباه السادات إلى ازدياد الأحجام الأمريكي في اتخاذ إجراءات صارمة لإيقاف الحرب. والتأكيد على ان السوفيت لن يكونوا طرفاً في الحرب^(٣).

اقترح كوسيجين على الحكومة المصرية السعي لوقف إطلاق النار، خشية ان يزداد الموقف العربي سوءاً، بعد ان قامت الولايات المتحدة بإرسال كميات كبيرة من الأسلحة^(٤) (إسرائيل). إلا ان الرئيس المصري رفض ذلك مبرراً رفضه، بان

(١) للمزيد من التفاصيل ينظر: حسام سويلم، "ثغرة الدفرسوار - الأسباب والنتائج" مجلة السياسة الدولية، العدد (١٣٤)، السنة الرابعة والثلاثون ١٩٩٨، ص ٨١؛ مرسى عطا الله، حقيقة الثغرة في الدفرسوار، رواية الحرب من غرفة العمليات، مطبعة أطلس، (القاهرة، ١٩٧٧)، ص ٨٨ وما بعدها.

(٢) حمدي الطاهري، حرب أكتوبر في الإعلام العالمي، ط ٢، المطبعة العالمية، (القاهرة، ١٩٧٥)، ص ٣٧٩.

(3) Viktor Levonovich Israelian, inside The Kremlin during The yom Kippur war, by the Pennsylvania state university press, 1995, p-p-92.96.

(٤) بدأ الجسر الجوي الأمريكي لنقل المعدات العسكرية لإسرائيل في ١٤ تشرين الأول، وخلال الفترة

(١٤-٢٣) تشرين الأول تم نقل ما يقرب من ١١ ألف طن من المعدات و ٤٠ طائرة فانتوم F4 و ٣٦ طائرة سكاي هوك A-4، و ١٢ طائرة نقل C-130، احتوت على عدد من الدبابات. أراء جاسم محمد المظفر، موقف الولايات المتحدة الأمريكية من حرب تشرين الأول ١٩٧٣، (دراسة تاريخية سياسية). أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٨، ص ٩٣؛ احمد بهاء الدين، وتحطمت الأسطورة عند الظهر، سلسلة كتاب اليوم، العدد (٥٥٠)، دار الهلال، (القاهرة، ١٩٩٦)، ص ٣٠٠.

الوضع العسكري العربي قابل للتدسّن، وو صف الخرق الذي قامت به الدبابات (الإسرائيلية)، في منطقة الدفرسوار، بأنه ليس أكثر من مناورة مؤقتة^(١). وقد حرصت القيادة المصرية على ضرورة مساهمة الولايات المتحدة وأهمية دورها الحاسم في الضغط على (إسرائيل) وإحلال السلام في المنطقة. وفي الخطاب الذي ألقاه السادات في ١٦ تشرين الأول ١٩٧٣ لم يشر إلى المساعدات السوفيتية لمصر، بل وجه كلامه مباشرة إلى الرئيس الأمريكي^(٢). ومع ذلك فإن الحكومة السوفيتية أعلنت في بيانها الصادر في ١٧ تشرين الأول ١٩٧٣، عن استمرار الدعم السوفيتي للموقف العربي، إذ جاء في ذلك البيان ((ان موسكو تعتبر الحرب الجارية حالياً في الشرق الأوسط جزءاً من حركة التحرر الوطني العالمية ضد الامبريالية)) كما جاء في البيان ((... ان كفاح الشعوب العربية لاستعادة أراضيها المحتلة منذ عام ١٩٦٧ يتمتع بتأييد كل القوى الشعبية في العالم))^(٣). إلا ان القيادة المصرية قابلت ذلك البيان في ١٨ تشرين الأول ١٩٧٣ بتوجيه الشكر للحكومة الصينية على المساعدة التي قدمتها لمصر، كل ذلك كان من الأسباب التي أدت إلى نقمة سوفيتية^(٤).

لقد سارت الدبلوماسية السوفيتية خلال تلك الفترة على أساس من الاستعداد العسكري المتزايد، إذ زاد حجم الأسطول السوفيتي في البحر المتوسط في الفترة من ١٦-٢٠ تشرين الأول ١٩٧٣ من ٢٢-٢٩ سفينة حربية، واخذ عدد القطعات البرمائية، المُعدة للإنزال البري يتجمع مقابل الشواطئ المصرية، كما وصل (٣٠٠) عسكري سوفيتي إلى مصر في محاولة لإعادة بناء نظام صواريخ (سام)، وجرى استعراض جوي لعدد من طائرات ميج ٢٥ التابعة للقوات السوفيتية^(٥).

وعلى المستوى الشعبي كانت أحداث الحرب تحظى باهتمام شعبي سوفيتي واسع، وفي موسكو، قطعت الإذاعة الرسمية السوفيتية برامجها الاعتيادية، لتذيع

(١) فينو غرادوف، المصدر السابق، ص ٨٦؛ جوزيف فينكلستون، السادات وهم التحدي، ترجمة: عادل عبد الصبور، ط ١، الدار العالمية للكتب والنشر، (د. م، ١٩٩٩)، ص ١٨٧.

(٢) نقلاً عن: دانكوس، المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٣) نقلاً عن: محمد علي الشهاري، "العرب والاتحاد السوفيتي" مجلة الكاتب، السنة الثانية عشر، العدد (١٥٢)، تشرين الثاني، ١٩٧٣، ص ٩٦.

(٤) دانكوس، المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٥) مانغولد، المصدر السابق، ص ٣٤٠.

انباء القتال بين القوات المصرية والقوات (الإسرائيلية)، كما كانت الصحافة السوفيتية متابعاً جيداً لأحداث الحرب، وأعطت اهتماماً كبيراً للمعارك الدائرة على جبهتي القتال وأبدت إعجابها بتنظيم الجيوش العربية ومهاراتها القتالية^(١).

وفي الوقت الذي كان فيه الرأي العام السوفيتي يتابع باهتمام بالغ انباء الحرب، دعت اللجنة السوفيتية للتضامن الآسيوي والأفريقي جميع (القوى المحبة للسلام) إلى مضاعفة تأييدها لنضال الشعب العربي وإدانة الحكومة (الإسرائيلية)^(٢). وتمثل ذلك الموقف عبر جمعيات الصداقة السوفيتية مع الأقطار العربية، إذ أكد بيان صدر عن تلك الجمعيات، على أن الشعب السوفيتي يدين بشدة العدوان (الإسرائيلي) ويجدد تضامنه مع الشعب العربي ونضاله ضد (إسرائيل)^(٣). كما حظيت القضية العربية بتأييد عمالي واسع في موسكو، وتعزز ذلك التأييد من خلال بيان تأييد أصدره اتحاد النقابات السوفيتية في ١٤ تشرين الأول ١٩٧٣، الذي يضم ٩٠ مليون عضواً^(٤).

وفي ١٩ تشرين الأول ١٩٧٣، عاد رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي إلى موسكو بعد زيارته للقاهرة خلال الفترة (١٦-١٩ تشرين الأول ١٩٧٣)^(٥). وعلى اثر عودته طلبت الحكومة السوفيتية من الحكومة الأمريكية إفاد وزير خارجيتها (هنري كيسينجر)^(*)، إلى العاصمة السوفيتية لغرض إجراء مباحثات مشتركة حول الوضع

(١) نقلاً عن: صحيفة الاخبار (القاهرة)، العدد ٦٦٤٤، ١٠/٧/١٩٧٣.

(٢) صحيفة الجمهورية، (بغداد)، العدد ١٨٣٢، ١٠/٩/١٩٧٣.

(٣) صحيفة الثورة (بغداد)، العدد ١٥٨١، ١٠/١٠/١٩٧٣.

(٤) صحيفة الاخبار (القاهرة)، العدد ٦٦٥١، ١٠/١٥/١٩٧٣.

(٥) يشير تقرير لوزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ١٩ تشرين الأول ١٩٧٣، إلى أن رئيس الوزراء السوفيتي غادر القاهرة دون الوصول إلى نتائج حاسمة حول مسألة إقناع الحكومة المصرية بضرورة وقف إطلاق النار، كما أشار التقرير إلى أن هناك أشارات في الصحافة السوفيتية حول وجود قلق من تأثير الحرب على سياسة الوفاق الدولي ينظر:

Department of State, Operations center, Middle East Task force, situation Report (43) situation Report in the Middle East as of 0600 EDT 19 Oct. 1973, p. 1.

(*) سياسي أمريكي، ولد عام ١٩٢٣ في ألمانيا، من أسرة يهودية هاجرت إلى الولايات المتحدة عام ١٩٣٨، حصل على الجنسية الأمريكية عام ١٩٤٣، عمل في المخابرات الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية، حصل على الدكتوراه من جامعة هارفرد عام ١٩٧٥، عمل باحثاً وأستاذاً جامعياً حتى عام ١٩٦٩، عمل مستشاراً لشؤون الأمن القومي في عهد الرئيس نيكسون في الفترة ١٩٦٩-١٩٧٣، وأصبح وزيراً للخارجية الأمريكية عام ١٩٧٣.

في الشرق الأوسط. وفي ٢٠ تشرين الأول وصل كيسنجر إلى موسكو، وخلال يومي ٢٠-٢١ تشرين الأول ١٩٧٣، دارت بينه وبين الحكومة السوفيتية محادثات حول الوصول إلى قرار لوقف إطلاق النار وإنهاء العمليات الحربية على كافة الجبهات في الشرق الأوسط.^(١)

وفي الوقت ذاته كان السادات يدرك مدى التأثير النفسي للهجوم (الإسرائيلي) المضاد على القوات المسلحة المصرية. ففي ٢١ تشرين الأول استدعى القيادة العسكرية المصرية وطلب الاطلاع بدقة على الوضع العسكري، ثم اتصل بالحكومة السوفيتية، وابلغها بأن مصر مستعدة في ذلك الوقت لقبول وقف إطلاق النار، وفي تلك الأثناء كانت الولايات المتحدة، قد اتفقت مع الاتحاد السوفيتي، دون علم القيادة المصرية، على قرار جديد لوقف إطلاق النار من خلال رحلة كيسنجر إلى موسكو^(٢). وعندما ابلغ الرئيس المصري الحكومة السوفيتية بموافقته على وقف إطلاق النار، بدأ الاتحاد السوفيتي بالتباحث مع الولايات المتحدة واتفقا على دعوة مجلس الأمن للانعقاد في اجتماع طارئ، وتم اتخاذ القرار ٣٣٨ في ٢٢ تشرين الأول

Encyclopedia American. Inc, VOL. 7, Op. Cit, p.212.

(1) Victor Israelyan "The October 1973 war: Kissinger in Moscow" Middle East Journal, Vol. 49, No. 2, (Spring, 1995), p. 254.

وهناك من يرى بأن تلك الجهود السوفيتية كانت مدفوعة إلى حد ما بتأزم الوضع العسكري للجانب العربي، إلا أنها كانت أيضاً مدفوعة بالرغبة السوفيتية في المحافظة على الوفاق، وأكثر من ذلك استخدامه كأساس لعمل مشترك بين القوتين لإدارة الأزمة. السيد أمين شلبي، الوفاق الأمريكي - السوفيتي ١٩٦٣-١٩٧٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٨١)، ص ٢٢٩.

(٢) ووصفت المحادثات الأمريكية - السوفيتية، في ٢٠ تشرين الأول ١٩٧٣، بأنها تمت في أجواء من الثقة المتبادلة، ومع ذلك فعلى الرغم من التحويل المطلق الذي يتمتع به كيسنجر من قبل الحكومة الأمريكية، فإنه تظاهر، بضرورة الرجوع إلى الرئيس الأمريكي، ومشاورته في كل ما يمكن التوصل إليه من تفاهم بين الجانبين. ينظر:

Department of state, Memorandum of Conversation, 20 October, 1973. p-p4-5.

وقد يكون هدف كيسنجر من وراء ذلك هو إعطاء المزيد من الوقت للقوات (الإسرائيلية)، لتتمكن من تحسين موقفها القتالي الذي يضمن لها تعزيزاً أكيدا في الموقف التفاوضي فيما بعد.

١٩٧٣^(١). وقد تضمن القرار دعوة للأطراف المعنية بوقف إطلاق النار، وتنفيذ ما جاء في القرار (٢٤٢) القرار الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧، والبدء بمفاوضات تستهدف إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط^(٢). وبذلك فإن القرار ٣٣٨ ربط بين وقف إطلاق النار والبدء في تسوية سلمية في الشرق الأوسط^(٣).

كان ذلك القرار تمهيداً لعقد المؤتمر الدولي للسلام في جنيف كإطار جماعي للتسوية، وكان الاتفاق الأمريكي - السوفيتي في تشرين الأول بمثابة حل وسط، فقد رغبت الحكومة السوفيتية بعقد مؤتمر دولي يتم من خلاله التباحث في سبيل إيجاد حل ملائم لمشكلة الشرق الأوسط^(٤).

كما اقترح الرئيس المصري ذلك في خطاب له يوم ١٦ تشرين الأول ١٩٧٣^(٥)، بينما كانت الحكومة الأمريكية ترغب في التوصل إلى صيغة يتم بواسطتها، إقناع (إسرائيل) بوقف إطلاق النار، وكان الحل الوسط يدعو إلى عقد

(1) Fahmy, Op. Cit, p.28.

بينما هناك من يشير إلى أن كوسيجين، تمكن من إقناع السادات بخطورة الموقف، بعد أن جلب له صوراً تم التقاطها عبر الأقمار الصناعية، لقوة (إسرائيلية)، تعمل غرب القناة، خلف القوات المصرية، وأن رئيس الوزراء السوفيتي عاد إلى موسكو يوم ١٩ تشرين الأول، بعد أن أخذ تفويضاً من السادات للسعي وراء وقف إطلاق النار. مجيد العلوي، التاريخ العسكري للشرق الأوسط ١٩٤٠-٢٠٠٠، مركز ابن رشد للبحوث، (لندن، ٢٠٠٣)، ص ٩٣؛ Safaran, Op. Cit. p.58.

(2) Department of State, Memorandum of Conversation, 22 October, 1973. P. 2.

للتفاصيل ينظر: نص القرار في، أبرز قرارات الأمم المتحدة حول الصراع العربي - الإسرائيلي، مجلة معلومات دولية، عدد(٦٢)، لعام ١٩٩٩، المصدر السابق، ص ١٩٠.

(٣) يفغيني بريماكوف، "السياسة السوفيتية تجاه الصراع العربي - الإسرائيلي"، في كتاب: الشرق الأوسط، كامب ديفيد بعد ١٠ سنوات، (تحرير) وليام بي كوانت، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٨٩)، ص ٥٥٠.

(٤) وفي محضر الاجتماع بين كيسنجر وغروميكو في ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣، اتفق الجانبان على أن كليهما سوف يستخدم أقصى تأثير له على الأطراف المتنازعة، لضمان أن جميع أسرى الحرب سوف يطلق سراحهم في مدة لا تتجاوز ٧٢ ساعة عقب وقف إطلاق النار.

Department of State, Memorandum of Conversation, under standing, 22 October, 1973. P. 2.

(٥) خطاب الرئيس أنور السادات في افتتاح الدورة الاستثنائية لمجلس الشعب ١٦ أكتوبر ١٩٧٣، مجموعة خطب وأحاديث الرئيس محمد أنور السادات، ج ٣، المصدر السابق، ص ٣٤٤.

مؤتمر في جنيف تحت رعاية كلاً من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، لإجراء مفاوضات بين (إسرائيل) والأقطار العربية^(١).

وعلى الرغم من موافقة الأطراف مبدئياً على قرار وقف إطلاق النار، إلا أن الولايات المتحدة لم تبذل أي جهد حقيقي لإجبار (إسرائيل) على الالتزام بوقف إطلاق النار إلا بعد أن بدأ الاتحاد السوفيتي بالتهديد بالتدخل لصالح مصر^(٢).

وفي النهاية توقف التقدم (الإسرائيلي)، لكن في ذلك الوقت كان (الإسرائيليون) قد رسخوا مواقعهم تماماً في الضفة الغربية للقناة^(٣)، وكان الجيش المصري الثالث محاصراً، كما فرضت القوات (الإسرائيلية) حصاراً جزئياً على مدينة السويس^(٤).

(١) ميادة علي حيدر رشيد الخالدي، مصر والتسوية العربية - الإسرائيلية، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، (بغداد، ٢٠٠٢)، ص ١٣٩.

(٢) في يوم ٢٢ تشرين الأول تمكنت الإمدادات السوفيتية من تنفيذ نحو ٦٠ مهمة من خلال الرحلات الجوية، مما رفع عدد مهمات الإمدادات إلى ٨٠٠ مهمة منذ بدأ الجسر الجوي يوم ١٠ تشرين الأول، وتم نقل نحو ما يقارب العشرة آلاف طن من المعدات العسكرية للجانب العربي منذ بداية الحرب.

Department of state, Operations center, Middle East Task force, situation Report (57) situation Report in the Middle East as of 1200, EDT, 23/10/1973, p. 2.

(٣) يرى إسماعيل فهمي (وزير الخارجية المصرية السابق) أن مصر كان بإمكانها أن تكون في موقف أقوى لو أنها قبلت وقف إطلاق النار في نفس مواقع القوات يوم ١٢ تشرين الأول قبل

بدأ الهجوم الإسرائيلي المضاد في ١٦ تشرين الأول ١٩٧٣.. Fahmy, Op. Cit, p.29-30.

(٤) للمزيد من التفاصيل ينظر: حسين العشي، خفايا حصار السويس، مئة يوم مجهولة في حرب أكتوبر ١٩٧٣، ط١، دار الحرية للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٠)، ص ١٥ وما بعدها.

المبحث الثالث

العلاقات المصرية – السوفيتية ٢٣ تشرين الأول – ٢٣ كانون الأول ١٩٧٣

– الدور السوفيتي في الجهود الدولية لتنفيذ قرارات وقف إطلاق النار :

لم تلتزم (إسرائيل) عملياً بالقرار ٣٣٨، واستمرت في يوم ٢٣ تشرين الأول ١٩٧٣، بالقيام بهجمات برية وجوية على المواقع المصرية، كما واصلت تطوير الهجوم على الضفة الغربية لقناة السويس، بغية الوصول إلى موقف يؤهلها لأن تفاوض الجانب العربي من موقف القوة^(١) وبهدف إتمام الحصار على الجيش المصري الثالث، مدعية ان ذلك الجيش انتهك قرار وقف إطلاق النار^(٢).

وفي ٢٣ تشرين الأول ١٩٧٣، اصدر الإتحاد السوفيتي بياناً طالب فيه (إسرائيل) بوقف القتال والعودة لمواقع ٢٢ تشرين الأول، ووصف البيان السوفيتي، إعلان حكومة (إسرائيل) بقبول قرار وقف إطلاق النار بـ (الخديعة الكبرى) وأدان البيان الهجمات (الإسرائيلية) التي تمثل خرقاً واضحاً لقرارات مجلس الأمن^(٣).

وبغية إرغام (إسرائيل) على إيقاف ذلك الهجوم، اقتضى الأمر جهوداً دولية إضافية، وخلال تلك المرحلة الحرجة، أصدر مجلس الأمن في يوم ٢٣ تشرين الأول ١٩٧٣ القرار رقم (٣٣٩)، الذي طالب فيه الأطراف المعنية بالعودة إلى خطوط ٢٢ تشرين الأول، وأكد وقف فوري لإطلاق النار، ومطالبة الأمم المتحدة باتخاذ الإجراءات اللازمة لإرسال مراقبين دوليين للإشراف على وقف إطلاق النار^(٤). وكان من المتفق عليه منذ ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣ ان يقوم الاتحاد السوفيتي

(1) Department of State , message from Brezhnev to secretary Kissinger as read by minister vorontsov to the secretary on the telephone on 23 october 1973, at 10:40 , a. m, p.1.

(٢) اجارشيف، التأمير ضد العرب، ص ٥٠.

(٣) عادل وديع فلسطين، يوميات حرب أكتوبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠٩)، ص ٣٥٥.

(٤) وليم ب. كوانت، عشر سنوات من القرارات السياسية الأمريكية تجاه النزاع العربي – الإسرائيلي

١٩٦٧-١٩٧٦، سلسلة كتب مترجمة، تسلسل (٧٣١) الهيئة العامة للاستعلامات، (القاهرة، د. ت)، ص ٢٠٩.

والولايات المتحدة بإرسال ضباط عسكريين يقومون بدور المراقبين لتأمين عملية وقف إطلاق النار، وقد أوفد الاتحاد السوفيتي بالفعل (٥٠) ضابطاً عسكرياً، إلا أن الولايات المتحدة بقيت تماطل، ثم اعترضت على العدد الذي أوفده السوفيت، ثم أعلنت شكلياً استعدادها لإرسال ٣٢ مراقباً عسكرياً فقط^(١).

وقد كررت مصر موافقتها على قرار وقف إطلاق النار بشرط التزام (إسرائيل) بالقرار، إلا أن العمليات العسكرية استمرت على طول الجبهة، ولم تلتزم (إسرائيل) بقرار مجلس الأمن^(٢).

وقد أوجزت وثيقة أمريكية مؤرخة في ٢٤ تشرين الأول ١٩٧٣، المشاكل التي تواجه وقف إطلاق النار بـ:

- ١- الطبيعة الجغرافية الصعبة.
 - ٢- العدد غير الكافي من المراقبين.
 - ٣- الدوافع المختلفة للقبول بوقف إطلاق النار.
 - ٤- التفسيرات المتناقضة لقرار وقف إطلاق النار^(٣).
- ونتيجة لعدم التزام (إسرائيل) بقرار مجلس الأمن، أصدرت الحكومة السوفيتية في ٢٤ تشرين الأول، بياناً تضمن صيغة الإنذار لـ (إسرائيل)، وانتقدت فيه الموقف الأمريكي، واصفة الولايات المتحدة بأنها في الوقت الذي تتظاهر بأنها تؤيد قرار وقف إطلاق النار في الأمم المتحدة، فإنها تشجع (إسرائيل) في اعتداءاتها، وتمدها باحتياجاتها الكافية من الأسلحة^(٤).

وسلم اناتولي دوبرنين (السفير السوفيتي في واشنطن) مذكرة إلى وزير الخارجية الأمريكي، تتضمن تهديداً بإرسال قوات سوفيتية إلى المنطقة، جاء فيها: ((إننا نلح بشدة أن نرسل كلانا قوات لتنفيذ وقف إطلاق النار، وإذا لم تفعلوا ذلك، فقد

(1) Fahmy, Op .Cit., p.41.

(٢) حمدي الكنسي، الحرب طريق السلام، إصدارات مجلة النهار، (القاهرة، ١٩٩٧)، ص ٢٥٦.

(3) Department of State, Briefing memorandum, from: INR – Ray, S. cline to the Secretary, (Cease – fire problems), 24 Oct, 1973, p.1-2

(٤) الشاذلي، المصدر السابق، ص ١٣٥.

نرى أنفسنا مضطرين لتدبير العمل منفردين))^(١)، وفي اليوم نفسه (٢٤ تشرين الأول)، رفع الاتحاد السوفيتي درجة الاستعداد لاست فرق جنود مضلات قوامها ٤٥٠٠ رجل^(٢). وإزاء ذلك قام كيسنجر بتحويل من القيادة الأمريكية برفع درجة التأهب النووي ووضع القوات الأمريكية في حالة تأهب^(٣).

كما شهد يوم ٢٥ تشرين الأول ١٩٧٣، زيادة في الحضور البحري السوفيتي، وفي اليوم نفسه رصدت الأقمار الصناعية الأمريكية، إقلاع مجموعة كبيرة من الطائرات السوفيتية، التي تبين فيما بعد بأنها قامت بنقل كميات من الأسلحة إلى الدول العربية. في حين كانت الولايات المتحدة تخشى من قيام تلك الطائرات بنقل قوات سوفيتية إلى الشرق الأوسط^(٤).

وفي ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٣، صرح برجنيف قائلاً: ((ان أسباب التوتر تعود إلى احتلال إسرائيل للأراضي العربية، عقب عدوانها، وإلى رفض تل أبيب الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعوب العربية وإلى مساندة قوى العدوان الرأسمالية لها...))^(٥) وفي نفس اليوم بعث برجنيف رسالة إلى الحكومة الأمريكية، طلب فيها ممارسة ((تأثير عاجل وفاعل)) على (إسرائيل)، من أجل ضمان التزامها بعدم القيام بأعمال عدوانية ضد الجيش المصري الثالث المحاصر، وفي تلك الرسالة لم يقيم برجنيف بالتهديد بأي إجراءات منفردة، ولكنه حذر فقط، من أن عدم استجابة

(١) نقلاً عن: سعد الدين إبراهيم، كيسنجر وصراع الشرق الأوسط، دار قباء للطباعة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٠)، ص ٩٧؛ إسماعيل صبري مقلد، قضايا دولية معاصرة، مؤسسة الصباح، (الكويت، ١٩٨٠)، ص ٢٠٧.

(٢) حسن مصطفى، معارك الجبهة المصرية في حرب رمضان ١٩٧٣، مديرية المطابع العسكرية، (بغداد، ١٩٨٢)، ص ٤٧٢.

(٣) ارون ديفيد ميلر، أرض طالت وعود عودتها، البحث الأمريكي عن السلام بين العرب وإسرائيل، ترجمة: أياد أحمد، الدار العربية للعلوم، (بيروت، ٢٠٠٩)، ص ١٣٣.

(4) Karen Dawisha, "Soviet decision making in the Middle East :the 1973 October war and the 1980 Gulf war ", International Affairs, No.1,(Winter,1981), p.52.

(٥) نقلاً عن: عبد المنعم زنايلي، تشرين في مجلس الأمن، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (دمشق، ١٩٧٤)، ص ٢٠١.

الولايات المتحدة سيثير شكوكاً عميقة لديه في مدى التزام الولايات المتحدة، بالتفاهم الذي تم التوصل إليه مع كيسنجر في موسكو بخصوص وقف فوري لإطلاق النار^(١). وبعد مداولات أمريكية- سوفيتية، صدر قرار مجلس الأمن المرقم (٣٤٠) بتاريخ ٢٦ تشرين الأول ١٩٧٣، المتضمن المطالبة بوقف فوري وكامل لإطلاق النار، ودعوة الأمم المتحدة لزيادة عدد المراقبين الدوليين على جانبي القناة، وإنشاء قوة طوارئ دولية تحت إشراف مجلس الأمن^(٢) وفي ٢٧ تشرين الأول تقدمت الولايات المتحدة باقتراح إجراء مباحثات مباشرة بين مصر و(إسرائيل)^(٣). وبذلك بدأت الحكومة الأمريكية بتنفيذ السياسة التي عرفت بسياسة (الخطوة... خطوة)، التي بدأ فعلها يؤثر في تفرقة التحالفات العربية، وتأجيج تناقضاتها، وكانت الحكومة المصرية من مؤيدي تلك السياسة^(٤).

وفي ٢٧ تشرين الأول تحدد مكان اللقاء الأول بين مصر و(إسرائيل) عند علامة الكيلو (١٠١) على طريق القاهرة - السويس، وتم الاتفاق على ان تكون المباحثات تحت إشراف الأمم المتحدة لمناقشة الاعتبارات العسكرية الخاصة بتطبيق قرارات مجلس الأمن. وفي ٢٨ تشرين الأول عقد أول اجتماع مباشر بين الجانبين^(٥). وفي ٧ تشرين الثاني ١٩٧٣، وصل كيسنجر إلى القاهرة خلال زيارته لمنطقة الشرق الأوسط، حيث اجتمع بالرئيس المصري، وأسفرت مباحثاته في مصر عن ثلاث نتائج مهمة تمثلت بـ:

(١) للاطلاع على نص الرسالة ينظر: بير، المصدر السابق، ص-ص ٤٠٧-٤٠٨.

(٢) فؤاد، المصدر السابق، ص ٢٤١.

(٣) فيليب روندو، الشرق الأوسط في سعيه إلى السلام، ترجمة: كمال الخولي، دار المنشورات العربية.

(بيروت، ١٩٨٣)، ص ٣٧. كانت الولايات المتحدة، قد سلكت إستراتيجية واضحة، دعمت فيها اتجاهات التسوية المفردة، وبذلك تبذنت في سياستها مبدأ رفض التعامل مع الدول العربية كمجموعة، أو نظام له شخصيته المعنوية. للتفاصيل ينظر:

Edward R. Sheehan, " How Kissinger Did it: Step by Step in Middle East" , Foreign policy, No. 22, (Spring, 1976), p.3-70

(٤) جمال محمد عبد الله، التنافس السوفيتي- الأمريكي حيال مصر ١٩٦٧-١٩٨١، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص ١٧٨.

(٥) طه المجذوب، حرب أكتوبر- طريق السلام، الهيئة العامة للاستعلامات، (القاهرة، ١٩٩٣)، ص ٥٣.

أولاً: الاتفاق على إعادة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة، وتم ذلك فعلاً من خلال رفع قسمي رعاية المصالح لكلا البلدين إلى مرتبة سفارة^(١).

ثانياً: التوصل إلى اتفاق لتثبيت وقف القتال بين مصر و(إسرائيل).

ثالثاً: البحث في مؤتمر سلام تشارك فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والأطراف المعنية مباشرة بالنزاع وذلك بإشراف مجلس الأمن^(٢) كما هدفت تلك الزيارة إلى تقليص النفوذ السوفيتي في المنطقة^(٣). وعندما التقى السادات بكسنجر ابلغه بأنه لا ينوي عقد أي صفقات أسلحة مستقبلاً مع السوفيت وأنه ينوي تقليص نفوذهم في مصر^(٤) كما هدفت الزيارة أيضاً إلى محاولة رفع الحظر النفطي الجزئي الذي فرضته الدول العربية المصدرة للنفط على الدول المساندة لـ (إسرائيل)^(٥).

وقد نظر السوفيت إلى تلك الزيارة، وإلى قرار مصر باستئناف العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة، دليلاً واضحاً على نية القيادة المصرية في الابتعاد عنهم، وبالتالي استبعادهم عن المفاوضات الدولية التي أعقبت حرب تشرين ١٩٧٣، ومن ثم فقد كان ذلك التقارب المصري- الأمريكي محل انتقاد من قبل الصحافة السوفيتية^(٦).

(١) فؤاد، المصدر السابق، ص ٢٥٤.

(٢) المقدم الهيثم الأيوبي، اتفاق فصل القوات الثاني في سيناء ١٩٧٥، ط١، دراسة تحليلية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت)، ص ٨٣.

(٣) جمعة، المصدر السابق، ص ١٢٧.

(٤) Kreutz, Op .Cit. , p.113.

(٥) كانت جمهورية العراق سباقة في مسألة استخدام النفط كسلاح في المعركة، فقامت في ٧ تشرين الأول ١٩٧٣ بتأميم مصالح الولايات المتحدة وهولندا في شركة نفط البصرة، كما قررت باقي الدول العربية في ١٧ تشرين الأول فرض حظر نفطي جزئي على الدول المؤيدة لـ (إسرائيل). للمزيد من التفاصيل ينظر: حامد ربيع، سلاح البترول والصراع العربي- الإسرائيلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٤)، ص-ص ١٤٤-١٤٥؛ إبراهيم شحاته، حظر تصدير النفط العربي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت، ١٩٧٥) ص، ص ٤-٥.

(٦) نقلاً عن: فريدمان، المصدر السابق، ص ٢١٠.

وفي الساعة ٣/١٠ من بعد ظهر يوم ١١ تشرين الثاني ١٩٧٣ تم توقيع اتفاق (النقاط الست)، داخل خيمة عسكرية، عند نقطة الكيلو (١٠١)، الذي تضمن موافقة مصر و(إسرائيل) على مراعاة وقف إطلاق النار الذي دعا إليه مجلس الأمن الدولي بدقة، وموافقة الجانبان على بدء محادثات فورية، لتسوية قضية العودة إلى خطوط وقف إطلاق النار القائمة في ٢٢ تشرين الأول ضمن نطاق اتفاق على فصل القوات بإشراف الأمم المتحدة، وضمان وصول تموينات يومية لمدينة السويس، وإن تحل نقاط تفتيش دولية محل نقاط التفتيش (الإسرائيلية) على طريق القاهرة - السويس، وبمجرد إقامة تلك النقاط سيتم تبادل أسرى الحرب بما فيهم الجرحى^(١). وقد مثل الجانب المصري في ذلك الاجتماع اللواء محمد عبد الغني الجمسي (مساعد رئيس الأركان المصري) ومثل الجانب الإسرائيلي الجنرال اهورن ياريف (مساعد رئيس الأركان الإسرائيلي)، وأشرف على توقيع الاتفاق انزيو سيليا سيفيو (قائد قوات الطوارئ الدولية)^(٢).

وخلال الفترة من (٢٦-٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٣) عقد في الجزائر مؤتمر القمة العربي بهدف التخطيط للمرحلة التالية من الصراع العربي- (الإسرائيلي) وتأكيد وحدة الصف العربي في مواجهة التحديات التي أفرزتها حرب تشرين^(٣). وبعد أن استعرض القادة العرب الموقف، اتفقوا على تعزيز التضامن العربي، والاستمرار في تأييد سوريا ومصر ومواصلة الحظر النفطي^(٤). وقد حظي موقف الاتحاد السوفيتي، بتقدير بالغ خلال مؤتمر الجزائر وأبدى المشاركون في مؤتمر ارتياحهم العميق للمساعدات السياسية والعسكرية التي قدمها الاتحاد السوفيتي،

(١) المجذوب، حرب أكتوبر-طريق السلام، ص ٢٢١.

(٢) الأيوبي، اتفاق فصل القوات، ص-٨٦-٨٧. للتفاصيل ينظر: محمد عبد الغني الجمسي، حرب أكتوبر ١٩٧٣، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٨)، ص-٤٦٥-٤٧٣.

(٣) أكرم نور الدين الساطع، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين، إحداث- أعلام- وثنائق، دار النفائس، (بيروت، ٢٠٠٨)، ص ٣٠٣.

(٤) جمعة، المصدر السابق، ص ١٢٨.

وغيره من الدول الاشتراكية للدول العربية، واعربوا عن رغبتهم في تطوير التعاون العربي - السوفيتي^(١).

وحذر البيان الختامي للمؤتمر من انه: ((إذا ما قوبلت الجهود العربية من اجل السلام بالرفض من قبل إسرائيل وحلفائها فان الدول العربية ستجد نفسها مضطرة إلى مواصلة معركتها التحريرية مهما طال أمدھا بجميع الوسائل وفي مختلف الميادين))^(٢).

وقد وصف مؤتمر الجزائر من قبل الصحافة السوفيتية بأنه عكس القدر المتزايد من الوحدة التي عززتها حرب تشرين ومرت خلالها باختبار قاس^(٣).

لقد شهدت الفترة التي أعقبت مؤتمر الجزائر تراجعاً في الدور السوفيتي في حل أزمة الصراع العربي- (الإسرائيلي)، تزامن مع جهود مصرية - أمريكية منسقة للوصول إلى حلول فردية لأزمة الصراع العربي- (الإسرائيلي). ومنذ البداية حاولت الولايات المتحدة إبعاد السوفيت عن (مفاوضات السلام) في الشرق الأوسط، لكي يحسب أي نجاح في تلك المفاوضات لصالحها فقط^(٤). ويعزي محمود رياض (وزير الخارجية المصري السابق) ذلك التراجع في الموقف السوفيتي إلى الروتين والبيروقراطية الزائدين في عملية اتخاذ القرار السوفيتي، وان اتخاذ أي موقف سياسي، إزاء أي تطورات سياسية طارئة في الشرق الأوسط، يحتاج إلى الوقت الذي يستلزم الحصول على موافقة القيادة السوفيتية الجماعية في موسكو، وهو الأمر الذي يستغرق بضعة أيام، بينما استطاع كيسنجر بما لديه من تفويض من حكومته، ان يحتل وحده ميدان العمل السياسي في المنطقة خلال تلك الفترة الحرجة من الصراع العربي- (الإسرائيلي)^(٥). كما ان كيسنجر نجح في الربط بين الدبلوماسية والتهديد العسكري. وذلك ما دفع بالسوفيت إلى التراجع عن مواقفهم السابقة، وتخفيف حدة طلبهم بان يتم شمولهم في قوات حفظ السلام في المنطقة، ومكن كيسنجر من لعب

(١) فريدمان، المصدر السابق، ص ٢١٢.

(٢) نقلاً عن: عبد الحكيم، المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٣) نقلاً عن: فريدمان، المصدر السابق، ص ٢١٢.

(4) Jerome Slater, "The super powers and an Arab - Israeli political settlement: The cold war Years", political science Quarterly, Vol. 105, No. 4, (1991), p.557.

(٥) رياض، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩١.

دور فريد في الوساطة العربية- (الإسرائيلية)^(١). وخلال تلك الفترة عادت في مصر حملة التشهير بالاتحاد السوفيتي وسياسته ومواقفه وأسلحته^(٢). ومع تزايد قناعة الاتحاد السوفيتي بالتوجهات المصرية نحو الولايات المتحدة، والمراهنة على اعتبارها الدولة الوحيدة القادرة على الضغط على (إسرائيل)، والوصول لحل مناسب للزمة، بدأ السوفيت يركزون في مساعدتهم، على القوى الأكثر تمسكاً وتصميماً على مواصلة النضال، فساندوا سوريا وأمدوها بكميات كبيرة من السلاح، ووطدوا علاقتهم بمنظمة التحرير الفلسطينية، واعتزفوا بها كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني^(٣).

- مؤتمر جنيف (٢١-٢٢ كانون الأول ١٩٧٣)، وأثره في العلاقات المصرية - السوفيتية:
في مطلع كانون الأول ١٩٧٣، تصاعد التوتر الموقف على الجبهتين المصرية والسورية، وتزايدت حوادث خرق وقف إطلاق النار، واستمرت العمليات القتالية، وازداد على أثرها وضع القوات (الإسرائيلية) الموجودة على الضفة الغربية لقناة السويس حرجاً، بعد أن أعادت القوات المصرية تنظيمها، وقامت بتطويق القوات (الإسرائيلية) المتمركزة هناك^(٤).

وبغية تحاشي المزيد من التدهور في الموقف عاد كيسنجر إلى المنطقة العربية ليهيئ الأجواء لقعد مؤتمر جنيف، واجتمع الرئيس المصري به مرة أخرى، وأفصح له في تلك المرة عن شكوكه تجاه السوفيت، و عن رغبته في إنهاء وجودهم في مصر، وذلك من خلال إلغاء معاهدة الصداقة المصرية - السوفيتية، وأشار كذلك إلى

(1) Peter W. Dickson, Kissinger and the meaning of History, by Cambridge university press, (New York, 1978), p.111.

(٢) من مظاهر تلك الحملة، إثارة الشكوك حول الدور السوفيتي في وفاة الرئيس المصري جمال عبد الناصر، و ضلوع الأطباء السوفيت في ذلك، وقد استند أصحاب تلك الادعاءات إلى وثيقة بريطانية، وظفت في تلك الحملة المنظمة، التي قادتها عناصر يمينية مصرية للذيل من عبد الناصر وعلاقاته بالسوفيت ينظر: أنيس الدغدي، الـ C. I. A، ملفات الحكام العرب، ط١، دار الكتاب العربي، (دمشق، ٢٠٠٦)، ص٣٣؛ حسنين كروم، عبد الناصر المفترى عليه، ط٥، دار الموقف العربي، (القاهرة، ١٩٨٥)، ص٥ وما بعدها.

(٣) حمدان وآخرون، المصدر السابق، ص٩٧.

(٤) الأيوبي، اتفاق فصل القوات، ص٩٧.

حاجته لنهاية سريعة لإجراءات عملية السلام، لكي يتاح له تحقيق أهدافه ونواياه تجاه السوفيت^(١).

ويظهر ان التفكير في عقد مؤتمر دولي في جنيف كان قد بدأ أثناء حرب تشرين من خلال الاتصالات الأمريكية - السوفيتية، بعد ان تبين للولايات المتحدة مدى خسائر الجانب (الإسرائيلي) في الحرب، واستحالة نجاحها عسكرياً في إنهاء الحرب لصالحها، فاتفقت الدولتان على عقد مؤتمر للسلام في مدينة جنيف تحت إشرافهما لغرض التوصل إلى تسوية شاملة لمشكلة الشرق الأوسط، على أساس تنفيذ القرار (٢٤٢). إلا انه وبمجرد نجاح (إسرائيل)، في إحداث ثغرة في القوات المسلحة المصرية، وقطع طريق إمدادات الجيش الثالث، بدأ كيسنجر يعمل على تفريغ فكرة المؤتمر من مضمونها والتركيز على المسائل الإجرائية، لاسيما بعد ان ضمنت (إسرائيل) مركزاً تفاوضياً قوياً، وأصبح اشتراك الاتحاد السوفيتي في المؤتمر يشكل قوة ضاغطة لصالح العرب، بسبب إصراره على الحل الشامل^(٢).

وعلى الرغم من التراجع الأمريكي في مسألة الالتزام بعقد المؤتمر، إلا ان الولايات المتحدة وافقت في النهاية على فكرة المؤتمر بسبب ضغط كبير من جانب الحكومة السوفيتية، و ان الولايات المتحدة كانت تخشى من ان يعطي ذلك المؤتمر للاتحاد السوفيتي، فرصة كبيرة في لعب دور مهم في مفاوضات الشرق الأوسط، بل ان اشتراكه وقيامه بذلك الدور يعد بمثابة اعتراف أمريكي بان للاتحاد السوفيتي مصالح مشروعة في المنطقة، وأكثر من ذلك كان يمكن ان تجد موسكو تشجيعاً للمطالبة بالقيام بدور مماثل في مناطق أخرى تعاني من الصراعات في العالم، وبالتالي تعمل على تقييد سياسة الولايات المتحدة^(٣).

وفي ٢١ كانون الأول ١٩٧٣ عُقد مؤتمر السلام بشأن الشرق الأوسط في جنيف وحضره ممثلون عن كل من الأمم المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد

(١) جمعة، المصدر السابق، ص ١٣١؛ فؤاد، المصدر السابق، ص-ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٢) رياض، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٢٩.

(3) Fahmy, Op. Cit., p.60.

السوفيتي ومصر والأردن و (إسرائيل)^(١)، وكان دور الأمم المتحدة شكلياً في المؤتمر، ذلك لان وزير خارجية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كانا بمثابة الرئيسان المناوبان للمؤتمر. وبينما تركزت جهود كيسنجر حول الوصول إلى اتفاق سريع لفصل القوات المتحاربة، على أساس ان تحقيق ذلك الفصل يسهل كثيراً من مهمة وقف إطلاق النار^(٢). كان الموقف السوفيتي في مؤتمر جنيف مؤيداً للجانب العربي، وجاء في كلمة غروميكو التي ألقاها أثناء المؤتمر:

((ان اي وثيقة تصدر عن المؤتمر يجب ان تشتمل على التزام واضح من إسرائيل بالانسحاب من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧...))^(٣).

ورغم تباين الآراء وعدم التوصل إلى قاسم مشترك للحوار، فقد توصل المجتمعون إلى اتفاق على عقد مفاوضات عسكرية فورية بين مصر و (إسرائيل)، هدفها التوصل إلى اتفاق حول فصل القوات المتمركزة عند قناة السويس وتشكيل لجان عمل أخرى للبحث في عدة قضايا تتعلق بالصراع العربي - (الإسرائيلي)^(٤).

لم يسفر مؤتمر جنيف عن نتائج مهمة لحل مشكلة الشرق الأوسط، ولم تتوصل الأطراف الدولية فيه إلى فكرة سلام حقيقي، بل انه أسفر عن نتيجة وصفت بأنها دون مستوى الطموحات والآمال التي عقدتها الأطراف العربية عليه، تلك النتيجة التي تمثلت بتكوين لجنة عمل عسكرية مهمتها بحث مسألة فصل القوات العربية - (الإسرائيلية)^(٥).

ومع ان المؤتمر لم يحقق أي نتائج ملموسة بشأن الانسحاب (الإسرائيلي)، فقد كان أثره في السياسة العربية واضحاً، وأدى غياب سوريا وفلسطين عن المؤتمر وحضور مصر والأردن إلى تصدع في الصف العربي، وبدا واضحاً ان الحكومة

(١) محمد جمال الدين العلوي، الصراع العربي - الصهيوني في السياسة الخارجية الأمريكية، (١٩٧٣-١٩٧٩)، (دراسة تاريخية - سياسية)، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٠، ص ٥٠.

(٢) شريف جويد العلوان، تسوية كامب ديفيد ومستقبل الصراع العربي - الصهيوني، دار واسط للنشر، (بغداد، ١٩٨٢)، ص ٧٧.

(٣) عادل مالك، من رودس إلى جنيف، دار النهار للنشر، (بيروت، ١٩٧٤)، ص ٣٤٨.

(٤) الأيوبي، المصدر السابق، ص ١٠١.

(٥) عبد العظيم رمضان، العلاقات المصرية - الإسرائيلية ١٩٤٨-١٩٧٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٢)، ص ٨٧.

المصرية، كانت تسعى إلى حل منفرد يضمن سلامة الجيش المصري الثالث، من خلال اتفاق لفصل القوات وإعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل ٦ تشرين الأول ١٩٧٣ (١).

ولابد ان السوفيت وجدوا صعوبة فائقة في فهم حسابات العالم العربي، التي أوصلت الأمور إلى هذا الحد، ومن المؤكد ان صيغة الرسالة التي أرسلها غروميكو إلى السادات، بعد مؤتمر جنيف، كانت تتضمن مزيجاً من الغضب والاسترضاء إذ جاء فيها: ((لو ان العرب والسوفيت حافظوا على تعاون وثيق فيما بينهم بعد الحرب، لجاء مؤتمر جنيف بنتائج أفضل بكثير لكل منهما)) (٢).

وبما ان السوفيت كانوا ضد الحلول الفردية، وكانوا دائماً مع حل شامل يضمن لجميع الأطراف العربية حقوقها. فان الافتراق والاختلاف بين مصر والاتحاد السوفيتي بدا واضحاً، وكان يوازي ذلك الافتراق تقارباً مصرياً أمريكياً يضمن للقيادة المصرية تحقيق حلول منفردة على شكل اتفاقيات، تتم على مراحل (٣).

ونتيجة لذلك لم يكن للاتحاد السوفيتي دواعٍ كثيرة للشعور بالارتياح تجاه تطورات الشرق الأوسط، فقد شعر بان حلفاءه كافئوا دعمه العسكري والسياسي لهم، باستئناف العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة، واستقبال وزير خارجيتها في القاهرة بوصفه (صانع السلام) ولا شك بان تلك النتائج نبهت الحكومة السوفيتية مجدداً إلى المخاطر التي تحيق بمصالحهم في الشرق الأوسط، فطوال ثمان عشر سنة دأب الاتحاد السوفيتي على استغلال الصراع العربي - (الإسرائيلي) من اجل بناء وتعزيز نفوذه في المنطقة على حساب الولايات المتحدة، وذلك من خلال قيامه بدور النصير الأول للقضية الفلسطينية، لذا فان أي تسوية لذلك الصراع ستحرم

(١) جمعة، المصدر السابق، ص ١٣١، كان موضوع العودة إلى خطوط ٥ تشرين الأول، قد طرح في ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٣، من قبل القيادة العسكرية (الإسرائيلية) على اعتبار ان من غير الممكن تحديد خطوط ٢٢ تشرين الأول ١٩٧٣. الأيوبي، المصدر السابق، ص ٩١.

(٢) نقلاً عن: مجموعة مؤلفين، النار والجليد، المصدر السابق، ص ٢٠٧.

(٣) وقد تم ذلك فعلاً من خلال اتفاقية فض الاشتباك الأولى في كانون الثاني ١٩٧٤ مع مصر، واتفاقية فض الاشتباك مع سوريا في أيلول ١٩٧٤، واتفاقية فض الاشتباك الثانية مع مصر في أيلول ١٩٧٥. هنري لورنس، اللعبة الكبرى - الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية، ترجمة: د. محمد مخلوف، ط ١، دار قرطبة للنشر والتوثيق، (د. م، ١٩٩٢)، ص-ص ٢٨٧-٢٨٨.

الاتحاد السوفيتي من تلك الميزة، وتسهل العودة السريعة للنفوذ الأمريكي إلى المنطقة^(١).

وهكذا نجحت الحكومة المصرية في إقصاء السوفيت عن عملية السلام، وأعدت إلى مصر حضوراً أمريكياً مكثفاً، وعلى ذلك الذبح زجج الرئيس المصري في استخدام الأسلحة السوفيتية، وبفاعلية لكي يتوصل في النهاية إلى تقارب نهائي مع الغرب^(٢).

كما واجهت الحكومة السوفيتية بعد الحرب مشكلة اندسار نفوذها في مصر مرة أخرى بعد ان كان قد عاد إلى سابق عهده جزئياً نتيجة شحنات المعدات العسكرية السوفيتية الضخمة المرسل إليها^(٣).

ومع ذلك فهناك من يرى بان الاتحاد السوفيتي ربح من خلال تجربة حرب ١٩٧٣، معلومات عملية مهمة تتعلق بمدى كفاءة معداته العسكرية، التي استعملتها القوات العربية، ففي الوقت الذي حصلت فيه الدبابات السوفيتية، وحاملات الجنود المختلفة، على تجارب حربية قيمة، ساحت الفرصة للسوفيت خلال الحرب لمعرفة مدى فاعلية معدات العبور المائية، عندما استعملتها القوات المصرية بنجاح أثناء عبور قناة السويس، وشهد السوفيت جوانب القصور في طائراتهم من طراز (ميج ٢١) في المعركة ضد الطائرات (الإسرائيلية)، وأتاحت لهم الحرب فرصاً إضافية لمعرفة مدى التحسينات التي طرأت على الطائرات الأمريكية من نوع ف-٤؛ وف أ، كما أعطت الحرب للسوفيت دروساً كبيرة في معرفة مدى فاعلية أجهزتهم الالكترونية مقارنة بنظيرتها الأمريكية^(٤).

(١) ديمتري سايمز "النهج السوفيتي تجاه الصراع العربي - الإسرائيلي" مجلة السياسة الدولية، العدد (٧٤)، تشرين الأول ١٩٨٣، ص ٩٧؛ المسح الاستراتيجي لعام ١٩٧٣، المصدر السابق، ص ٨٤.

(٢) قرم، المصدر السابق، ص ٢٥٥.

(3) O. M. Smolansky "The United State and The Soviet Union in the Middle East" proceedings of the Academy of political Science, Vol. 33, No. 1, 1978, p.105.

(٤) ميزان التسليح العربي - الإسرائيلي منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣، تقرير للمعهد الأمريكي للأبحاث السياسية، ترجمة: نيقولا صيقل، دار القدس، (د. م، ١٩٧٤)، ص ٧٠.

ويرى نيكولاي ايفلييف (الملحق العسكري في السفارة السوفيتية في مصر) ان من أهم الغنائم التي حصل عليها الاتحاد السوفيتي في حرب ١٩٧٣، هي الدبابة الأمريكية طراز (M٦٠)، المعدلة، التي كانت تعد آنذاك حديثة الصنع، ومن الغنائم الأخرى كذلك طائرة استطلاع أمريكية تم نقلها إلى الاتحاد السوفيتي^(١) ومن جهة ثانية فان قرار حظر النفط العربي أدى إلى ارتفاع اسعار النفط واستفاد السوفيت لكونهم من الدول المصدرة للنفط^(٢).

(١) لقاء مع نيكولاي ايفلييف، (الملحق العسكري في السفارة السوفيتية في مصر)، المصدر السابق.

(٢) شارل زور غبيب، سياسة الكبار في البحر الأبيض المتوسط، ترجمة: خضر خضر، توزيع جروس بيرس، (بيروت، ١٩٨٦)، ص ٣٧.

(٣) وازداد تدهور العلاقات المصرية - السوفيتية بعد انتقاد الاتحاد السوفيتي لاتفاقيات فصل الق

العربية - (الإسرائيلية)، واعتبارها محاولة أمريكية للانفراد بإدارة الأزمات في المنطقة، كما وقعت خلافات بين مصر والاتحاد السوفيتي بشأن الديون العسكرية والاقتصادية السوفيتية على مصر واستمرت العلاقات بين البلدين على تلك الشاكلة من الخلافات وفقدان الثقة حتى بلغت الأمور ذروتها في ١٤ آذار ١٩٧٦، حينما اصدر الرئيس المصري قراراً بإلغاء معاهدة الصداقة والتعاون من الاتحاد السوفيتي ينظر: هاشم علي مدسن، الحرب الرابعة والقياس العلمي لتحديد طابع الحرب، دار الطليعة للطباعة، (بيروت، د.ت)، ص ١٥٠؛ حمدان وآخرون، المصدر السابق، ص ٩٨؛ جلال أمين، قصة ديون مصر الخارجية من عصر محمد علي إلى اليوم، دار الفجر، (القاهرة، ١٩٨٧)، ص ٨٢؛ "القرار الجمهوري بشأن إنهاء العمل بالمعاهدة المصرية - السوفيتية، ١٤ مارس ١٩٧٦" السياسة الدولية (القاهرة)، العدد (٤٥) تموز ١٩٧٦، ص ٢٤٣.

الفصل الرابع

العلاقات الاقتصادية والثقافية بين مصر والاتحاد السوفيتي

المبحث الأول

التبادل التجاري والتعاون الاقتصادي بين مصر والاتحاد السوفيتي

أولاً - التبادل التجاري بين مصر والاتحاد السوفيتي :

تعد مصر من الأقطار التي تربطها بالاتحاد السوفيتي علاقات تجارية قديمة، غير ان تلك الروابط التجارية لم تكن ذات طابع منتظم، وكانت تجري من حيث الأساس بصفة صفقات تجارية، تبادل بها مصر، قطنها بالحبوب السوفيتية^(١). لقد شهدت الأعوام (١٩٢٤-١٩٣٢) نمواً كبيراً في التجارة بين البلدين وخلال تلك الفترة كانت الصادرات السوفيتية من منتجات البترول والأخشاب والسكر، والقمح والكبريت وبعض السلع الأخرى تسلم إلى مصر مقابل القطن المصري، ومع ذلك فان مواصلة تنمية العمليات التجارية المنتظمة المتعددة الجوانب، كان يعوقها عدم وجود علاقات دبلوماسية بين البلدين^(٢).

وبعد إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين عام ١٩٤٣، كانت مسألة تجديد العلاقات التجارية مع الاتحاد السوفيتي، التي انقطعت منذ بدأ الحرب العالمية الثانية، محل سعي حثيث من جانب دوائر الحكومة المصرية. وفي عام ١٩٤٨ استضافت القاهرة وفداً سوفيتياً، وصل إليها لمناقشة إمكانية إنعاش التجارة السوفيتية - المصرية. وفي آذار ١٩٤٨ عقدت بين الجانبين اتفاقية للتبادل التجاري عن طريق المقايضة، تنص على مبادلة ٢٣٥,٠٠٠ طن من القمح والذرة السوفيتيين مقابل ٣٨,٠٠٠ طن من القطن المصري. وبعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢، انفتحت آفاق واسعة لتنمية التجارة بين البلدين. وفي ١٨ آب ١٩٥٣، وقعت في القاهرة، اتفاقية تجارية أسهمت بدور كبير في مواصلة تنمية العمليات التجارية المصرية - السوفيتية^(٣).

وفي ٢٧ آذار ١٩٥٤، وقعت في موسكو معاهدة تجارية، تقرر بمقتضاها ان يصدر الاتحاد السوفيتي إلى مصر البترول الخام ومنتجات الحديد والصلب، ومعدات

(١) ف. ريمالوف، التعاون الاقتصادي بين الاتحاد السوفيتي والبلدان ضعيفة التطور، ترجمة: طه الصواف، دار الطبع والنشر باللغات الأجنبية، (موسكو، د. ت)، ص ١٦٤.

(٢) صحيفة الأهرام، العدد ٣٠٤٧٥، ١٩/٥/١٩٧٠.

(٣) المصدر نفسه.

تعبيد الطرق، وأجهزة التعدين، وآلات حفر الخنادق، والآلات الزراعية، وأجهزة تلفونية، وسيارات مختلفة الأحجام، ومواد صناعية ومواد طبية وحبوب^(١). وان تصدر مصر إلى الاتحاد السوفيتي القطن والأرز و غزل الحرير الصناعي والجلود الحيوانية المختلفة^(٢). وبناءً على أسس الاتفاقية، وقعت في القاهرة، في ٦ أيلول ١٩٥٥، عقود شراء تتضمن مقايضة الاتحاد السوفيتي لـ ٦٠,٠٠٠ طن من الأرز المصري، مقابل ٥٠٠,٠٠٠ طن من البترول السوفيتي^(٣).

وخلال الفترة (١٩٥٤-١٩٥٧) تضاعف حجم التجارة بين مصر والاتحاد السوفيتي، إذ كان حجم التبادل التجاري بين البلدين يقدر في عام ١٩٥٤ بـ ٦٩ مليون روبل، ارتفع ذلك المبلغ في سنة ١٩٥٦ إلى ٣٥٥ مليون روبل وزاد في عام ١٩٥٨ على ٧٧٩ مليون روبل، واتسعت لدرجة كبيرة تشكيلة البضائع التجارية، إذ أخذت تتدفق على مصر من الاتحاد السوفيتي الماكينات، والأجهزة، والمواد الأخرى الضرورية لنهوض الاقتصاد الوطني المصري^(٤).

وخلال تلك الفترة صدر الاتحاد السوفيتي إلى مصر ما نسبته ٤٣% من احتياجات مصر من الدقيق، و ٣٧% من احتياجاتها للبترول، و ٣٧% مما تحتاجه من الأخشاب، وما يزيد على ٢٧% من الجرارات^(٥).

وبالتدريج تحولت عمليات المقايضة إلى تجارة منتظمة، ومع نهاية الخمسينيات كان كلا البلدين يحصل على نصيب هام في تجارة البلد الآخر حتى أصبح الجانبين مدركين لأهمية وضرورة التجارة على أساس الاتفاقيات طويلة الأجل، وقد أجريت

(١) دار الوثائق القومية المصرية (د. و. ق. م) محفوظات مجلس الوزراء المصري، محفظة (١٠٣)، ملـ

١٠٣/٣، ج ٢.

(٢) ف. مو ليكوف، الاتحاد السوفيتي ومصر، دار العالم العربي، (القاهرة، ١٩٥٦)، ص-ص ١٢-١٣.

(٣) د.ك. و، ملفات البلاط الملكي، رقم الملف ٥٩٥٣١١/٥، تقرير السفارة العراقية في القاهرة، المرقم ١٢٨/٣٤٢، المؤرخ في ١٩٥٦/٤/٣، ص ٦٣.

(٤) ريمالوف، المصدر السابق، ص ١٦٥.

(٥) ف. تولستيكوف، التعاون الاقتصادي للاتحاد السوفيتي مع بلدان الشرق، منشورات سفارة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية في القاهرة، (القاهرة، ١٩٦٠)، ص ٢٢.

محدثات بهذا الغرض في عام ١٩٦٢ وأسفرت عن توقيع أول اتفاقية جديدة للدفع في ٢٣ حزيران ١٩٦٢^(١).

في ضوء الفوائد التي حققتها تلك الاتفاقية طويلة الأجل وقع الجانبان اتفاقية جديدة في ٣٠ كانون الأول ١٩٦٥، تغطي فترة الخمس سنوات (١٩٦٦-١٩٧٠)، وجدير بالذكر ان الآلات، والقمح والبتروك كانت تشكل الجزء الرئيسي من الصادرات السوفيتية لـ ج. ع. م في ذلك الوقت^(٢).

وفي ٣ كانون الثاني ١٩٦٧، تم التوقيع على اتفاق تجاري بين ج. ع. م والاتحاد السوفيتي، يقضي بتوريد ٢٥٠ ألف طن من القمح السوفيتي. كدفعة أولى من الكمية التي سيوردها الاتحاد السوفيتي لـ ج. ع. م، التي يبلغ قدرها ٦٥٠ ألف طن، ويقدر ثمنها بـ ١٨ مليون دولار^(٣).

وفي شباط ١٩٦٧، وصلت إلى ميناء الإسكندرية شحنة من القمح السوفيتي المتعاقد عليه، يبلغ مقدارها ١٠٠ ألف طن^(٤).

وقد تم ذلك الاتفاق على شكل مقايضة بحيث تدفع ج. ع. م مقابل القمح منتجات محلية مثل نسيج القطن، والثياب، والأحذية، والأطعمة المعلبة، كما كان في نية الجانبان اتباع صفقة القمح بصفقات تجارية تبلغ قيمتها حوالي ٨ ملايين دولار، بمعدل ٥٠ ألف طن من السكر، و ١٧ ألف طن من الزيوت و ٧ آلاف طن من الشحوم^(٥).

وضمن إحصائية سوفيتية أجريت في مطلع عام ١٩٦٧، كانت، ج. ع. م تحتل المرتبة الثانية في تجارة الاتحاد السوفيتي مع البلدان النامية^(٦).

وفي ٥ تشرين الثاني ١٩٦٨ تم توقيع عقد تجاري بين ج. ع. م والاتحاد السوفيتي لتصدير عطور ومنتجات تجميل، تبلغ قيمة ذلك العقد ١,٥ مليون دولار^(١).

(١) د. و. ق. م، محفوظات مجلس الوزراء، محفظة (١٠٣)، ملف ١-٢٦/٣، ج ١.

(٢) صحيفة الأهرام، العدد ٣٠٤٧٥، ١٩/٥/١٩٧٠.

(٣) صحيفة الأهرام، العدد ٢٩٢٤٣، ١٣/١/١٩٦٧.

(٤) صحيفة المساء (القاهرة)، العدد ٣٧٢٥، ٢/٢/١٩٦٧.

(٥) صحيفة الأهرام، العدد ٣٠٤٧٥، ١٩/٥/١٩٧٠.

(٦) التعاون بين الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة "نشرة وكالة تاس الإخبارية"، العدد (٦)، ١٩٦٧/١/٩، ص ٤، مؤسسة دار البعث، دمشق، رمز المحفظة، ١/٢/١١/٦/١.

وشهد عام ١٩٦٩ تزايداً واضحاً في التبادل التجاري إذ قدرت قيمة السلع المتبادلة بـ ٤٢٠ مليون روبل^(٢).

وفي شباط ١٩٦٩ تم توقيع اتفاق للتبادل التجاري بين ج. ع. م والاتحاد السوفيتي للعام ١٩٦٩-١٩٧٠، ووصل حجم التبادل التجاري بين البلدين طبقاً للاتفاق الجديد إلى ١٦٥ مليون جنيه مصري تقريباً. وقع الاتفاق من الجانب السوفيتي السيد اليكوف فلاديمير (نائب وزير التجارة الخارجية السوفيتية) وعن الجانب المصري السيد محمد شديد (رئيس مجلس إدارة مؤسسة التجارة المصرية)، ويتضمن ذلك الاتفاق قيام الاتحاد السوفيتي بتوريد العديد من السلع إلى ج. ع. م مثل الآلات والمعدات، والقمح، والفحم، والبتترول الخام، والمنتجات البترولية، ومنتجات معدنية مختلفة، وأخشاب مذشورة، ولب خشب، ومنتجات كيميائية مختلفة، وأصباغ، وزيوت، وتصدر ج. ع. م إلى الاتحاد السوفيتي كميات من المنتجات الزراعية المصرية في مقدمتها القطن والفول السوداني والأرز^(٣).

وفي عامي ١٩٧٠-١٩٧١ بلغ متوسط نسبة الآلات والمعدات في صادرات الاتحاد السوفيتي لمصر ٤٥% من مجموع صادراته للدول النامية^(٤). لقد تضاعفت صادرات الاتحاد السوفيتي إلى مصر خلال الفترة (١٩٥٥-١٩٧١) بمقدار ٣٤ مرة، وخلال نفس تلك السنوات تضاعفت صادرات مصر إلى الاتحاد السوفيتي بمقدار ٢٢ مرة، وتقدم مصر للاتحاد السوفيتي سلع التصدير التقليدية مثل القطن الذي بلغت صادراته إلى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٧١ نسبة ٤٥% من القيمة الإجمالية للصادرات المصرية والأرز بنسبة (٧%) والخضراوات والفواكه بنسبة (٧%)^(٥).

(١) صحيفة الاخبار، العدد ٥١٠٦، ١٩٦٨/١١/٦.

(٢) صحيفة الأهرام، العدد ٣٠٤٧٥، ١٩٧٠/٥/١٩.

(٣) صحيفة اليوم (الرياض)، العدد ٧٧٨٣، ١٩٦٩/٢/١١.

(٤) مشكلات التصنيع في البلدان النامية، ترجمة: دار التقدم، (موسكو، ١٩٧٤)، ص ٣٠٦.

(٥) تاديوش تيودوروفيتش، الاتحاد السوفيتي وجمهورية مصر العربية، التعاون الاقتصادي المثمر، دار نشر وكالة نوفوستي للأنباء، (موسكو، ١٩٧٣)، ص ٣٠.

وفي ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٢، وقعت في القاهرة اتفاقية بشأن التبادل التجاري بين الاتحاد السوفيتي ومصر لتنظيم التجارة خلال الفترة (١٩٧١-١٩٧٥)، وتميزت تلك الاتفاقية بتأكيدا على زيادة حجم التبادل التجاري بين البلدين، إذ نصت على ازدياد حجم التبادل عند عام ١٩٧٥ بنسبة (٣٥%) عن مستواه في السنوات السابقة. وبموجب تلك الاتفاقية تعهد الاتحاد السوفيتي بأن يصدر الكثير من المنتجات التي تحتاج إليها مصر لتنمية اقتصادها، مثل البترول ومنتجات المعادن الحديدية، والأخشاب، وتشكيلة واسعة من الماكينات والمعدات لجميع فروع الصناعة والاقتصاد المصري^(١).

وفي ٩ شباط ١٩٧٢ وافق الاتحاد السوفيتي على توريد ١٤ ألف طن من الأسماك المجمدة لمصر^(٢). ويقدر مجموع ما صدره الاتحاد السوفيتي من سلع تجارية لمصر خلال عام ١٩٧٢ بما يقرب من ١٤٠ مليون جنيه مصري، بينما صدر الجانب المصري للاتحاد السوفيتي في نفس العام سلعاً تجارية بمبلغ ١٣٠ مليون جنيه مصري، وتضمنت تلك الصادرات سلعاً جديدة مثل مساحيق الغسيل، والمنتجات الزراعية والسلع الحرفية^(٣).

ثانياً :- التعاون الاقتصادي بين مصر والاتحاد السوفيتي :

يعد العامل الاقتصادي من العوامل التي أدت إلى توجه الاتحاد السوفيتي إلى الدول النامية وبضمنها الدول العربية، ونعني بذلك المشاركة في تصنيع تلك الدول، وزيادة النزعة الاستقلالية لديها.

ومن الخصائص التي ميزت المساعدات الاقتصادية السوفيتية للدول النامية في المجال الصناعي، كون القروض السوفيتية تقدم لتلك الدول بدون شروط سياسية، وبفائدة مئوية منخفضة، ليست أكثر من ٢,٥% ولأجل طويلة تصل عادة إلى ١٢

(١) صحيفة الأهرام، العدد ٢١٠٨٨، ٢٢/١/١٩٧٢.

(٢) صحيفة الأهرام، العدد ٣١١٠٧، ١٠/٢/١٩٧٢.

(٣) صحيفة الجمهورية (القاهرة)، العدد ٧٠١٨، ١٤/٣/١٩٧٣.

عاماً وبشروط أكثر فائدة للتسديد بما في ذلك التسديد بالبضائع التقليدية المنتجة في البلد المستلم للقرض، أو بالعملة المحلية للبلد في اغلب الأحوال^(١).

وان الآجال الطويلة في تسديد القروض السوفيتية تكفي لان تستطيع المشاريع الصناعية، التي تشيد بواسطة تلك القروض، توفير تراكمات يتم عن طريقها تسديد تلك القروض^(٢). بل ان اغلب المشاريع توفر خلال ١٢ عاماً دخلاً يتيح ليس فقط تسديد القروض بل وأيضا توفير مبالغ كافية للنهوض باقتصاد البلاد^(٣).

كما يسعى الاتحاد السوفيتي من وراء تقديم مساعداته المالية وخبراته الفنية إلى إنشاء كوادر علمية من أبناء تلك الدول المتلقية للمساعدات، حيث تصبح مع مرور الوقت قادرة على إدارة اقتصادها بنفسها، وبذلك الصدد تحدث الزعيم السوفيتي خروشوف قائلاً: ((... ان الاتحاد السوفيتي يقدم مساعدته بالدرجة الأولى، لتتمكن تلك الدول التي تتلقى هذه المساعدة من إنشاء صناعة حقيقية خاصة بها، لا تنتج السلع الاستهلاكية فحسب، بل ووسائل الإنتاج قبل كل شيء...))^(٤).

ومن الخصائص الأخرى للمساعدات السوفيتية للدول النامية هي عدم التدخل في الشؤون الداخلية لتلك الدول، أو التدخل في اختيار المشاريع الصناعية اللازمة لتنمية البلاد، أو محاولة استغلال القرض المالي لغرض الرقابة على عملية تطوير تلك البلاد الفتية، وقد تطرق إلى ذلك الزعيم السوفيتي برجنيف في التقرير المقدم للمؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي عام ١٩٧٦ عندما قال: ((... فالاتحاد السوفيتي لن يتدخل في الشؤون الداخلية للدول والشعوب الأخرى ويحترم احتراماً كبيراً الحقوق المقدسة لكل شعب، ولكل شعب ان يختار طريقه بنفسه، هذا

(١) فاخروشيف، السياسة الاستعمارية بعد الحرب العالمية الثانية، ترجمة: دار التقدم (موسكو، د. ت)، ص ٨٣؛ ايفان غروشيف، المسألة القومية في الاتحاد السوفيتي - تجارب وحلول، ترجمة: فارس غصوب، دار الفارابي، (بيروت، ١٩٧٣)، ص ١٩٢.

(٢) ايلين وموتيليف، ما هو الاقتصاد السياسي، ترجمة: فهد كم نقش، دار التقدم (موسكو، ١٩٨٧)، ص ٣٨٣.

(٣) م. ف. نيستروف، توسيع العلاقات الاقتصادية والتجارية يدعم السلام، منشورات مكتب الصحافة في سفارة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية في القاهرة، (القاهرة، ١٩٦٠)، ص ٥٠.

(٤) نقلاً عن: فيتوني، البلدان المختلفة وسياسة الغرب الاقتصادية، دار التقدم (موسكو، د. ت)، ص ٥٧.

هو المبدأ اللينيني الثابت بالنسبة للسياسة الخارجية، ولكننا لم نخفِ وجهة نظرنا، فنحن نقف إلى جانب البلدان النامية ونقف إلى جانب قوى التقدم الديمقراطية والاستقلال الوطني، ونتعاون معهم كأصدقاء ورفاق في نضال مشترك^(١).

وقد ألمح الرئيس المصري جمال عبد الناصر إلى تلك المسألة من خلال تأكيده على أن الولايات المتحدة ترفق دائماً بقروضها شروطاً لا يمكن أن تُقبل من خلال مطالبتها بالإشراف على الشؤون المالية المصرية، والمطالبة بقواعد أمريكية إستراتيجية في مصر والإصرار على دخول الأخيرة في أحلاف سياسية وإن ذلك كله سيؤدي إلى فقدان السيادة المصرية^(٢).

ومع ذلك فإن القول بأن المشاريع الاقتصادية التي يقدمها الاتحاد السوفيتي للدول النامية لا تعود عليه بأي نفع، وإنها تشكل ضغطاً على الاقتصاد السوفيتي هو قول يجانب الصواب، بل هي في الغالب مشاريع متبادلة النفع، توفر فرص عمل للخبراء السوفيت في تلك الدول، وإن كانت تلك المساعدات والخبرات تُقدم ضمن تسهيلات كبيرة، إلا أنها لم تكن مجانية، ولم تكن عديمة الفائدة بالنسبة للجانب السوفيتي، فبالنسبة للصناعة السوفيتية، فإن المنتجات المحلية للدول النامية - التي تدفع لغرض تسديد القروض السوفيتية - تشكل المواد الأولية اللازمة التي ينتجها الاتحاد السوفيتي بكميات غير كافية، وقد لا ينتجها محلياً^(٣).

وفي حين يقول الزعيم السوفيتي خروشوف ((إننا حين نمد يد المساعدة إلى الأقطار الفتية النامية فإننا نضغط لزمناً على إمكاناتنا، إلا إننا لو فكرنا فقط بأنفسنا لأصبحنا شيوعيون ضعفاء))^(٤)، يرى أحد الدبلوماسيين السوفيت بان تقديرات الاتحاد السوفيتي كانت تبنى على أساس أن تطوير قطاع الطاقة في الدول النامية،

(١) نقلاً عن: إ. س. بورتنيانكوف، البلدان النامية - مشكلات العلاقات الاقتصادية الخارجية، ترجمة: ماجد علاء الدين، (دمشق، د. ت)، ص ١٤١.

(٢) نقلاً عن: بنوميشان، ذكريات سياسية ١٩٥٧-١٩٥٨، ط١، الدار العربية للموسوعات (بيروت، ٢٠٠٢)، ص ٢٦.

(٣) ب. تريتيانكوف، كيف يساعد الاتحاد السوفيتي البلدان المتخلفة اقتصادياً، منشورات مكتب الانباء السوفيتي (دمشق، ١٩٦٠)، ص ١٤.

(٤) ينظر: "خطاب نيكيتا خروشوف من إذاعة وتلفزيون موسكو، بعد عودته من الجمهورية العربية المتحدة"، مجلة الاخبار السوفيتية، تصدرها وكالة انباء نوفوستي، بغداد، العدد (١٠)، ٢٠ أيار ١٩٦٤.

سيؤدي إلى تطوير القطاعات الصناعية الأخرى وذلك سيؤدي في النهاية إلى بناء مؤسسات جديدة، ويوفر فرص العمل للعمال والفنيين السوفيت، وبذلك تصبح المنفعة متبادلة بين الاتحاد السوفيتي وتلك الدول^(١).

ويقدم الاتحاد السوفيتي مساعداته التقنية إلى الدول النامية بموجب اتفاقيات ثنائية^(٢). وبموجب تلك الاتفاقيات يتعاون الاتحاد السوفيتي مع تلك الدول في وضع المشاريع، وفي إنشاء المصانع ذات الأهمية الرئيسية لبناء أساس الاستقلال الاقتصادي، مثل مصانع الحديد والصلب، والسدود والمحطات الكهربائية، ومعامل الصناعة الخفيفة والمواد الطبية والى غير ذلك^(٣).

وبقدر تعلق الأمر بمصر، فقد بدأ تعاون الاتحاد السوفيتي معها في حقول المشاريع الصناعية والتنمية، ودراسة مواردها المعدنية، مباشرة بعد عقد اتفاقية التعاون الاقتصادي في ٢٧ كانون الأول ١٩٥٨^(٤).

التي وقعها من الجانب المصري عبد الحكيم عامر، ومن الجانب السوفيتي بيتي نيكيتين (نائب رئيس لجنة العلاقات الاقتصادية الخارجية للاتحاد السوفيتي) ويفغيني كيسليف (السفير السوفيتي في مصر) (١٩٥٦-١٩٥٩)، وكان الموضوع الرئيسي لتلك الاتفاقية هو تقديم المساعدات السوفيتية لـ ج. ع. م لإنشاء عدد من المشاريع الصناعية المدرجة في الخطة الخمسية للتنمية الاقتصادية في ج. ع. م.

(١) لقاء مع بوغوس أكبوف (من ابرز الدبلوماسيين السوفيت في مصر خلال الفترة (١٩٦٠-١٩٧٧)، ضمن برنامج رحلة في الذاكرة، المصدر السابق.

(٢) مجموعة مؤلفين، التركيب الطبقي للبلدان النامية، ترجمة: داود حيدو ومصطفى الدباس، ط٢، منشورات وزارة الثقافة (دمشق، ١٩٧٤)، ص ٩٤.

(٣) ف. الخمينوف، التعاون المتبادل النفع بين الاتحاد السوفيتي والبلدان المتخلفة اقتصادياً، منشورات دار الفارابي، (بيروت، ١٩٥٧)، ص ٩؛ دريير، التحولات الثقافية في البلدان النامية، ترجمة: دار التقدم، (موسكو، ١٩٧٦)، ص ١٥٤.

(٤) احمد حماد: الاتحاد السوفيتي والبلدان العربية - العلاقات الاقتصادية والتجارية، منشورات وزارة الإعلام السورية، (دمشق، ١٩٨١)، ص ٣٧.

(١٩٦٠-١٩٦٥)، وقد بلغت القيمة الكلية لكل المشاريع الصناعية، التي أقيمت داخل إطار تلك الاتفاقية ما يقرب من (١٨٨) مليون جنيه مصري^(١).

- المساهمة السوفيتية في إنشاء مشروع السد العالي :

تعهد الاتحاد السوفيتي ضمن اتفاقية ٢٧ كانون الأول ١٩٥٨ بالمساهمة في انجاز المرحلة الأولى من إنشاء مشروع السد العالي، الذي يعد رمزاً من رموز الصداقة المصرية - السوفيتية، وبعد توقيع الاتفاق طالب الجانب السوفيتي ان يعد الجانب المصري بحثاً فنياً مطولاً بكل مراحل المشروع، لنشره في إحدى المجلات العلمية في الاتحاد السوفيتي، باعتبار ان ذلك سيعطي الفرصة لجميع المتخصصين هناك للاطلاع على المشروع وإبداء الرأي فيه^(٢). ثم بدأت وزارة تشييد المحطات الكهربائية في الاتحاد السوفيتي، ولا سيما في معهد (هيدرو بروجكت) للمشاريع المائية، في اختيار نخبة من المهندسين، والفنيين السوفيت للسفر إلى ج. ع. م، وصدرت التعليمات إلى عشرات المصانع السوفيتية بالاستعداد لإنهاء ما يطلب منها من أجهزة يحتاجها العمل هناك^(٣).

وأنشئت إدارة مصرية خاصة يعاونها نخبة من الخبراء السوفيت، لتتولى الشؤون الفنية والمالية والإدارية للمشروع^(٤).

وفي آذار ١٩٥٩ وصلت بعثة من الخبراء السوفيت في إقامة السدود المائية برئاسة (إيفان كومزين) إلى القاهرة لدراسة المشروع^(٥). كما سافرت بعثة من

(١) الهمام محمد السيد عفيفي، معركة بناء السد العالي وتأثيره الاقتصادي ١٩٥٢-١٩٨٧، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة، ٢٠٠٩)، ص ١٥؛ صحيفة الجمهورية (مصر) العدد ٧٠٢٤، ١٩٧٣/١/٢٠.

(٢) رجب محمود، ملحمة السد العالي، ط ١، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٦)، ص ٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٠؛ ن. ا. ماليشيف "السد العالي في أسوان" مجلة الشرق (القاهرة)، السنة الثالثة، العدد (٣١)، تشرين الأول ١٩٥٩، ص ٦٢.

(٤) موسى عرفة، السد العالي، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٥)، ص ٦٠.

(٥) إيفان كومزين، بناء السد العالي (ذكريات مهندس سوفيتي)، دار الطبع والنشر، باللغات الأجنبية.

(موسكو، د. ت)، ص ١٦، في عام ١٩٦٣ تم استبدال كومزين، بالخبير السوفيتي، الكسندروف (الذي يعد من خيرة خبراء السوفيت في ذلك المجال)، غالب، المصدر السابق، ص ٧٤.

أعضاء لجنة السد العالي في أيار ١٩٥٩ إلى الاتحاد السوفيتي لمناقشة الخبراء السوفيت في الخطوط الرئيسية للمشروع، وقامت كذلك بزيارة السدود الكبرى لمعرفة الأساليب الفنية التي يتبعها الخبراء السوفيت^(١).

وفي ١٤ تشرين الأول ١٩٥٩ قامت الباخرة الروسية (كاميشين) والباخرة المصرية (بنها) بشحن أولى الأجهزة والمواد الخاصة بالمشروع، ثم بدأت تتوافد إلى مدينة أسوان المصرية حفارات الديزل، والحفارات الكهربائية، والبُلدوزرات القوية والجررات، ورافعات الديزل، واللوريات الأتوماتيكية التفريغ، وآلات الحفر اللولبية والمكابس الهوائية وغيرها من المواد اللازمة في بناء ذلك المشروع. وقام كل من الخبراء السوفيت في مجال الحفر: فلاديمير خاركين، وفاسيلي كليمنتيف، وبافل ار تامونوف وفاسيلي تاتارنكو وايفان شيفولدايف بتدريب ٤٨ عامل مصري على العمل على الحفارات السوفيتية^(٢).

ولكي يضمن الاتحاد السوفيتي انجاز المرحلة الأولى من السد بنجاح، قدم لـ ج. ع. م، قرضاً طويل الأجل قيمته ٤٠٠ مليون روبل ما يعادل ٣٤,٨ مليون جنيه، على أن يبدأ تسديد القرض في عام ١٩٦٤، بفائدة سنوية قدرها ٢,٥% وتعد تلك الشروط مريحة إذا ما علمنا أن اليابان، قد عرضت على ج. ع. م، في نفس العام قرضاً بفائدة سنوية قدرها ٥,٥%، وعرضت ألمانيا قرضها بفائدة قدرها ٥,٥%^(٣).

ويلاحظ أن الاتحاد السوفيتي وافق على مواصلة تعهده بإنشاء السد العالي، على الرغم من الخلافات السياسية بين الحكومتين المصرية والسوفيتية. ففي تشرين الثاني ١٩٥٩ قام وفد مصري لزيارة للاتحاد السوفيتي، كان الهدف منها هو الوقوف على معرفة هل أن السوفيت سيواصلون بناء السد العالي، أو أن العمل به سيتوقف نتيجة الخلافات السياسية التي بلغت ذروتها بين البلدين آنذاك؟، وحينها قال خروشوف: ((إن مسألة بناء السد العالي امرأ لا نقاش فيه، فطالما وقعنا على اتفاقية

(١) حسن زكي، السد العالي وسياسة ضبط نهر النيل، (القاهرة، ١٩٧٦)، ص ٩٤.

(٢) كومزين، المصدر السابق، ص ٥٩، ٤١.

(٣) أ. كوليف، رمز الصداقة السوفيتية العربية، دار نشر وكالة نوفوستي (موسكو، ١٩٧٤)، ص ١٤؛ تولستيفوف، المصدر السابق، ص ٣٥؛ فاسلييف، مصر والمصريين، ص ٣٩.

بناء المشروع، فنحن ملتزمون ببناء السد العالي حتى النهاية^(١). وتلك كانت ميزة أخرى تميزت بها المساعدات الاقتصادية السوفيتية وهي عدم تأثرها بتطورات الظروف السياسية وتآزمها بين الاتحاد السوفيتي والبلدان المقرر التعاون معها.

وفي آذار ١٩٦٠ وصل إلى مدينة أسوان الأختصاصيون السوفيت في استخدام الشاحنات الكبيرة وهم كل من: المهندس الكسندر يونين والمدرّب التقني نيقولاى شارشوف والمهندس نيقولاى كاتشانوف، والمهندس فكتور سفيتينيف، والتقني ليونيد بوشخونوف، وفي مدى عام واحد فقط قام هؤلاء الفنيون السوفيت بإعداد ٧٦٠ عامل مصري للأعمال الخاصة بالشاحنات في المشروع، وقد دربهم الأخصائون السوفيت على القيادة السليمة لها والفحص الوقائي المناسب، والطريقة الناجحة لتصليحها^(٢).

كان في أسوان ما يقرب من ٨٠٠ امرأة سوفيتية، كنّ يعملن مترجمات وطبيبات ومدرسات، إلى جانب ما يقرب من ألف طفل سوفيتي^(٣). وإن كان الخبراء السوفيت وعائلاتهم في مصر قد احتفظوا بحياتهم الاجتماعية الخاصة وتقاليدهم، إلا أنهم لم يكونوا غرباء في مصر، وكانوا يحظون باحتفاء شعبي مصري واسع^(٤).

وفي ٢٧ تموز ١٩٦٠ تم التوقيع على اتفاقية انجاز المرحلة الثانية من إنشاء مشروع السد العالي، وتعهد الاتحاد السوفيتي بقرض جديد مقداره ٧٨,٤ مليون جنيه مصري، يسدد على ١٢ قسطاً سنوياً، اعتباراً من عام ١٩٧٠، وبفائدة قدرها ٢,٥%^(٥).

بدأ التنفيذ الفعلي للمشروع في ٩ كانون الثاني ١٩٦٠، وتم انجاز المرحلة الأولى منه في ١٤ أيار ١٩٦٤، وافتتحت محطة كهرباء السد العالي في ٩ كانون

(١) لقاء مع احمد حمروش (احد الضباط الأحرار المصريين)، تم عرضه على قناة روسيا اليوم، ضمن برنامج رحلة في الذاكرة، الجمعة، ٢٠١٠/٥/٢١، توقيت العرض: الثامنة والنصف مساءً.

(٢) كومزين، المصدر السابق، ص ٥٨.

(٣) صنع الله إبراهيم وآخرون، انسان السد العالي، (القاهرة، د. ت)، ص ٧٧.

(٤) جيورجي سوخاريف، الهرم العظيم للقرن العشرين، دار وكالة نوفوستي، (موسكو، ١٩٧٤)، ص ٢٥.

(٥) على صبري، التطبيق الاشتراكي في مصر، ط ٢، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة، د. ت)، ص ١٤٣.

الثاني ١٩٦٨ بتشغيل ٣ توربينات، وفي تموز ١٩٧٠ اكتملت المحطة الكهربائية بتشغيل ١٢ توربين^(١).

وفي ١٣ كانون الثاني ١٩٧١، وجه القادة السوفيت رسالة تهنئة إلى القيادة المصرية بمناسبة الاحتفال بإنجاز المرحلة الثانية من مشروع السد العالي وجاء فيها ((... ان إتمام بناء سد أسوان العالي انتصار عظيم للشعب المصري الصديق الذي عقد العزم على ان يتبع في المستقبل ايضاً الطريق الذي اختاره من اجل الحرية والاستقلال والتقدم الاجتماعي على الرغم من مؤامرات الامبريالية... لقد أصبح مشروع القوى المائية العملاق في أسوان - وهو واحد من أعظم صروح القرن العشرين رمزاً حقيقياً للصدقة العربية - السوفيتية...))^(٢).

وفي ١٥ كانون الثاني ١٩٧١ تم الاحتفال بشكل رسمي بإنهاء المرحلة الثانية والأخيرة من مشروع السد العالي، ووقع الجانبان المصري والسوفيتي وثيقة انجاز وتشغيل محطة توليد القوى المائية في أسوان وجاء فيها ((... لقد مد الشعب السوفيتي يد الصداقة للشعب المصري، وقدم له المساعدة الأخوية دون اية شروط من اي نوع - سواء كانت سياسية أم غيرها- في انجاز مشروع القوى المائية في أسوان...))^(٣).

قدرت تكاليف بناء السد العالي في الأصل بأربعمائة وخمسة عشر مليون جنيه، وشمل ذلك المبلغ، بناء السد وإقامة محطة الطاقة الكهربائية وخطوط النقل واستصلاح الأراضي وبناء شبكة من الطرق وقنوات الري والإسكان وخدمات أخرى، وقد عدلت تلك التكاليف نظراً لارتفاع الأسعار، وخاصة بعد زيادة الأجور، فبلغت في سنة ١٩٦٥ ستمائة وثمانية عشر مليون جنيه^(٤).

(١) فليب جلاب، هل نهدم السد العالي، كتاب الاهالي، العدد السادس، (القاهرة، ١٩٨٥)، ص ٧٧؛ محمود عبد الفضيل، الاقتصاد المصري بين التخطيط المركزي والانفتاح الاقتصادي، ط ١، معهد الإنماء العربي، (طرابلس، ١٩٨٠)، ص ٤٩.

(٢) "رسالة الزعماء السوفيت للرئيس أنور السادات والدكتور محمود فوزي في ١٣ كانون الثاني ١٩٧١"، في كتاب، رمز الصداقة العظيمة، وكالة مطبوعات نوفوستي (القاهرة، ١٩٧١)، ص ٤.

(٣) ينظر: "وثيقة إتمام وتشغيل محطة القوى المائية في أسوان"، الملحق رقم (٥).

(٤) نجلاء أبو عز الدين، ناصر العرب، ترجمة: فريد أبو عز الدين، دار المستقبل العربي، ط ١، (القاهرة، ١٩٨٨)، ص ٦٤.

وفي ٢ كانون الثاني ١٩٧٨ سددت مصر آخر قسط من الديون السوفيتية المترتبة على بناء ذلك المشروع^(١).

يبلغ ارتفاع السد العالي (١١١) متراً فوق قاع النيل، وعرضه عند القاع ٩٨٠ متراً وعند القمة ٤٠ متراً^(٢). وبعد إنهاء المشروع بتعاون مصري - سوفيتي، أقيم في مدينة أسوان نصب خرساني تذكاري يرمز للصدقة المصرية - السوفيتية، قام بتصميم ذلك النصب كل من المعماريين السوفيتيين، ف. اوماشنكو وب. ب بافلوف، فضلاً عن مشاركة الذخات السوفيتي إني إيزفيسنتي في عمل النقوش البارزة على جدران النصب^(٣). الذي تم تصميمه على شكل زهرة لوتس ذات خمس أوراق، تقف على سطح الماء ويصل إليها طريقان يمثلان طريقي الشعبين المصري والسوفيتي، ويبلغ ارتفاعه ٧٢ متراً، يمكن الصعود إلى قمته بواسطة مصعدين كهربائيين، وقد نحتت على الجدران الداخلية للصرح رموز مختلفة من ضمنها شعاران يرمز أحدهما لجمهورية مصر العربية، ويرمز الآخر للاتحاد السوفيتي كتبت فوقها عبارة للرئيس المصري جمال عبد الناصر، تمت ترجمتها إلى اللغة الروسية يتضمن نص ذلك العبارة ((أن سنوات طويلة من العمل المشترك قد أقامت صرحاً للصدقة العربية السوفيتية لا يقل عن صرح السد العالي قيمة ولا رمزاً))^(٤). تم إنهاء ذلك النصب الذي يخلد ذكرى التعاون المصري - السوفيتي في بناء السد العالي بشكل نهائي عام ١٩٧٥، وتم إهداء تصميم المشروع لمصر من الاتحاد السوفيتي، وقد نفذته الشركات المصرية على حساب مصر^(٥).

مكن انجاز مشروع السد العالي الحكومة المصرية من بناء مشاريع أخرى تحتاج في انجازها إلى الكثير من الطاقة مثل مجمع الحديد والصلب في مدينة حلوان،

(١) صحيفة الأهرام، العدد ٣٣٢٦٠، ١٩٧٨/١/٢.

(٢) محمد الشافعي، محمد يوسف، السد العالي هرم الإرادة المصرية، الهيئة العامة للقصور الثقافية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٢٣٦.

(٣) بيجورين، المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٤) ينظر: "مجموعة من الصور تمثل جوانب مختلفة من رمز الصداقة المصرية - السوفيتية"، الملحق رقم (٦).

(٥) بيجورين، المصدر السابق، ص-ص ١٤٩-١٥٠.

ومصنع الألمنيوم في مدينة نجع حمادي، وإيصال الكهرباء إلى الريف المصري عموماً^(١).

-المعونة الاقتصادية السوفيتية لمصر في المجالات الأخرى:

خلال الفترة (١٩٥٨-١٩٦٨)، تم في ج. ع. م بمعونة الاتحاد السوفيتي إعداد ما يقرب من ٥٠ ألف أخصائي، تمهيداً لإعداد كوادر علمية مصرية قادرة على إدارة شؤون الصناعة بنفسها^(٢).

وخلال الفترة (١٩٦٣/٤/٢٦ - ١٩٦٣/٥/٢٥) زار الخبير السوفيتي كروloff (رئيس قسم تخطيط رفع مستوى المعيشة في الاتحاد السوفيتي)، ج. ع. م، بعد ان وجهت له دعوة رسمية من معهد التخطيط القومي في القاهرة، وقد أجرى الخبير السوفيتي مناقشات مطولة حول البيانات الإحصائية وأهميتها بالنسبة لاحتياجات التخطيط الاقتصادي المصري، وألقى محاضرات حول موضوع الاستهلاك، وكيفية معالجته في ضوء الخبرة السوفيتية^(٣).

وفي ١٨ حزيران ١٩٦٣، تم توقيع اتفاق التعاون الاقتصادي والفني بين البلدين، الذي يقوم على تقديم قرض سوفيتي لـ ج. ع. م، قدره ٤٠ مليون روبل بفائدة قدرها ٢,٥% سنوياً^(٤).

وقد اخذ التعاون الاقتصادي بين البلدين أشكالاً مختلفة، كان من بينها مصنع الغزل والنسيج الذي شيد في مدينة دمياط عام ١٩٥٩، بمساعدة الاتحاد السوفيتي، فذلك المصنع كان في بداية انشاءه مزود كلياً بالمكائن السوفيتية الصنع، إذ كان

(١) مجموعة من المؤلفين السوفيت، شمال افريقيا، التطور المعاصر، أكاديمية العلوم السوفيتية، (موسكو، ١٩٨٧)، ص ٨٦.

(٢) نشرة وكالة (نوفوستي) الصحافية، العدد ٥٦١، ١٩٦٨/١/٣٠، ص ١.

(٣) وثائق معهد التخطيط القومي، (القاهرة)، مذكرة رقم ٣٧٥، تقرير عن زيارة الخبير الروسي Mr. Krylov، معهد التخطيط القومي، ابريل ومايو سنة ١٩٦٣، (إعداد) محمود سليم الشريف، ١٣ نوفمبر سنة ١٩٦٣، ص-ص ١٤-٢٨.

(٤) د. و. ق. م، محفوظات مجلس الوزراء، محفظة ١٥٥، ملف ١-٣٢/٤، ج ١.

يحتوي على ١٥ ألف مغزل وبلغت طاقته الإنتاجية في بداية تشغيله ٣٠٠-٣٥٠ طنّاً من الخيوط الرفيعة في السنة^(١).

ومن الأشكال الأخرى للتعاون المصري - السوفيتي في الشأن الاقتصادي مساهمة الاتحاد السوفيتي بمساعدة ج. ع. م، في استصلاح ٢٠٠ ألف فدان^(٢) من الأراضي الصحراوية، وفقاً لاتفاق ٩ كانون الثاني ١٩٥٨، الذي ينص على ان تقوم الحكومة السوفيتية، بتقديم الاستثمارات الفنية والهندسية وتوريد الآلات والمعدات والمساعدة في الإنشاء والتنفيذ، وتدريب الفنيين المصريين، وتقدر المساعدة الفنية السوفيتية في حدود ٦٠ مليون روبل، وبفائدة قدرها ٢,٥% سنوياً، وتسدد قيمة المساعدة السوفيتية على شكل بضائع، تصدر للاتحاد السوفيتي أو تدفع بالعملات الحرة حسب ما سيتفق عليه الجانبين^(٣).

كما تم في ج. ع. م، تأسيس مزرعة نموذجية مساحتها (١٠) آلاف فدان بموجب المساعدة الاقتصادية والفنية السوفيتية، وأهديت جميع المعدات اللازمة لتلك المزرعة، من قبل الاتحاد السوفيتي إلى حكومة وشعب ج. ع. م، تلك المزرعة التي جرت أعمال البذر فيها لأول مرة عام ١٩٦٨، وبدأ الإنتاج فيها بشكل رسمي عام ١٩٧٠^(٣).

كما يعد التعاون في مسألة التنقيب عن حقول البترول في مصر، شكلاً آخر من أشكال التعاون المصري - السوفيتي، في المجال الاقتصادي، وفي تشرين الثاني ١٩٦٦، وصل إلى ج. ع. م، مجموعة من الخبراء السوفيت المختصين في مجال التنقيب عن البترول، وقاموا عند وصولهم القاهرة بأبحاث متواصلة، وابلغوا الجانب المصري، اعتقادهم بأن الصحراء المصرية تحوي حقولاً ضخمة من البترول، وأكدوا على وجود منطقة ذات مستقبل بترولي أكيد في غرب البلاد^(٤).

(١) مقابلة شخصية للباحث مع السيد صبري محمد الصافي، مدير فرع القاهرة، لشركة دمياط للغزل والنسيج، في القاهرة يوم الثلاثاء الموافق ١٢/٧/٢٠١٠.

(*) الفدان = ٤٠٤٦,٨٥٦٤٢ متر مربع.

(٢) د. و. ق. م، محفوزات مجلس الوزراء، محفظة ١٠٣، ملف ١-٢٦/٣، ج ٢.

(٣) الاتحاد السوفيتي والبلدان العربية - الصداقة والتعاون، منشورات وكالة (نوفستي) للأنباء، (موسكو، ١٩٧١)، ص ٢٤.

(٤) بيليبيف، بريماكوف، مصر في عهد عبد الناصر، ص ٢٢١، ص ٢٢٢.

وفي ١٨ أيار ١٩٦٩ تم توقيع اتفاق مصري- سوفيتي بشأن تقديم الاتحاد السوفيتي المساعدة في تنمية صناعة إنتاج البترول في ج. ع. م، وجاء في الاتفاق ((ان حكومة ج. ع. م وحكومة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية التزاماً بعلاقات الصداقة والتعاون الاقتصادي والفني المؤسس على مبادئ المساواة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، والاحترام الكامل للكرامة الوطنية، وسيادة كل من البلدين، وبهدف تقديم المساعدة في تنمية صناعة إنتاج البترول في ج. ع. م، فقد اتفقنا على ان تقوم الحكومة السوفيتية بتلبية لرغبة ج. ع. م، بالمساعدة في اكتشاف وإنتاج ونقل البترول في المناطق الصحراوية الغربية))، واتفق الجانبان على ان تمد ج. ع. م الجانب السوفيتي بالبترول من حقول الصحراء الغربية، وذلك بهدف إعادة تسديد النفقات التي تتحملها الهيئات السوفيتية الخاصة بتقديم المساعدة في التنقيب والإنتاج، فضلاً عن الوفاء بأقسام من القروض التي تم تقديمها من الحكومة السوفيتية إلى ج. ع. م^(١).

وشهد مجال الصناعة الثقيلة تعاوناً مصرياً سوفيتياً كبيراً. ففي عام ١٩٦٤، تم بمساعدة الاتحاد السوفيتي إنشاء مصنع الكوك في مدينة حلوان الذي كان ينتج ٢٨٠ ألف طن من فحم الكوك سنوياً، وتم توسيع طاقته في عام ١٩٧٤ ليصبح إنتاجه السنوي ٥٦٠ ألف طن^(٢).

وفي ٢٢ أيلول ١٩٦٤ تم التعاقد بين ج. ع. م والاتحاد السوفيتي على توسيع الطاقة الإنتاجية لمجمع الحديد والصلب في حلوان وكانت قيمة التعاقد ١٥٦ مليون روبل أو ما يقرب من ١٦٥ مليون دولار، وكان ذلك السعر اقل بكثير من مثيله في أي شركة غربية^(٣).

(١) د. و. ق. م، محفوظات مجلس الوزراء، محفظة ١٥٥، ملف ١-٣٢/٤، ج ٢.

(٢) ماركوف: مشكلة التغذية وسياسة الامبريالية، ترجمة: دار التقدم، (موسكو، ١٩٧٥)، ص ٢١٧.

(٣) شهادة الدكتور عزيز صدقي، في كتاب: قصة السوفيات مع مصر، (إعداد) محمد عودة وآخرون، دار ابن خلدون، (بيروت، د. ت)، ص ٣٧، عرف ذلك العقد بالعقد (٧٧٠٠)، التزام الاتحاد السوفيتي فيه بتقديم قرض، يستخدم في شراء الآلات والتجهيزات والخبرات وكان حجم القرض ٧٠ مليون جنيه، وكانت شروط تسديده ميسرة، تبدأ بعد الإنتاج وعلى ١٢ سنة وبفائدة قدرها ٢,٥%. عادل حسين، سد حلوان العالي، قصة العقد (٧٧٠٠)، (القاهرة، ١٩٧٤). ص ٤٥

وقد أرسل السوفيت كبار خبرائهم في مجال صناعة الحديد والصلب في مجال الإنشاء قام الاتحاد السوفيتي بارسال الخبير سيتسكو، الذي كان كبير المهندسين لإنشاء مجمع الحديد والصلب في منطقة (باهيلاي) في الهند، ولم يكن إرساله للعمل في مدينة حلوان قراراً سهلاً بالنسبة للاتحاد السوفيتي، نظراً لخبراته النادرة، ولحجم مسؤولياته هناك. وفي مجال التشغيل أوفد الاتحاد السوفيتي الخبير بونيفيتش، كبير الخبراء السوفيت لشؤون الإنتاج الذي كان قبل قدومه إلى حلوان مديراً لواحد من اكبر مجمعات الحديد والصلب في الاتحاد السوفيتي لسنوات طويلة، وروعي في اختياره للمساعدة في تشغيل مجمع حلوان، ان المجمع الذي عمل مديراً له يشبه شركة الحديد والصلب المصرية إلى حد كبير^(١).

وفي عام ١٩٦٩ تم بمساعدة الاتحاد السوفيتي توسيع لطاقت المجمع من خلال إدخال ورش جديدة، تبلغ طاقتها الإنتاجية ٢٠٠ ألف طن من ألواح الصلب سنوياً^(٢). وفي شباط ١٩٧٠ بدأ المجمع يحقق الأرباح بفضل إدخال السوفيت أساليب جديدة في الإنتاج، وزيادة إنتاجية العمل وخلال الفترة ١٩٦٩-١٩٧٠، بلغت الأرباح الإجمالية للمؤسسة ٧٣٧ ألف جنيه مصري، وعلى أساس الخبرة السوفيتية تم في المصنع لأول مرة، وضع خطة للإجراءات التنظيمية والفنية لعام ١٩٧٠-١٩٧١ وتنفيذها^(٣).

كما يعدّ مشروع مجمع الألمنيوم في منطقة نجع حمادي مثلاً على التعاون المصري السوفيتي في مجال التصنيع، ومن النتائج المهمة لمشروع الاسد العالي. فالكهرباء تعد من أهم مدخلات تلك الصناعة، ولم يكن قرار البدء في ذلك المشروع سهلاً، فقد واجهته معارضة كبيرة في ج. ع. م، وحين تم توقيع عقد إنشائه مع الاتحاد السوفيتي في ٢٣ تموز ١٩٦٩، تركزت المعارضة حول الجدوى الفنية والاقتصادية لإقامة صناعة الألمنيوم في ج. ع. م، ولكن انتهى الجدل لصالح المشروع، وافر مجلس الشعب المصري اتفاقية تنفيذه مع الاتحاد السوفيتي في أواخر عام ١٩٧٢، وفيها تعهد الاتحاد السوفيتي بان يقيم لمصر مجمعاً ضخماً طاقته

(١) عادل حسين، الاقتصاد المصري من الاستقلال إلى التبعية ١٩٧٤-١٩٧٩، ط، دار الكلمة للنشر، (بيروت، ١٩٨١)، ص ٥٤-٥٥.

(٢) ماركوف، المصدر السابق، ص ٢١٧.

(٣) تيودوروفيتش، المصدر السابق، ص ٨٣.

الإنتاجية في بداية التشغيل ١٠٠ ألف طن، وقد حدد الجانب السوفيتي أسعاراً مناسبة لتوريد المعدات، إذ تحدد ثمن تلك المعدات بـ ٢٥ مليون جنيه مصري فقط، يضاف إليها مليون جنيه قيمة تقرير المشروع، والتصميمات، والرسومات التنفيذية، ويتم تسديد الأقساط، بتصدير ١٠ آلاف طن ألمنيوم من إنتاج المجمع، كما يلتزم الاتحاد السوفيتي بشراء ٤٠ ألف طن بالسعر العالمي إذا وجد الجانب المصري صعوبة في تصريفها^(١).

وشهد مجال صناعة السفن هو الآخر تعاوناً مصرياً - سوفيتياً في تطويره. وفي ٢٣ تموز ١٩٦٩ تم توقيع اتفاق بين حكومتي البلدين تعهد فيه الاتحاد السوفيتي بتقديم المساعدة الفنية لـ ج. ع. م في بناء ست سفن بضائع، طبقاً للتصميمات السوفيتية، وزن كل منهم ٨١٠٠ طن، وذلك ابتداءً من عام ١٩٧١، وأربع سفن للصيد من طراز "RMRT"، ابتداءً من عام ١٩٧٣. وتعهد الاتحاد السوفيتي بتقديم المعدات وقطع الغيار اللازمة، وإيفاد الخبراء السوفيت إلى ج. ع. م، وتدريب الخبراء المصريين في الاتحاد السوفيتي^(٢). وفي ٢٣ أيار ١٩٧١ تم الاحتفال بإنزال أول سفينة شحن مصرية الصنع إلى البحر، وانضمت تلك السفينة التي أطلق عليها اسم (الإسكندرية) إلى الأسطول التجاري المصري^(٣).

وفي ٨ شباط ١٩٧٢ تم توقيع اتفاقيتين بين مصر والاتحاد السوفيتي للتعاون الفني في تصنيع السفن ووحدات النقل البحري، ويقضي الاتفاق الأول بأن يقوم الاتحاد السوفيتي بتصنيع ٢٠ سفينة شحن حمولة ٧٧٥٠ طناً، تضم إلى الأسطول التجاري المصري و ٢٠ قاطرة تعمل في الموانئ المصرية. ويقضي الاتفاق الثاني بأن يقوم الاتحاد السوفيتي بتوريد عدد من الوحدات العائمة والمعدات اللازمة لتصنيع السفن وقد وقع الاتفاقيين عن الجانب المصري الدكتور يحيى الملا (وزير

(١) منى طعيمة عبد الحميد الجرف، دراسة اقتصادية لمجمع الألمنيوم في نجع حمادي وتقييم دوره في الاقتصاد المصري، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، (القاهرة، ١٩٨٨)، ص ٢٠.

(٢) د. و. ق. م، محفوظات مجلس الوزراء. محفظة ١٥٥، ملف ٣٢/٤/١، ج ٢.

(٣) يتودوروفيتش، المصدر السابق، ص ١٧.

الصناعة المصري)، و عن الجانب السوفيتي السيد سيدروفيتش (نائب رئيس لجنة العلاقات الخارجية السوفيتية)^(١).

وفي ١٣ حزيران ١٩٧٢، تم توقيع اتفاق للتعاون الاقتصادي والصناعي والفني بعيد المدى بين مصر والاتحاد السوفيتي واشترك في التوقيع من الجانب السوفيتي سكاتشيكوف، (رئيس لجنة العلاقات الاقتصادية الخارجية التابعة لمجلس الوزراء) ومن الجانب المصري الدكتور طاهر أمين (رئيس هيئة التصنيع في مصر)^(٢).

وفي ٢٠ أيار ١٩٧٣ تم الاتفاق بين مصر والاتحاد السوفيتي على تصنيع ١٤ صنفاً من الأدوية الحيوية المنتجة في الاتحاد السوفيتي، بمعامل إنتاج الأدوية المصرية. كما جرى في الوقت نفسه تصدير خمسة أصناف من الأدوية المصرية المصنعة إلى الاتحاد السوفيتي^(٣).

وتقسم المعونة الاقتصادية والفنية السوفيتية لمصر الخاصة بفروع الاقتصاد على النحو الآتي محسوبة بالنسب المئوية لقيمتها:

١- الصناعة ٥٤,٣%.

٢- الطاقة ٢٠,٨%.

٣- الزراعة بما فيها السد العالي ١٩,٤%.

٤- أعمال الكشف الجيولوجي، وإعداد الكوادر، الفروع الأخرى ١٩,٤%^(٤)

وذلك يعني ان القسم الأكبر من معونة الاتحاد السوفيتي إلى جمهورية مصر العربية يوجه إلى تنمية قوى الإنتاج وبالدرجة الأولى في مجال الصناعة.

(١) صحيفة الأهرام، العدد ٣١١٠٦، ١٩٧٢/٢/٩.

(٢) صحيفة الأهرام، العدد ٣١٢٣١، ١٩٧٢/٦/١٣.

(٣) صحيفة الأهرام، العدد ٣١٥٧٢، ١٩٧٣/٥/٢٠.

(٤) تيودوروفيتش، المصدر السابق، ص ٣١.

المبحث الثاني التعاون المصري السوفيتي في المجال الثقافي

تمتد جذور العلاقات الثقافية بين مصر والاتحاد السوفيتي لسنوات سابقة لثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢^(١). إلا أن حجم التبادل الثقافي بين البلدين شهد تطوراً كبيراً بعد قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢، ولقد سعى الجانب السوفيتي إلى دعم الجانب المصري في ذلك المجال دون التدخل في شؤون مصر الداخلية، وأدى ذلك الاحترام السوفيتي للسيادة المصرية إلى وضع أساس متين للعلاقات الثقافية بين مصر والاتحاد السوفيتي^(٢).

وقد أخذت الحملة الثقافية السوفيتية في الشرق الأوسط مداها الكامل عام ١٩٥٤، حيث قامت جماعات من الأخصائيين السينمائيين السوفيت بزيارة مصر وسوريا، كما نُظمت مهرجانات للأفلام السوفيتية في معظم المدن العربية، وزامن ذلك توزيع واسع النطاق للكتب والمجلات السوفيتية، وبدأت الفرق الرياضية السوفيتية، تفد إلى مصر وسوريا ولبنان، لتتبارى مع فرق تلك الدول، وأقيمت في بعض المدن رابطات للتعاون الثقافي مع الاتحاد السوفيتي، وسرعان ما بدأ الفرع المصري لرابطة التعاون الثقافي السوفيتي - المصري، بإصدار مجلة خاصة لترويج الثقافة السوفيتية باسم مجلة (الشرق)^(٣).

وفي مطلع أيلول ١٩٥٥، وصل إلى القاهرة وفد سوفيتي يمثل مجلس العلاقات الثقافية مع الأقطار الأجنبية، وقام بافتتاح المركز الثقافي السوفيتي في القاهرة، ودعيت لزيارة موسكو وفود من الأطباء والصحفيين المصريين^(٤).

(١) يرجعها أحد المصادر السوفيتية إلى عشرينيات القرن التاسع عشر، عندما استعان والي مصر محمد علي باشا (١٧٦٩-١٨٤٩) ببعض العلماء الروس المختصين بشؤون التعدين كان أبرزهم كوفاليفسكي. ينظر: جينايدى جارياتشكين، بحثاً عن الذهب، من تاريخ العلاقات الثقافية بين روسيا ومصر في القرن التاسع عشر، منشورات المركز الثقافي الروسي في مصر (القاهرة، ٢٠٠٣)، ص ٣.

(٢) العلاقات الثقافية المصرية - السوفيتية، (إعداد)، حسين عبد ربه، ط ١، دار الثقافة الجديدة، (القاهرة، ١٩٧٦)، ص ٣.

(٣) لأكور، المصدر السابق، ص ٣١٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

- التعاون المصري السوفيتي في المجال العلمي والتكنولوجي :

لقد تجسد التعاون الثقافي المصري - السوفيتي من خلال اتفاقية التعاون الثقافي التي وقعت في مصر في ١٩ تشرين الأول ١٩٥٧، والتي تحددت بموجبها، المبادئ الأساسية التي تقوم عليها العلاقات في المجالات الثقافية والعلمية، وقد بدأ تنفيذ تلك الاتفاقية مع مطلع عام ١٩٥٨ وأصبحت تتجدد كل عامين، بحيث يشمل ذلك التجديد وضع الخطة الكاملة للتبادل الثقافي خلال هذين العامين. وفي نيسان ١٩٥٨ وقع البلدين اتفاقية لإنشاء مؤسسة سوفيتية للمعلومات في القاهرة وأخرى مصرية في موسكو، وتم عقد اتفاقية لتبادل زيارات الطلبة بين البلدين، تم توقيعها، خلال زيارة وزير التربية والتعليم المصري إلى الاتحاد السوفيتي في أيار ١٩٥٨^(١).

ففي تلك الزيارة بحث الجانبان وضع خطة كاملة للتعاون العلمي والتبادل الثقافي بين البلدين، وتم الاتفاق على إرسال ج. ع. م. لـ ٣٠٠ بعثة علمية للاتحاد السوفيتي سنوياً، وان يوفد الاتحاد السوفيتي للقاهرة عدداً من أعضاء هيئة التدريس، وخبراء الصناعة والأجهزة العلمية^(٢).

وبموجب اتفاقية ١٩ تشرين الأول ١٩٥٧، تعهد الجانبان بان يتم التعاون بينهما، بتشجيع تبادل المعلومات، ونتائج التجارب في مختلف ميادين العلوم والآداب، والفنون، والتعليم والتربية، والألعاب الرياضية، والثقافية بصورة عامة، فضلاً عن التأكيد على توثيق الصلات بين المؤسسات العلمية والثقافية وتبادل الأساتذة والعلماء والمنح الدراسية، ولا سيما وأن هذه الاتفاقية كانت قد أكدت على جانب الاعتراف بمعادلة الإجازات الجامعية والشهادات الدراسية الصادرة من معاهد التعليم لدى الجانبين^(٣).

وفي شتاء ١٩٥٧-١٩٥٨، دخل كلية الطب بجامعة موسكو ٢١ طالباً مصرياً، ومع ذلك فان عدد الطلبة المصريين والعرب في الجامعات السوفيتية بقي ضئيلاً حتى عام ١٩٥٨، مقارنة بإعداد الطلاب العرب الذين يدرسون في الجامعات

(1) EL. Hussini, Op. Cit., p.92.

(٢) د. و. ق. م، محفوظات مجلس الوزراء، محفظة ١٥٥، ملف ١-٣٢/٤، ج ١.
(٣) مقابلة شخصية للباحث مع الدكتور شريف جاد، مستشار التمثيل الثقافي في قسم العلاقات العامة في المركز الثقافي الروسي (القاهرة)، يوم الثلاثاء الموافق، ٢٠١١/١/١١.

الغربية اما بعد ذلك التاريخ فقد اخذت كفة الاتحاد السوفيتي بالرجوح نتيجة مصاعب الحصول على العملة الاجنبية اللازمة للدراسة في البلدان الغربية^(١)، وربما يعود ذلك لعدم وجود تسهيلات في ذلك المجال، نتيجة توجهات الحكومة المصرية آنذاك المعادية للغرب وسياسته في المنطقة.

وفي عام ١٩٥٨ انشئ قسم اللغة الروسية في كلية الألسن، وتخرج حتى عام ١٩٧٦ ما يزيد على (٤٠٠) دارس للغة الروسية، والى جانب كلية الألسن تدرس اللغة الروسية في المراكز الثقافية السوفيتية في ج. ع. م.^(٢)

وقد كان للتكنولوجيا السوفيتية ومحاولة الجانب المصري استيراد الخبرات المتعلقة بها بعض التأثير الثقافي في مصر، فتلك التكنولوجيا قد رافقها تدريب للعناصر المصرية، ووجب على بعض هؤلاء المصريين ان يبذلوا جهداً لتعلم اللغة الروسية، ومع ذلك فليس ثمة برهان واضح على ان المصريين قد اندفعوا برغبة لتعلم اللغة الروسية^(٣).

وبمساهمة الاتحاد السوفيتي بدأ في عام ١٩٥٨ العمل في بناء مركز ذري للأبحاث العلمية على بعد ٤٠ كيلومتر من القاهرة، وتم الانتهاء من بناء ذلك المركز في عام ١٩٦٠، وخلال الفترة من (١٩٦١-١٩٦٧)، تحقق في المركز ما يقرب من ٧٠ عملاً علمياً، نشرت نتائجها، وقد ألقى العلماء السوفيت على المختصين المصريين أكثر من ٤٠٠ محاضرة^(٤).

ومنذ عام ١٩٦٠ اتخذت مبادلات الاتحاد السوفيتي الثقافية مع دول المنطقة العربية، امتداداً واسعاً، وكان الاتحاد السوفيتي يسعى إلى اجتذاب الطلبة إلى جامعاته، لاسيما من البلدان الأقل تنمية، والتي كانت توصف بأنها ضد التوجهات الثقافية الغربية^(٥). وفي كانون الأول ١٩٦٠ وقعت ج. ع. م مع الاتحاد السوفيتي

(١) لأكور، المصدر السابق، ص ٣١٢.

(٢) العلاقات الثقافية المصرية - السوفيتية، المصدر السابق، ص ٦.

(٣) بي. جي. فاتيكوتس "ملاحظات حول تقييم التأثير السوفيتي في مصر" في كتاب: الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط، مجموعة مؤلفين، المصدر السابق، ص ٣٢١.

(٤) نشرة وكالة (نوفوستي) الصحافية، العدد ٥٦٧، ١٩٦٨/٢/٦، ص ٧.

(٥) لويس ددلو، العلاقات الثقافية الدولية، ص ١، ترجمة: بهيج شعبان، منشورات دار عويدات، (بيروت، ١٩٧٤)، ص ١٣٨-١٤٢.

اتفاقية ثقافية، مدتها عامان، نصت على إرسال مختصين في الموسيقى ومعلمين للغة الروسية، كما وافق الاتحاد السوفيتي على قبول ٢٤٠ خريجاً من ج. ع. م، ليعملوا على تحصيل شهادات عليا في الاختصاصات العلمية^(١).

وفي كانون الأول ١٩٦٦ جرت مباحثات مصرية - سوفيتية تناولت الشأن الثقافي بالأساس، وعلى اثر تلك المباحثات قدم الاتحاد السوفيتي لـ ج. ع. م، ٣٠٠ منحة دراسية خلال الأعوام ١٩٦٧، ١٩٦٨، كما قرر الجانب المصري استقدام (١٩) أستاذاً من كبار الأساتذة السوفيت للعمل في المجلس الأعلى للبحث العلمي إلى جانب ١٤ أستاذاً من كبار أساتذة الجامعات السوفيتية للعمل في جامعة القاهرة^(٢).

كانت الكتب من أهم عناصر التبادل الثقافي العربي - السوفيتي، ومنذ عام ١٩١٧ حتى عام ١٩٥٥ كانت الكتب السوفيتية تترجم إلى العربية بشكل متقطع، إلا ان حركة ترجمة الكتب من الروسية إلى العربية ازدادت كثيراً بعد ذلك العام ومع ذلك بقي هناك نوع من التردد، وقلة الاندفاع لدى الجانب المصري نحو الكتابات السوفيتية، والأمر ذاته كان ينطبق على الأفلام السوفيتية، وربما يعود ذلك التحفظ إلى الخوف مما تروجه تلك الكتب والأفلام من أفكار كانت توصف في مصر آنذاك بالهدامة^(٣).

ومع ذلك فقد كان هناك، ومنذ ثلاثينيات القرن العشرين اهتماماً سوفيتياً بالأدب المصري، وفي عام ١٩٣٤ ترجم الأكاديمي السوفيتي اغناطيوس كراتشكوفسكي (١٨٨٣-١٩٥١) الجزء الأول من كتاب الأيام للأديب المصري طه حسين، إلى الروسية، وفي عام ١٩٣٥ قام المترجم الروسي ميخائيل ساليه بترجمة رواية عودة الروح لتوفيق الحكيم، وخلال ستينيات القرن العشرين زاد الاهتمام السوفيتي بالأدب

(١) فردرك، س. بارغون "الجهد الثقافي السوفياتي" في كتاب الصراع السوفيتي - الأمريكي في الشرق الأوسط - مخطط السياسة الأمريكية في المنطقة خلال السبعينيات، (إعداد)، ج. س. هورويتز، ط ١، دار النفائس، للنشر، (بيروت، ١٩٧١)، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) صحيفة نداء الوطن، (بيروت)، العدد ٥٧٤، ١٤/٢/١٩٦٦.

(٣) لأكور، المصدر السابق، ص ٣١١.

العربي، وتمت خلال تلك الفترة، ترجمة مجموعة من مؤلفات نجيب محفوظ و عبد الرحمن الشرقاوي ومحمد حسين هيكل ويوسف السباعي^(١).

وفي مطلع عام ١٩٧١، تم التوقيع على اتفاق اقتصادي ثقافي بين ج. ع. م والاتحاد السوفيتي، نص احد بنوده على ان يقبل الاتحاد السوفيتي ٣١ طالباً مصرياً في الدراسات العليا ضمن المعاهد السوفيتية العليا^(٢).

وفي أيار ١٩٧١ جرى في موسكو التوقيع على مشروع التعاون الثقافي والعلمي بين الاتحاد السوفيتي ومصر لعامي ١٩٧١-١٩٧٢، وقد وقّع المشروع نيابة عن الحكومة السوفيتية سميرنوف (نائب وزير الخارجية السوفيتي) و عن الجانب المصري (نائب وزير الثقافة المصري)، وبموجب ذلك المشروع الثقافي يتدرب في الاتحاد السوفيتي معلمو المدارس الصناعية في مصر لرفع مستواهم المهني، في حين يعمل أساتذة الفن السوفيت في معاهد أكاديمية الفنون والمؤسسة العامة للمسرح، والموسيقى، والفنون الشعبية في مصر. وكان من المتفق عليه أيضاً ضمن ذلك المشروع زيادة عدد المعلمين والعلماء السوفيت في المعاهد العليا المصرية، حيث يتم بمساعدتهم تأسيس أقسام للغة والأدب الروسيين وينص المشروع كذلك على توسيع التعاون بين أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي، ووزارة البحث العلمي في مصر عن طريق تبادل الدراسات، وزيارات العلماء والخبراء للعمل المشترك في مجال دراسة المخطوطات والوثائق العربية القديمة. على ان ينفذ البلدان في عام ١٩٧١-١٩٧٢، برنامجاً واسعاً في مجال الثقافة والفن والإعلام، من خلال تنظيم جدول لتبادل زيارات الفرق الفنية والفنانين والملحنين والرسميين والصحفيين والكتاب، وتنظيم معارض مختلفة في كلا البلدين، فضلاً عن التعاون في المجال السينمائي^(٣).

ولم تخلُ تلك الفترة من إنشاء معاهد علمية مشتركة، مثل معهد الدراسات العليا المعدنية الذي تأسس في مصر بمساعدة الاتحاد السوفيتي، وتكون مدة الدراسة فيه

(١) كوديلين وكريتشنكو، بحث في الأدب العربي، ترجمة: خيرى الضامن، دار التقدم، (موسكو، ١٩٧٨)، ص-ص ١٠-١١.

(٢) كرانسكوف، "اتفاقية جديدة بين الاتحاد السوفيتي وج. ع. م" مجلة انباء موسكو، العدد (٩٤)، كانون الثاني ١٩٧١، ترجمة: دار البعث (دمشق) في ١٩٧١/١/١٦.

(٣) دانوشيفسكي، "برنامج التعاون الواسع"، مجلة انباء موسكو، العدد (١١٠)، أيار ١٩٧١، ترجمة: دار البعث، (دمشق) في ١٩٧١/٥/٨.

سنتان، ويقبل فيه حَمَلة شهادة البكالوريوس في اختصاص الهندسة، ممن تتوفر لديهم خبرة علمية في صناعات الاستخراج، ويعطي المعهد شهادة تعادل ما يعطيه معهد الصلب والصهر في موسكو، وفي بادئ الأمر كانت مجموعة الأساتذة السوفيت هي التي تقوم بالتدريس في ذلك المعهد، ولكن منذ عام ١٩٧١، أخذ الأساتذة العرب يشاركون في التدريس أيضاً^(١).

وفي أواخر آذار ١٩٧٢، تم التوقيع على اتفاقية للتعاون العلمي والثقافي بين جامعة موسكو للدولة المسماة باسم (لومونوسوف)، وجامعة القاهرة، وقد نصت بنود تلك الاتفاقية على اعتبار توسيع وتعميق الصلات بين الكليات والمعاهد والأقسام أمراً رئيسياً في تطوير التعاون بين الجامعتين، مع التأكيد على ضرورة تبادل النشرات العلمية، والمواد المنهجية، والخطط والبرامج الدراسية والمطبوعات، مع إجراء تبادل للأساتذة والمدرسين لغرض إلقاء المحاضرات في القضايا العلمية والفنية المعاصرة، والمساهمة في إجراء أبحاث مشتركة في المسائل العلمية التي تهم الجانبين، وضمن تلك الاتفاقية تتعاون جامعتا موسكو والقاهرة في مجال تحسين تدريس اللغة الروسية والأدب الروسي في جامعة القاهرة، واللغة العربية والأدب العربي في جامعة موسكو، وتكون مدة تلك الاتفاقية ٣ سنوات، وعند عدم إعلان احد الطرفين عن رغبته في إعادة النظر فيها يستمر سريان مفعولها آلياً^(٢).

والى جانب تلك الاتفاقية العامة التي تحدد المبادئ الأساسية للتعاون، وقعت خطة محددة للعلاقات الثقافية والعلمية بين هاتين الجامعتين للأعوام ١٩٧٢، ١٩٧٣^(٣). وفي ١ نيسان ١٩٧٢، تم توقيع اتفاق علمي بين مصر والاتحاد السوفيتي لتبادل الخبرات في مجالات الأدوية الزراعية والكهرباء وتبادل الخبراء في الالكترونيات والتعدين، وتنظيم الطيران المدني والصناعات الغذائية^(٤).

(١) الحصول على التعليم من الاتحاد السوفيتي، دار نشر وكالة نوفوستي (موسكو، ١٩٧٤)، ص-ص ١٠٦-١٠٧.

(٢) ينظر: "اتفاقية التعاون العلمي والثقافي بين جامعة موسكو للدولة المسماة باسم (لومونوسوف)، وجامعة القاهرة"، ملحق رقم (٧).

(٣) الحصول على التعليم من الاتحاد السوفيتي، المصدر السابق، ص ١١٤.

(٤) صحيفة الأهرام، العدد ٣١١٥٨، ١/٤/١٩٧٢.

وفي ١١ أيار ١٩٧٢ وقع الجاذبان المصري والسوفييتي اتفاقاً لدراسة تحقيق الاستفادة من مياه نهر النيل، وقد وافق الجانب السوفييتي، على توريد قطع غيار تقدر قيمتها بـ ٤٩ ألف جنيه للمعدات التي تقرر استخدامها في إجراء تلك الدراسات^(١).

- التعاون المصري - السوفييتي في المجالات الثقافية الأخرى:

وفضلاً عن التعاون العلمي والدراسي، شمل التعاون الثقافي المصري السوفييتي، جوانب أخرى مثل الفنون الشعبية، والسيرك والمسرح والسينما، والمراكز الثقافية. وقد تأسست أول مدرسة لتدريب فن (الباليه)^(*) في مصر عام ١٩٥٨، وبعد ذلك اقتنع المسؤولون المصريون بفكرة إنشاء معهد عالٍ للباليه، في مقر أكاديمية الفنون الشعبية في منطقة الهرم وتحقق ذلك في عام ١٩٦٢. وبقدر تعلق الأمر بالدور السوفييتي، في نقل الخبرة الفنية فقد بدأت السنة الأولى لفن الباليه اعتباراً من عام ١٩٥٨-١٩٥٩ على يد الخبير السوفييتي ألكسي جوكوفا، الذي اخذ على عاتقه إنشاء أول مدرسة بالباليه حكومية في مصر، ثم استقدم زوجته الخبيرة لودميلا شركاسوفا لتتولى مهمة تدريس الطالبات^(٢).

وبعد ان انتقلت مدرسة الباليه إلى المبنى الجديد، مبنى المعهد العالي للباليه في الهرم، زاد عدد الخبراء السوفيت الذين عملوا في ذلك المجال، فضلاً عن جوكوفا وزوجته، كان هناك: آرولوفسكا، سيرجي بافلوف، شاتيلوف، كوزنتسوف، يوري بافلوف، تتيانا، ألا شورجينا، جالينا وإليك وغيرهم^(٣).

(١) صحيفة الأهرام، العدد ٣١١٩٩، ١٢/٥/١٩٧٢.

(*) فن الباليه: هو فن يهدف إلى ترجمة الشعور إلى حركة، لذلك يصح تعريفه بأنه شعر مُجسّد، وقد أسست أول فرقة له في الاتحاد السوفييتي عام ١٧٣٦، ويؤكد فن الباليه السوفييتي على النص أو القصة، وكثيراً ما يستخدم لأغراض سياسية لذا فإنه يجب ان يكون واضحاً وخالياً من الغموض، وموضوعات الباليه تُستقى في الغالب من الحياة اليومية ومن تاريخ الثورات ومن الآثار الأدبية، ينظر: نجدة فتحي صفوة: العرب في الاتحاد السوفييتي ودراسات أخرى، ط١، منشورات مكتبة آفاق عربية، (بغداد، ١٩٨٤)، ص-ص ١٧٢، ١٧٤.

(٢) مقابلة شخصية للباحث مع الدكتور شريف حسن بهادر، عميد معهد الباليه في منطقة الهرم (الجيزة)، يوم الثلاثاء الموافق، ٢٨/١٢/٢٠١٠.

(٣) مقابلة شخصية للباحث مع الدكتور شريف حسن بهادر، عميد معهد الباليه في منطقة الهرم (الجيزة)، المصدر السابق.

أما السيرك القومي المصري، فقد بدأ تدريباته عام ١٩٦٢، وقدم أول عروضه عام ١٩٦٦، في منطقة العجوزة في القاهرة، وفي البداية كان هناك ثلاثة مدربين سوفيت، وهم مايسترنكو وشرابي ومالكوف، ثم جاء بعدهم بلومن في عام ١٩٧٠، وساهم هؤلاء الخبراء بالتدريب على أكثر من ٢٠ لعبة سيرك بمعدل ٦ ساعات في اليوم تتخللها أوقات للراحة^(١).

وفي عام ١٩٦٠ تأسست بمساعدة الخبرة السوفيتية أول فرقة للفنون الشعبية في ج. ع. م، وقام الخبير السوفيتي رمازن بإعداد وتجهيز العديد من المدربين المصريين كان على رأسهم كمال نعيم وسامي يونس، وبدأ رمازن في إعداد برنامج للفرقة، يعتمد على العادات والمعتقدات والرقصات والأغاني المصرية التراثية، واستلهم العديد من الموضوعات الشعبية المصرية وقام بتصميمها وإخراجها على خشبة مسرح البالون، التابع لوزارة الثقافة المصرية، ثم جاء بعده انتولي بارزوف الذي قام بتكملة مسيرة رمازن، فضلاً عن قيامه ببرنامج جديد، ظهر فيه مدى ارتباط الحركات الروسية الأكاديمية بالحركات الشعبية المصرية المستلهمة من البيئة^(٢).

وكانت أهم الأعمال الشعبية التي صممها الخبراء الروس في مصر هي: المناديل والمماليك والنوبة والبحرية والحالة والثلث عصيان للخبير السوفيتي رمازن، والبدو لانتولي بروزوف، والجيش لتماما^(٣).

وإذا كانت العلاقات المسرحية المصرية – السوفيتية لم تشهد تطوراً ابعد من حدود المنح الدراسية، ولم تتطور لتشمل تبادل الفرق والعروض المسرحية أو الخبراء، وهو أمر بالغ الأهمية، فإن المراكز الثقافية السوفيتية في القاهرة والإسكندرية، قد أسهمت بدور نشيط في ذلك المجال وبحدود إمكانياتها وظروفها الموضوعية^(٤).

(١) مقابلة شخصية للباحث مع السيد عادل رضا، مدير عام البرامج في السيرك القومي المصري، (القاهرة)، يوم الاثنين الموافق ٢٠١٠/١٢/١٣.

(٢) مقابلة شخصية للباحث مع أ. د. عصمت يحيى، رئيس أكاديمية الفنون الشعبية المصرية السابق (الجيزة)، يوم الأحد الموافق ٢٠١١/١/٩.

(٣) مقابلة شخصية للباحث مع السيد حسن إبراهيم، مدير عام الفرقة القومية للفنون الشعبية المصرية (القاهرة)، يوم الأربعاء ٢٠١١/١/١٢.

(٤) العلاقات الثقافية المصرية السوفيتية، المصدر السابق، ص ٤٥.

وفي المجال السينمائي كان الاتحاد السوفيتي يشتري من مصر خلال الفترة ١٩٦٢-١٩٧٢، في كل عام ما يقرب من ٤ أفلام سينمائية، وتشتري مصر نفس ذلك العدد ومنذ عام ١٩٧٢ ازداد العدد بشكل مضاعف، وعلى الرغم من وجود نسبة متعادلة في شراء الأفلام عند كلا البلدين، إلا أن الفلم المصري كان يحظى بشهرة داخل الاتحاد السوفيتي أكبر من تلك التي يحظى بها الفلم السوفيتي في مصر، فبينما يتعذر وجود دور عرض مصرية لعرض الأفلام السوفيتية، وعدم الاهتمام بتخصيص دار عرض صالحة، وعدم القيام بعمل دوبلاج لتلك الأفلام، فإن الاتحاد السوفيتي كان يهتم ويحتفي بالفلم المصري، فيتم عمل دوبلاج للفلم بمجرد وصوله، ويعرض على الفور في أهم دور العرض الخاصة^(١).

وفي ١٦ آذار ١٩٧٢، تم توقيع اتفاق سينمائي بين مصر والاتحاد السوفيتي، يتم بمقتضاه تبادل الأفلام بين البلدين، وضمن ذلك الاتفاق تعهد الجانب السوفيتي بشراء (٦٥) فلماً مصرياً خلال عام ١٩٧٢، على أن يزد ذلك العدد إلى (٧٥) فلماً في عام ١٩٧٣، كما ينص الاتفاق على أن يقيم الجانب السوفيتي دار عرض سينمائي من الدرجة الأولى في كل من القاهرة والإسكندرية^(٢).

وفي ٢٥ آذار ١٩٧٢ افتتح في الاتحاد السوفيتي مهر جان الأفلام المصرية، بعرض فلم (الناس والنيل) وهو فلم مصري - سوفيتي مشترك مكرس لتجسيد بناء السد العالي، والصداقة المصرية السوفيتية^(٣).

وفي ١٩ حزيران ١٩٧٢، قام الجانب المصري بشراء ١٢ فلماً سوفيتياً بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه مصري للفلم الواحد، بينما اشترى الاتحاد السوفيتي ١٥ فلماً مصرياً بمبلغ ١٥ ألف جنيه للفلم الواحد^(٤).

وفي ٢٢ كانون الأول ١٩٧٢، وقع الجانبان المصري والسوفيتي اتفاقاً سينمائياً تم بموجبه، تبادل شراء الأفلام بين البلدين بمعدل ١٤ فلماً لكل بلد^(١).

(١) العلاقات الثقافية المصرية - السوفيتية، المصدر السابق، ص ٤٨؛ لاکور، المصدر السابق، ص ٣١١.

(٢) صحيفة الأهرام، العدد ٣١١٣٣، ١٩٧٢/٣/٧.

(٣) برنامج هذا اليوم في التاريخ، تم عرضه على قناة روسيا اليوم، يوم الخميس الموافق ٢٠١٠/٣/٢٥.

(٤) صحيفة الأهرام، العدد ٢١٢٣٧، ١٩٧٢/٦/١٩.

وقد تكون العقبة الأولى التي تواجه الجهود الثقافية السوفيتية في الشرق الأوسط، تتمثل في خوف الأغلبية العظمى من النخبة الحاكمة في البلاد المعادية، من النوايا السوفيتية البعيدة، وكان الجانب السوفيتي مدركاً لتلك المسألة، فعمل على تجنب التدخل بالأمور الجانبية، وكان الخبراء السوفيت في مصر يحظون بالاحترام المصري لالتفاتهم لعملهم، وابتعادهم عن السياسة^(٢).

ومع ذلك فإن العلاقات المصرية - السوفيتية الثقافية، لم تخل من سلبيات كان أبرزها، التقصير الواضح في حركة الترجمة، وتبادل الكتب على نطاق واسع، وعدم إنشاء دار نشر مشتركة ذات فرعين أحدهما في القاهرة والآخر في موسكو، ومن السلبيات أيضاً زيارات الشخصيات الأدبية والفنية المحدودة إلى كلا البلدين، وإقامة معارض تشكيلية محدودة، ففي مصر أقيمت خلال الفترة ١٩٥٨-١٩٧٤ (٤) معارض فقط، وفي الاتحاد السوفيتي (٣) معارض، مع أن ذلك الفن يمكن أن يضاف إلى الفنون التي لا تحتاج إلى لغة لفهمها، ومن هنا يعد عدم الاهتمام بها، والتوسع في تبادل معارضها تقصيراً غير مبرر^(٣).

وبقي الاحتكاك المصري - السوفيتي شبه مقتصر على الدوائر الرسمية المعنية بذلك الغرض، إذ كان المصريون يجدون صعوبة في التعرف على الروس في بلادهم، ولا يكادون يجدون الفرصة للاختلاط بهم على الصعيد الاجتماعي، وكان الروس العاملون في مصر يميلون إلى العيش منعزلين في حياتهم الثقافية، ويزداد ذلك الأمر تعقيداً بخوف المواطن الروسي من حكومته، فيما لو مال إلى علاقة شخصية أو اجتماعية أوثق مع المصريين^(٤).

ومن السلبيات الأخرى التي تخللت العلاقات الثقافية بين مصر والاتحاد السوفيتي، عدم وجود مدارس سوفيتية في مصر على غرار المدارس الفرنسية والانكليزية والألمانية، فضلاً عن الجامعة الأمريكية، وعدم وجود مدارس عربية في

(١) صحيفة الأهرام، العدد ٣١٤٢٣، ١٩٧٢/١٢/٢٢.

(٢) الصراع السوفياتي - الأمريكي في الشرق الأوسط، (إعداد) ج. س. هورويتز، المصدر السابق، ص ٢٢٠.

(٣) العلاقات الثقافية المصرية - السوفيتية، المصدر السابق، ص ٨.

(٤) بي. جي. فاتكيوتس، "ملاحظات حول تقييم التأثير السوفيتي في مصر" في كتاب الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط، مجموعة مؤلفين، المصدر السابق، ص ٣٢٣.

الاتحاد السوفيتي، علماً أن مثل تلك المدارس تلعب دوراً مهماً لا يقف عند تدريس اللغة، لكنه يمتد إلى دراسة التاريخ والجغرافيا، وحضارة الشعوب وطبائعها وأذواقها وأدبها وفنونها، وجوهر فكرها الذي يمتد إلى التعريف بسياساتها ونظام الحكم فيها، وتلك هي أسرع طريقة للتقارب الحقيقي بين الشعوب^(١).

(١) العلاقات الثقافية المصرية- السوفيتية، المصدر السابق، ص ٩.

جدول الملاحق

رقم الملحق	العنوان	المصدر	الصفحة
(١) الملحق رقم	الجدول (أ) يوضح عدد بعض مقتنيات الجيش المصري من الأسلحة السوفيتية وأنواعها خلال الفترة (١٩٦٧-١٩٧٣)	ملف العالم العربي - الدار العربية للوثائق/ د. ع. و. مصر، شؤون عسكرية، القوات المسلحة، الإسكندرية، (١٩٦٧-١٩٨٠)، م-١٥٠١/٧.	١٩٥
(٢) الملحق رقم	الجدول (ب) يوضح عدد بعض مقتنيات الجيش المصري من الأسلحة السوفيتية وأنواعها خلال الفترة ١٩٦٧-١٩٧٣	Glassman ,op Cit, p-p,105-106	١٩٦
(٣) الملحق رقم	النص الكامل للمعاهدة المصرية - السوفيتية في ٢٧ أيار ١٩٧١	مطر، روسيا الناصرية ومصر المصرية، ص-ص ١٨٥-١٨٨.	١٩٧-٢٠٠
(٤) الملحق رقم	مذكرة الى السادات تحذر من روسيا وتطالب بجهة وطنية	عصام حسونه، شهادتي - ٢٣ يوليو وعبد الناصر، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٠)، ص-ص ٢٧٣-٢٧٦.	٢٠١-٢٠٤
(٥) الملحق رقم	وثيقة اتمام وتشغيل محطة القوى المائية في اسوان	رمز الصداقة العظيمة، المصدر السابق، ص-ص ٥-٧.	٢٠٥-٢٠٦
(٦) الملحق رقم	مجموعة من الصور تمثل جوانب مختلفة من رمز الصداقة المصرية - السوفيتية	تصوير خاص بالباحث	٢٠٧-٢٠٩

رقم الملحق	العنوان	المصدر	الصفحة
الملحق رقم (٧)	اتفاقية التعاون العلمي والثقافي بين جامعة موسكو للدولة المسماة باسم (لومونسوف) وجامعة القاهرة	الحصول على التعليم في الاتحاد السوفيتي، المصدر السابق، ص-ص ١٢١-١٢٣	٢١١-٢١٠
الملحق رقم (٨)	رسم تخطيطي يبين مواقع المشاريع التي بنيت في مصر بمعونة الاتحاد السوفيتي	تيودورو فيتش، المصدر السابق، ص ٨٨.	٢١٢
الملحق رقم (٩)	الجدولان يوضح احدهما نسب صادرات وواردات جمهورية مصر العربية من وإلى الاتحاد السوفيتي خلال الفترة (١٩٦٩-١٩٧٣) مقسمة بملايين الدولارات ويوضح الثاني نسب استيراد جمهورية مصر للنفط السوفيتي خلال الفترة ١٩٦٩-١٩٧٣، مقسمة بالآلاف الأطنان	Marshall I. Goldman , "The soviet Union ", The (M I T) Press on behalf Of American Academy Of Arts sciences, Vol. 104, No. 4, P.134; Erica Schoenberger and Stephanie reich, "Soviet policy in the Middle East", Merip Reports ,No.39,(Jul,1975),p.25	٢١٣
الملحق رقم (١٠)	جدول يوضح اسماء وسنوات عمل سفراء الاتحاد السوفيتي في جمهورية مصر العربية خلال الفترة ١٩٤٣-١٩٧٤	قائمة لسفراء الاتحاد السوفيتي في جمهورية مصر العربية، محفوظة في سفارة الاتحاد السوفيتي في القاهرة.	٢١٤

الخاتمة

تميزت العلاقات المصرية - السوفيتية، منذ بداية التقارب المصري السوفيتي بكونها علاقات مصلحة متبادلة، عززتها حاجة كلا الجانبين إلى الآخر، وكان للسياسة التي اتبعتها مصر بعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ دور كبير في تعزيز العلاقة بين البلدين. كما ان توجه سياسة كلا البلدين نحو مواجهة الدول الغربية (الاستعمارية)، كان سبباً في ذلك التقارب المصري - السوفيتي. وقد تميزت العلاقة بين الجانبين بعدم التكافؤ لكون الاتحاد السوفيتي دولة كبرى لها نفوذ دولي بينما كانت مصر دولة نامية تشهد التحرر والتطور الاقتصادي.

وقد اعتمدت مصر منذ خمسينيات القرن العشرين على الاتحاد السوفيتي في مسألة تسليح الجيش المصري، وبات الاتحاد السوفيتي خلال الفترة ١٩٥٥-١٩٧٤، يمثل المصدر الوحيد للسلح بالنسبة لمصر، وعلى الرغم من الخلافات الجانبية التي تخللت تلك العلاقات، والتي كانت تتمثل بالخلاف العقائدي (الايديولوجي)، وتضييق النظام المصري الحاكم على التنظيمات اليسارية المصرية، وبموقف القيادة السوفيتية الغير مؤيد لقضية الوحدة العربية، إلا ان المصالح المشتركة والسياسة الخارجية لكل جلبت كانت تعني بالنسبة للجانب الآخر اهمية من تلك التطورات والمواقف الثابوية التي يمكن التغاضي عنها.

وفضلاً عن الدعم العسكري السوفيتي لمصر، كان للاتحاد السوفيتي موقف مؤيد ومساند للقضايا المصرية في المحافل الدولية، وتجسد ذلك الدعم السوفيتي في التأييد الذي ابدته القيادة السوفيتية لمصر خلال ازمات (١٩٥٦-١٩٦٧-١٩٧٣). الا انه وعلى الرغم من توقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين في ٢٧ أيار ١٩٧١، وما شهده ذلك العام من دعم سوفيتي مميز لمصر عن السنوات السابقة من الناحية العسكرية والاقتصادية فقد كانت هناك نقطة فاصلة في مسيرة العلاقات المصرية - السوفيتية خلال فترة الدراسة تمثلت بقرار الحكومة المصرية بشأن ابعاد الخبراء السوفيت في تموز ١٩٧٢، اذ ادى القرار إلى حدوث أزمة في العلاقات المصرية السوفيتية، فقد ادت ماطلة القيادة السوفيتية في مسألة تسليح مصر تسليحاً هجومياً رادعاً، إلى نفاذ صبر القيادة المصرية التي اتخذت ذلك القرار بصورة فردية، ولم تسالوم القيادة الأمريكية قبيل اتخاذها ذلك القرار، ويبدو ان افراد القيادة المصرية بذلك القرار وعدم مسالومة اطراف اخرى كان ناتجاً عن ايمانها بان اي اتفاق مع الولايات المتحدة بهذا الخصوص سيعطي الاتحاد السوفيتي الفرصة والحجة للقول بان ذلك القرار جاء بوصاية خارجية. كما ان الولايات المتحدة كانت مقبلة على انتخابات رئاسية وهي لذلك لن تقبل على اي مبادرة عالمية قبل انتهاء تلك الانتخابات. وقد وصف ذلك القرار حسب وجهة نظر مصرية بأنه بمثابة (وقفة مع صديق حولتها المعركة إلى وقفة للصديق معنا). وبالفعل ساهم الاتحاد السوفيتي مساهمة فعالة في دعم الجانب المصري عند اندلاع حرب تشرين الأول ١٩٧٣، من خلال الجسر الجوي والبحري الذي اقامه خلال فترة الحرب، ومن خلال مواقفه المؤيدة لمصر، وبياناته التي حذر فيها (إسرائيل) من الاستمرار في تجاهل قرارات مجلس الأمن، وادان فيها سياستها التوسعية.

إلا ان ايمان القيادة المصرية متمثلة بالسادات بدور الولايات المتحدة الفعال في المنطقة، وقدرتها على التأثير في سياسة (إسرائيل) والضغط عليها ومن ثم إيجاد حل للصراع العربي - (الإسرائيلي)، كان بمثابة نقطة الافتراق بين مصر والاتحاد السوفيتي. وقد احدث ذلك التغيير في سياسة مصر الخارجية توافقاً جزئياً مع سياسة الوفاق الدولي، الذي أدى بدوره إلى ارتباط مصر استراتيجياً بإحدى القوتين العظميين، وفقدان هامش المناورة السياسية في المجال الدولي، وفقدان احتمال إقامة علاقات متوازنة في المستقبل.

ان اي مطلع على مسار علاقة مصر بالاتحاد السوفيتي يجد ان مرحلة الصداقة في تلك العلاقات انتهت برحيل الرئيس المصري جمال عبد الناصر، وان علاقة السوفيت بالسادات كانت محاطة بالشكوك وفقدان الثقة، وان كل بادرة حسن نية اضطرارية كانت تخفي خلفها المزيد من انعدام الثقة، الذي بدا واضحاً خلال الأزمات الناشئة عن تضارب المصالح بين الجانبين وبذلك فان فترة الصداقة المصرية - السوفيتية كانت على حد تعبير المستشرق السوفيتي انتولي ييجورين (مشرقة كالشهاب وقصيرة مثله).

وقد شهد الجانب الاقتصادي والثقافي تعاوناً مصرياً سوفيتياً كبيراً، ويلاحظ ان العلاقات الاقتصادية بين البلدين لم تتأثر كثيراً بتدهور العلاقات السياسية، وبقيت في بعض الأحيان تسير ضمن مسارها العام.

المصادر

أولاً - الوثائق غير المنشورة

أ- الوثائق المصرية:

- دار الوثائق القومية المصرية (القاهرة) (د. و. ق. م)
- ١. محفوظات مجلس الوزراء المصري، محفظة ١٥٥، ملف ٣٢/٤-١، ج ١، ج ٢.
- ٢. محفوظات مجلس الوزراء المصري، محفظة ١٠٣، ملف ٦٥/٣-١، ج ٢.
- ٣. محفوظات مجلس الوزراء المصري، محفظة ١٠٣، ملف ٢٦/٣-١، ج ١، ج ٢.
- وثائق معهد التخطيط القومي (القاهرة)
- ١. تقرير عن زيارة الخبير الروسي (Mr. Krylov)، لمعهد التخطيط القومي، ابريل - مايو ١٩٦٣، مذكرة رقم (٣٧٥)، (١ اعداد) محمود سليم شريف، ١٣ نوفمبر ١٩٦٣.

ب- الوثائق العراقية

- دار الكتب والوثائق (بغداد) (د. ك. و) ملفات البلاط الملكي.
- ١. تقرير السفارة العراقية في القاهرة المرقم ١٢/٨/٣٤٢، بتاريخ ١٩٥٦/٤/٣، رقم الملف ٥٩٥٣١١/٥.
- ٢. تقرير السفارة العراقية في القاهرة المرقم ٨/٢/٥١٥-أ، بتاريخ ١٩٥٥/٦/٢٢، رقم الملف ٢٦٧٨٣١١/٥.
- ٣. تقرير السفارة العراقية في القاهرة، المرقم ٤٩١٠/٢/٢، في ايار ١٩٥٦، رقم الملف ٢٦٨٠٠٣١١/٥.
- ٤. تقرير السفارة العراقية في واشنطن، المرقم ٣٢١٠/١/٤، في تموز ١٩٥٦، رقم الملف ٥٠٠٤٠٣١١/٥.

ثانياً - الوثائق المنشورة

- أ- وثائق وزارة الخارجية البريطانية - لندن، المتاحة على شبكة الانترنت على الموقع:

www.nasser.org

- CAB. 12/5997, Foreign Office committee paper – Iraq I – Egyptian relations in 23 November 1959.
- PRO. F. C. O. 17/1363, military situation in the U. A. R, from the British Ambassador in Cairo to foreign office and commonwealth, 11 February 1970.
- PRO. F. C. O. 17/1647-104105, from British embassy in Cairo, to Near East and North African Debt Foreign Office and commonwealth in London, 4 July, 1972.
- PRO. F. C. O. 17/1992, from Near Eastern department to Foreign Offices, 30 April 1970.
- PRO. F. C. O. 17/1992, over Sea Affairs, (Arab - Israel dispute), 26 March 1970.
- PRO. F. O. 371/113787, from British Embassy in Cairo to Foreign Office in 15 December 1955.
- PRO. F. O. 371/190188, Canadian Embassy (British interests section), Cairo, 18 October 1966.

ب- وثائق وزارة الخارجية الأمريكية، المتاحة على شبكة الانترنت على الموقع:

www.nasser.org

- Foreign Relations of the United State, 1969-1976, Volume. XIV, Soviet Union , October 1971, may 1972, Documents (5), (231), (256).

ج- وثائق ارشيف الامن القومي الامريكي، المتاحة على موقع مركز ارشيف الامن القومي الامريكي:

www.nsarchive.org

- Department of state Operations center Middle East, Task force situation, Report (36), in the Middle East as of 1800, EDT, 16 October 1973.

- Department of state Operations center Middle East, Task force situation, Report (43), 19 October 1973.
- Department of state Operations center Middle East, Task force situation, Report (57), in 23 October 1973.
- Department of state, Briefing memorandum, from: INR – Ray, S. Cline to the secretary (cease – Fire problems), 24 October 1973.
- Department of state, memorandum of Conversation 20 October 1973.
- Department of state, memorandum of Conversation 22 October 1973.
- د- الدار العربية للوثائق، (د. ع. و)، ملف العالم العربي (بيروت)
- ١. مصر – العلاقات المصرية السورية، حرب حزيران ونتائجها (١٩٦٧-١٩٧٠)، م-١٣٠٢/٧.
- ٢. مصر – العلاقات مع الاتحاد السوفيتي، علاقات اوثق، (١٩٦٤-١٩٦٧)، م-١٣٠٣/٣١.
- ٣. مصر – العلاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية، من تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية إلى وفاة عبد الناصر، م-١٣٠١/١.
- ٤. مصر - سير وتراجم، محمود رياض، م-١٩٠٣/١.
- ٥. مصر – شؤون عسكرية – القوات المسلحة – الأسلحة، (١٩٦٧-١٩٨٠)، م-١٥٠١/٧.
- ٦. مصر – شؤون عسكرية، القوات المسلحة ودورها العسكري، حرب السويس ١٩٥٦، م-١٥٠١/٣.
- ٧. مصر – شؤون عسكرية، مصادر السلاح، م-١٥٠١/٦.
- ٨. مصر – العلاقات مع الاتحاد السوفيتي، من حرب حزيران ١٩٦٧ إلى وفاة عبد الناصر، م-١٣٠٣/٤.
- ٩. مصر – علاقات خارجية – العلاقات مع الاتحاد السوفيتي، بداية التعاون، (١٩٤٣-١٩٥٦)، م-١٣٠٣/١.
- هـ- الوثائق السوفيتية المنشورة

نشرة وكالة (نوفوستي) الصحافية، يصدرها المكتب الصحفي لدى سفارة الاتحاد السوفيتي في دمشق:

١. العدد ٥٦١، ١٩٦٨/١/٣٠.
٢. العدد ٥٦٧، ١٩٦٨/٢/٦.
٣. العدد ٦٨٥، ١٩٦٨/٧/٦.
٤. العدد ٦٨٩، ١٩٦٨/٧/١١.
٥. العدد ١١٠٧، ١٩٦٩/١٢/١٣.
٦. العدد ١٥٤٩، ١٩٧١/٧/٥.
٧. العدد ١٦٣٩، ١٩٧١/١٠/١٩.
٨. العدد ١٧٨٥، ١٩٧٢/٥/٣.
٩. العدد ١٨٥٤، ١٩٧٢/٧/٢٤.
١٠. العدد ٢٠١٤، ١٩٧٣/٢/١٤.
١١. العدد ٢٠٩١، ١٩٧٣/٥/٢٨.

- نشرة وكالة تاس الاخبارية، العدد (٦)، ١٩٦٧/١/٩، مؤسسة دار البعث (دمشق) رمز المحفظة: ١/٢/١١/٦/١

ثالثاً - الكتب الوثائقية:

١. الاتحاد السوفيتي والشرق الاوسط، مشاكل السلام والامن ١٩٥٦-١٩٧١، وثائق ومواد، دار نشر وكالة نوفوستي، (موسكو، ١٩٧٢).
٢. الاتحاد السوفيتي والعالم العربي، مجموعة من الوثائق السياسية، (اعداد) اسكندر احمدوف، دار التقدم، (موسكو، ١٩٧٨).
٣. الانتفاضة الطلابية في مصر (كانون الثاني ١٩٧٢)، سلسلة وثائق، ط١، دار ابن خلدون للطباعة، (بيروت، ١٩٧٢).
٤. بير، وليم، اسرار حرب اكتوبر في الوثائق الأمريكية، ترجمة: خالد داود، مركز الاهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٤).
٥. رمز الصداقة العظيمة، وكالة مطبوعات نوفوستي، (القاهرة، ١٩٧١).

٦. الساطع، اكرم نور الدين، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين، احداث -اعلام - ووثائق، دار النفائس ، (بيروت، ٢٠٠٨).
٧. الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧١، ط١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت، ١٩٧٥).
٨. الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٢، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت، ١٩٧٦).
٩. مجموعة خطب واحاديث الرئيس محمد انور السادات في الفترة من يناير - ديسمبر ١٩٧٣، ج٣، مطابع الهيئة العامة للاستعلامات، (القاهرة، ١٩٧٣).
١٠. مطر، فؤاد، روسيا الناصرية ومصر المصرية، دار النهار، (بيروت، ١٩٧٢).
١١. وثائق عبد الناصر، خطب - احاديث - تصريحات، (يناير ١٩٦٩ - سبتمبر ١٩٧٠)، (القاهرة، ١٩٧٣).
١٢. وثائق وقرارات المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي، منشورات وكالة انباء نوفوستي، (موسكو، ١٩٧٦).
١٣. الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٨، ط١، جمع واختيار جورج خوري نصر الله، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت، ١٩٧٠).
١٤. ، لعام ١٩٦٩، ط١، (بيروت، ١٩٧١).
١٥. ، لعام ١٩٧٠، ط١، (بيروت، ١٩٧٢).
١٦. ، لعام ١٩٧١، ط١، (بيروت، ١٩٧٤).
١٧. ، لعام ١٩٧٢، المجلد (٨)، (بيروت، ١٩٧٥).
١٨. ، لعام ١٩٧٣، (بيروت، ١٩٧٦).
١٩. ولايتي، علي اكبر، ايران وتطورات القضية الفلسطينية، دراسة في وثائق الخارجية الايرانية (١٨٩٧-١٩٧٩)، ط١، دار الهادي، (بيروت، ٢٠٠٦).

رابعاً - الاطاريح والرسائل الجامعية

أ- العربية

- أطاريح الدكتوراه

١. الاسدي، سلام محمد حمزة، الصراع الامريكي - السوفيتي على مصر (١٩٥٣-١٩٧٠)، اطروحة دكتوراه، معهد التأريخ العربي والتراث العلمي، (بغداد، ١٩٩٨).
٢. التميم، محمد علي محمد، العلاقات السعودية - الامريكية ١٩٦٤-١٩٧٥، دراسة تأريخية، اطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠٢.
٣. الخالدي، ميادة حيدر رشيد، مصر والتسوية العربية - الإسرائيلية، اطروحة دكتوراه، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.
٤. عبد الله، ذاكر محي الدين، الانقلابات العسكرية في السودان ١٩٥٨-١٩٧١، دراسة تأريخية، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب، جامعة الموصل، (الموصل، ٢٠٠٣).
٥. العبدلي، خليل الياس مراد، الصراع المصري - الصهيوني ١٩٦٧-١٩٧٣، اطروحة دكتوراه، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، (بغداد، ٢٠٠٠).
٦. العلوي، محمد جمال الدين، الصراع العربي - الصهيوني في السياسة الخارجية الامريكية (١٩٧٣-١٩٧٩)، (دراسة تأريخية سياسية)، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٢.
٧. المظفر، أراء جاسم محمد، موقف الولايات المتحدة الامريكية من حرب تشرين الاول ١٩٧٣، (دراسة تأريخية سياسية)، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٨.

- رسائل الماجستير

١. البدري، قتيبة عبد الله عباس، مصر واسرائيل بين المواجهة والسلام ١٩٦٧-١٩٧٨، رسالة ماجستير، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، جامعة المستنصرية، (بغداد، ٢٠٠٦).

٢. الجبوري، ميسون عباس حسين، أزمة السويس والموقف الدولي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ٢٠٠٥.
٣. الجرف، منى طعيمة عبد الحميد، دراسة اقتصادية لمجمع الالمذيوم في نجع حمادي، وتقويم دوره في الاقتصاد المصري، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، (القاهرة، ١٩٨٨).
٤. الجنابي، غفار جبار جاسم حمادي، السياسة الامريكية تجاه مصر ١٩٧٠-١٩٧٣، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٥.
٥. الخفاف، علي محفوظ عزيز، موقف مصر من القضية الفلسطينية ١٩٦٧-١٩٧٠، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٣.
٦. الدليمي، أيداد تركان ابراهيم يوسف، النشاط السوفيتي تجاه شطري اليمن والموقف العربي والدولي منه ١٩٦٢-١٩٧٩، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة ديالى، ٢٠٠٦.
٧. الطالب، مظفر نذير، السياسة الخارجية السوفيتية في الوطن العربي (١٩٥٣-١٩٦٧)، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٨٢.
٨. عازر، مينا ملاك، علاقة مصر مع القوتين الاعظم في الفترة من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٧، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٩.
٩. عبد الله، محمد جمال، التنافس السوفيتي - الامريكي ديال مصر ١٩٦٧-١٩٨١، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٨٩.
١٠. عرفة، عبد العظيم حسن مرسي، العلاقات العربية - السوفيتية، دراسة حالة عن السياسة السوفيتية تجاه العراق ١٩٥٨-١٩٦٨، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، (القاهرة، ١٩٨٣).
١١. غازي، وداد جابر، موقف الاتحاد السوفيتي من الصراع العربي الصهيوني حتى عام ١٩٧٣، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، (بغداد، ٢٠٠٣).
١٢. اللهيبي، أديب صالح عبد، العلاقات السورية - السوفيتية (١٩٤٦-١٩٦٧)، دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٤.

١٣. ملكو، جورج، العلاقات السورية - الروسية، الارث السوفيتي وفاق المستقبل، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد، جامعة حلب، ٢٠٠٥.

ب- الاجنبية

1- Ford, Hale Gregory Brad, The rise and Fall of Soviet influence in Egypt, Master of Arts in national security Affairs from The Naval postgraduate school, Monterey, c alifornia, 1976.

خامساً- الكتب العربية والمعرية

أ- الكتب العربية

١. اباضة، الامير، عامر ٦٧، مؤسسة دار التعاون للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٧).

٢. ابراهيم، صنع الله وآخرون، إنسان السد العالي، (القاهرة، د. ت).

٣. ابراهيم، سعد الدين، اعادة الاعتبار للرئيس السادات، ط١، دار الشروق، (القاهرة، ١٩٩٢).

٤. _____، كيسنجر وصراع الشرق الاوسط، دار قباء للطباعة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٠).

٥. ابو الريش، سعيد، جمال عبد الناصر - اخر العرب، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ٢٠٠٥).

٦. ابو الزمل، حسين، قطاع غزة ١٩٤٨-١٩٦٧، تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية، مركز الابحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، (بيروت، ١٩٧٩).

٧. ابو بكر، توفيق، الولايات المتحدة الأمريكية والصراع العربي الصهيوني، ذات السلاسل للطباعة والنشر، (الكويت، ١٩٨٦).

٨. أبو طالب، حسن، عروبة مصر بين التاريخ والسياسة، مكتبة الاسرة، (القاهرة، ٢٠٠٤).

٩. الاحدب، عزيز، اليوم السابع لحرب حزيران، ج١، حرب الاستنزاف، الدار الشرقية للنشر، (بيروت، ١٩٧٢).

١٠. اسبر، امين، السلام والتسليح النووي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (دمشق، ١٩٩٥).
١١. الأسلحة الفردية، (اعداد)، يزيد الصائغ، ط١، للمؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٨٦).
١٢. أغا، حسين وآخرون، الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٨٢).
١٣. إمام، عبد الله، انقلاب ١٥ مايو القصة كاملة، دار الموقف العربي، (القاهرة، ١٩٨٤).
١٤. _____، ناصر وعامر، مؤسسة روز اليوسف، (القاهرة، ١٩٨٥).
١٥. أمين، جلال، قصة ديون مصر الخارجية من عصر محمد علي إلى اليوم، دار الفجر، (القاهرة، ١٩٨٧).
١٦. الانصاري، محمد جابر، الناصرية بمنظور نقدي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ٢٠٠٢).
١٧. الايوبي، المقدم الهيثم، اتفاق فصل القوات الثاني في سيناء ١٩٧٥، دراسة تحليلية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٥).
١٨. البدري، حسن وآخرون، حرب رمضان الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة، أكتوبر ١٩٧٣، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٧٤).
١٩. بهاء الدين، احمد، وتحطمت الاسطورة عند الظهر، سلسلة كتاب اليوم، العدد (٥٥٠)، دار الهلال، (القاهرة، ١٩٩٦).
٢٠. بيضون، احمد وآخرون، ثورة ٢٣ يوليو - حصيلة ودروس، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ٢٠٠٢).
٢١. بيومي، صلاح السيد، الديمقراطية والقرار السياسي بين عبد الناصر والسادات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠٨).
٢٢. الثائه، سعد، مصر بين عهدي [١٩٥٢-١٩٧٠]، [١٩٧٠-١٩٨١]، ط١، دار النضال، (بيروت، ١٩٨٢).

٢٣. التكريتي، بثينة عبد الرحمن، جمال عبد الناصر، نشأة وتطور الفكر الناصري، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ٢٠٠٠).
٢٤. جاسم، عبد المناف شكر، العلاقات العراقية - السوفيتية، ١٩٤٤-١٩٦٣، ط١، مديرية مطبعة الحكم المحلي، (بغداد، ١٩٨٠).
٢٥. جرجس، فواز، النظام الإقليمي العربي والقوى الكبرى، دراسة في العلاقات العربية العربية والعربية الدولية، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٩٩٧).
٢٦. جعفر، قاسم محمد، سوريا والاتحاد السوفيتي، دراسة في العلاقات العربية السوفيتية، رياض الرئيس للكتب والنشر، (بيروت، ١٩٨٧).
٢٧. الجعفري، بشار، السياسة الخارجية السورية ١٩٤٦-١٩٨٢، ط١، دار طلاس، (دمشق، ١٩٨٧).
٢٨. جلاب، فيليب، هل نهدم السد العالي، كتاب الاهالي، العدد (٦)، (القاهرة، ١٩٨٥).
٢٩. جلال، محمد نعمان، العلاقات المصرية الباكستانية في نصف قرن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٨).
٣٠. جمال عبد الناصر، رؤية متعددة الزوايا، (تحرير) عبد القادر ياسين، ط١، دار الكاتب العربي، (دمشق، ٢٠٠٨).
٣١. الجمل، مايسه، النخبة السياسية في مصر، (دراسة حالة النخبة الوزارية)، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٩٩٣).
٣٢. الجوادي، محمد، سيد مرعي - شريك وشاهد على عصر اللبرالية والثورة والانفتاح في مصر المعاصرة (١٩٤٤-١٩٨١)، ط١، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩٩).
٣٣. _____، التشكيلات الوزارية في عهد الثورة، الهيئة العامة للاستعلامات (القاهرة، ١٩٨٦).

٣٤. حاتم، محمد عبد القادر، دور الاعلام المصري في تحقيق المفاجأة الإستراتيجية في حرب اكتوبر ١٩٧٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠٩).
٣٥. الحاج، ماجد، الشتات الروسي في إسرائيل، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، (فلسطين، ٢٠٠٨).
٣٦. حبيب، طارق، ملك وثلاث رؤساء، ط١، دار الشروق، (القاهرة، ٢٠١٠).
٣٧. حجاوي، سلافه، اليهود السوفيت، دراسة في الواقع الاجتماعي، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، (بغداد، ١٩٨٠).
٣٨. الحديدي، صلاح الدين، شاهد على حرب ٦٧، ط٢، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٧٥).
٣٩. _____، حرب اكتوبر في الميزان العسكري، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٧٤).
٤٠. الحديدي، علاء، مصطفى النحاس، دراسة في الزعامة السياسية المصرية، دار الهلال، (القاهرة، ١٩٩٣).
٤١. حرب الاستنزاف - صفحات مضيئة من تاريخ مصر العسكري يونيو ١٩٦٧- آب ١٩٧٠، (اعداد) وزارة الدفاع المصرية، هيئة البحوث العسكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٨).
٤٢. الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة، وقائع وتفاعلات، منشورات مركز الابحاث، (منظمة التحرير الفلسطينية)، سلسلة كتب فلسطينية تسلسل (٥٩)، (بيروت، ١٩٧٤).
٤٣. حرب يونيو ١٩٦٧ بعد ٣٠ سنة، (تحرير) لطفي الخولي، ط١، مركز الازهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٧).
٤٤. حسني، حمادة، عبد الناصر والتنظيم الطليعي السري ١٩٦٣-١٩٧١، منشورات مكتبة بيروت، (القاهرة، ٢٠٠٨).
٤٥. _____، شمس بدران الرجل الذي حكم مصر ٤٨ ساعة، منشورات مكتبة بيروت، (القاهرة، ٢٠١٠).

٤٦. حسون، محمد عبد المجيد، استراتيجية صراع القوى الكبرى في الوطن العربي - الواقع والتوقعات، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٢).
٤٧. حسين، عادل، الاقتصاد المصري من الاستقلال إلى التبعية ١٩٧٤-١٩٧٩، ط١، دار الكلمة للنشر، (بيروت، ١٩٨١).
٤٨. _____، سد حلوان العالي، قصة العقد (٧٧٠٠)، (القاهرة، ١٩٧٤).
٤٩. الحفناوي، احمد، العرب واسرائيل في إستراتيجية السوفيت، مطابع صحيفة الجمهورية، (القاهرة، ١٩٧٩).
٥٠. حماد، احمد، الاتحاد السوفيتي والبلدان العربية - العلاقات الاقتصادية والتجارية، منشورات وزارة الاعلام السورية، (دمشق، ١٩٨١).
٥١. حماد، جمال، الحكومة الخفية في عهد عبد الناصر واسرار مصرع المشير عامر، طه، الشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع، (القاهرة، ٢٠٠٨).
٥٢. حمدان، جمال، ٦ اكتوبر في الاستراتيجية العالمية، كتاب الهلال، عدد (٥٦٢)، دار الهلال، (القاهرة، ١٩٩٧).
٥٣. حمدان، كمال وآخرون، الدول الكبرى والصراع العربي الاسرائيلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٦).
٥٤. حمروش، احمد، غروب يوليو، دار المستقبل العربي، (بيروت، ١٩٨٧).
٥٥. _____، قصة ثورة ٢٣ يوليو، ج٥، خريف عبد الناصر، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٨).
٥٦. حمودة، عادل، عبد الناصر اسرار المرض والاغتيال، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، (القاهرة، ١٩٨٨).
٥٧. الحيوان، محمد، قصة الديون السوفيتية على مصر مطابع الاوفست بشركة الاعلانات الشرقية، (القاهرة، د. ت).
٥٨. خاطر، فؤاد المرسي، العلاقات المصرية - السوفيتية ١٩٥٧-١٩٧٠، دار دلتا للطباعة والنشر، (طنطا، د. ت).
٥٩. الخطيب، عمر، مصر والحرب مع إسرائيل (١٩٥٢-١٩٧٣)، دار الحرية للطباعة، (بيروت، ١٩٧٧).

٦٠. خليل، عبد المنعم، في قلب المعركة، المكتبة الاكاديمية، (القاهرة، ١٩٩٥).
٦١. خولوف، نور محمد، جارياتشكين، جيزيادي، روسيا ومصر صداقة ممتدة، ط١، (الاسكندرية، ٢٠٠٤).
٦٢. الخولي، لطفي، ٥ يونيو، الحقيقة والمستقبل، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٤).
٦٣. _____، مدرسة السادات السياسية واليسار المصري، منشورات العالم العربي، (باريس، د.ت).
٦٤. درويش، عبد الكريم، تكلا، ليلي، حرب الساعات الست، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٧٤).
٦٥. الدغدي، انيس، الـ C. I. A، ملفات الحكام العرب، ط١، دار الكتاب العربي، (دمشق، ٢٠٠٦).
٦٦. ديان يعترف، (اعداد) شوقي ابراهيم، دار التعاون للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٧٧).
٦٧. ذهني، سهام، من ايام عبد الناصر والسادات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠٣).
٦٨. رافت، وحيد، العالم العربي والاستراتيجية السوفيتية المعاصرة، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٧٧).
٦٩. ربابعة، غازي، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والصراع في الشرق الاوسط، ١٩٦٧-١٩٨٧، ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع، (عمان، ١٩٨٩).
٧٠. ربيع، حامد عبد الله وآخرون، علاقات إسرائيل الدولية، دار الحكمة، (بغداد، ١٩٩٠).
٧١. _____، سلاح البترول والصراع العربي الإسرائيلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٤).

٧٢. _____ ، الحوار العربي - الأوربي
واستراتيجية التعامل مع الدول الكبرى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،
(بيروت، ١٩٨٠).
٧٣. الرحومي، احمد وآخرون، اسرار ووثائق الثورة اليمنية، دار العودة،
(بيروت، ١٩٧٩).
٧٤. رمضان ، عبد العظيم، حرب اكتوبر في محكمة التاريخ، مكتبة الاسرة،
(القاهرة، ١٩٩٥).
٧٥. _____ ، حرب اكتوبر في محكمة التاريخ، مكتبة
الاسرة، _____
(القاهرة، ١٩٩٥).
٧٦. _____ ، مصر في عصر السادات، ج٢، مكتبة
م _____
(القاهرة، ١٩٨٩).
٧٧. _____ ، العلاقات المصرية - الإسرائيلية ١٩٤٨-
١٩٧٩ الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٢).
٧٨. _____ ، تأريخ مصر والمزورون، الزهراء للإعلام
العربي _____
(القاهرة، ١٩٩٣).
٧٩. _____ ، قصة عبد الناصر والشيوعيين، ج١، الهيئة
المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٨).
٨٠. _____ ، تحطيم الالهة - قصة حرب يونيه ١٩٦٧،
ج٢، الهيئة المصرية العامة لكتاب، (القاهرة، ٢٠٠١).
٨١. _____ ، عبد الناصر وأزمة مارس ١٩٥٤، مطابع
روز اليوسف، (القاهرة، ١٩٧٧).
٨٢. زكريا، فؤاد ، كم عمر الغضب، هيكل وأزمة العقل العربي، شركة كاظمة
للنشر والتوزيع، (الكويت، ١٩٨٣).

٨٣. زكي، حسن، السد العالي وسياسة ضبط نهر النيل، (القاهرة، ١٩٧٦).
٨٤. زناييلي، عبد المنعم، تشرين في مجلس الامن، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، (دمشق، ١٩٧٤).
٨٥. زهران، جمال علي، السياسة الخارجية لمصر ١٩٧٠-١٩٨١، مكتبة مدبولي، (القاهرة ١٩٨٧).
٨٦. _____، توازن القوى بين العرب واسرائيل، بين حربي ١٩٦٧-١٩٧٣، ط١، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٨٨).
٨٧. سالم، لطيفة محمد، أزمة السويس ١٩٥٤-١٩٥٧، جذور - احداث - نتائج، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩٧).
٨٨. السامرائي، عبد الله سلوم، الولايات المتحدة الأمريكية والمؤامرة على الامة العربية، ط١، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، (بغداد، ١٩٨٢).
٨٩. سطوحى، ابراهيم، نهاية حكم العسكر، دار الشباب، (القاهرة، ١٩٩٣).
٩٠. سعدة، ابراهيم، الروس قادمون، ط٣، المكتب المصري الحديث، (القاهرة، ١٩٧٦).
٩١. سعودي، هالة ابو بكر، السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي ١٩٦٧-١٩٧٣، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٩٨٦).
٩٢. السعيد، رفعت، تأملات في الناصرية، ط٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٧٩).
٩٣. السيد، عاطف، عبد الناصر وأزمة الديمقراطية، سطوة الزعامة وجنون السلطة، (القاهرة، ٢٠٠٢).
٩٤. _____، من سيناء إلى كامب ديفيد ١٩٦٧-١٩٧٩، دار عطوة للطباعة، (القاهرة، ١٩٨٨).
٩٥. سيد، سمير احمد، الاسادات وصفحاته المجهولة، فاروس للنشر والتوزيع، (القاهرة، ٢٠١٠).
٩٦. الشاذلي، فاروق، خبايا حرب اكتوبر، دار اخبار اليوم، (القاهرة، ١٩٩٩).

٩٧. الشافعي، محمد، يوسف، محمد، السد العالي هرم الارادة المصرية، الهيئة العامة للقصور الثقافية، (القاهرة، ٢٠٠٧).
٩٨. شحاته، ابراهيم، حظر تصدير النفط العربي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، (بيروت، ١٩٧٥).
٩٩. شعبان، احمد بهاء الدين، ٤٨ ساعة هزت مصر، ط١، دار هفن للترجمة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٩).
١٠٠. شعبان، عبد الحسين، الصراع الأيدلوجي في العلاقات الدولية وتأثيره على العالم العربي، ط١، (دمشق، ١٩٨٥).
١٠١. شكري، غالي، الثورة المضادة في مصر، الهيئة العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٨).
١٠٢. _____، عروبة مصر وامتحان التأريخ، ط٢، دار الافاق الجديدة، (بيروت، ١٩٨١).
١٠٣. شلبي، السيد أمين، الوفاق الأمريكي السوفيتي، ١٩٦٣-١٩٧٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٨١).
١٠٤. الشلق، احمد زكريا، ثورة يوليو والحياة الحزبية - النظام واحتواء الجماهير، ط١، دار الشروق، (القاهرة ٢٠١٠).
١٠٥. شميمس، عبد المنعم، الاسادات من القرية إلى المذصة، دار نون للطباعة، (القاهرة، ٢٠٠٨).
١٠٦. شيبان، انطوان، قرار امريكا بالفشل في الشرق الاوسط، (دمشق، ١٩٨٤).
١٠٧. الشيخ، نور هان، السياسة الروسية تجاه الشرق الاوسط في القرن الاحادي والعشرين، مركز الدراسات الاوربية، جامعة القاهرة، (القاهرة، ٢٠١٠).
١٠٨. الصائغ، أنيس وآخرون، عبد الناصر وما بعد، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٨٠).
١٠٩. الصائغ، يوسف وآخرون، حرب الاستنزاف - حرب عبد الناصر الاخيرة، دار القدس، (بيروت، ١٩٧٨).

١١٠. الصباغ، سعيد، العلاقات المصرية - الايرانية بين الوصال والقطيعة ١٩٧٠-١٩٨١، دار الشروق، (القاهرة، ١٩٧٦).
١١١. صبري، علي، التطبيق الاشتراكي في مصر، ط٢، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة، د. ت.).
١١٢. صبري، موسى، السادات الحقيقة والاسطورة، المكتب المصري الحديث، (القاهرة، ١٩٨٥).
١١٣. _____، وثائق ١٥ مايو، ط١، المكتب المصري الحديث، (القاهرة، ١٩٧٧).
١١٤. _____، وثائق حرب اكتوبر، ط١، المكتب المصري الحديث، (القاهرة، ١٩٧٤).
١١٥. صفوة، نجدة فتحي، العرب في الاتحاد السوفيتي ودراسات اخرى، ط١، منشورات مكتبة افاق عربية، (بغداد، ١٩٨٤).
١١٦. الطاهري، حمدي، حرب اكتوبر في الاعلام العالمي، ط٢، المطبعة العالمية، (القاهرة، ١٩٧٥).
١١٧. طعيمة، احمد، شاهد حق، صراع السلطة، نجيب - عبد الناصر - عامر - السادات، مطابع الاهرام التجارية، (القاهرة، ١٩٩٩).
١١٨. طنطاوي، حسين، العبور، مصر ارض التحدي، مطبوعات دار الشعب، (القاهرة، ١٩٧٣).
١١٩. ال طويرش، موسى محمد، تاريخ العلاقات الدولية من كندي حتى غورباتشوف ١٩٦١-١٩٩١، ط٢، دار المرتضى، (بغداد، ٢٠٠٨).
١٢٠. الطويل، محمد، وزارة اكتوبر، دار ثابت للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٠).
١٢١. الطويلة، عبد الستار، انور السادات الذي عرفته الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٢).
١٢٢. _____، رفض الرفض، حوار مع جبهة الرفض العربية، ط٢، وكالة تليستار، (القاهرة، ١٩٧٧).

١٢٣. عاشور، سعيد هارون، اخبار المصريين في القرن العشرين، من ١٩٥١-١٩٧٥، مكتبة الآداب، (القاهرة، ٢٠٠٨).
١٢٤. عبد الباقي، علي حسن، شهود عصر السادات، (القاهرة، ٢٠٠٣).
١٢٥. عبد الحكيم، طاهر، حول حرب تشرين والتسوية الامريكية، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٦).
١٢٦. عبد الحميد، محمد، ابو الثائرين، الفريق عزيز المصري، سلسلة كتاب اليوم، العدد (٣٣٣)، دار اخبار اليوم، (القاهرة، ١٩٩٢).
١٢٧. عبد الفتاح، فتحي، شيوعيون وناصريون، منشورات مؤسسة روز اليوسف، (القاهرة، ١٩٧٥).
١٢٨. عبد الفضيل، محمود، الاقتصاد المصري بين التخطيط المركزي والانفتاح الاقتصادي، ط١، معهد الانماء العربي، (طرابلس، ١٩٨٠).
١٢٩. العثمان، عثمان، مأزق التسوية السياسية للصراع العربي الاسرائيلي، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، (بيروت، ٢٠٠٣).
١٣٠. عرفة، موسى، السد العالي، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٥).
١٣١. العسلي، بسام، خروتشوف، سلسلة قادة الكرملين، ط١، دار طلاس، (دمشق، ١٩٨٥).
١٣٢. العشي، حسين، خفايا حصار السويس، مئة يوم مجهولة في حرب اكتوبر ١٩٧٣، ط١، دار الحربية للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٠).
١٣٣. عطا الله، مرسي، حقيقة الذغرة في الدفر سوار، رواية الحرب من غرفة العمليات، مطبعة اطلس، (القاهرة، ١٩٧٧).
١٣٤. عفيفي، الهام محمد السيد، معركة بناء السد العالي وتأثيره الاقتصادي ١٩٥٢-١٩٨٧، دار الكتب والوثائق القومية، (القاهرة، ٢٠٠٩).
١٣٥. العقاد، صلاح، السادات وكامب ديفيد، الاتفاقيات واصولها التاريخية، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٨٦).
١٣٦. _____، مأساة يوزيف ١٩٦٧، حقائق وتحليل، ط١، مكتبة الانجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٧٥).

١٣٧. العقاد، عامر، حرب الاكاذيب - الشيوعية.. حقيقتها.. وواقعها، مؤسسة دار الشعب، (القاهرة، ١٩٧٧).
١٣٨. العلاقات الثقافية المصرية السوفيتية، (اعداد) حسين عبد ربه، ط١، دار الثقافة الجديدة، (القاهرة، ١٩٧٦).
١٣٩. العلوان، شريف جويد، تسوية كامب ديفيد، ومستقبل الصراع العربي - الصهيوني، دار واسط للنشر، (بغداد، ١٩٨٢).
١٤٠. العلوي، مجيد، التأريخ العسكري للشرق الاوسط ١٩٤٠-٢٠٠٠، مركز ابن رشد للبحوث، (لندن، ٢٠٠٣).
١٤١. عودة، بطرس عودة، عبد الناصر والاستعمار العالمي، ج٢، دار الوحدة، (القاهرة، د.ت).
١٤٢. عوض، لويس، اقنعة الناصرية السبعة، ط١، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩٧).
١٤٣. عوض، محمد، اليوم السابع، الحرب المستحيلة - حرب الاستنزاف، ط١، دار المعارف، (القاهرة، ٢٠١٠).
١٤٤. فتحي، ممدوح انيس، مصر من الثورة إلى النكسة، مقدمات حرب حزيران - يونيو ١٩٦٧، مركز الامارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، (الامارات، ٢٠٠٣).
١٤٥. فرحات، البير، مصر في ظل السادات، ١٩٧٠-١٩٧٧، دار الفارابي، (بيروت، ١٩٧٨).
١٤٦. فهمي، فاروق، السادات هل قتل الليثي ناصف، مؤسسة آمون الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، (القاهرة، ١٩٩٢).
١٤٧. فؤاد، حمدي، الحرب الدبلوماسية بين العرب واسرائيل، دار قضايا، (بيروت، ١٩٧٦).
١٤٨. قصة السوفيات مع مصر، (اعداد) محمد عودة واخرون، دار ابن خلدون، (بيروت، د.ت).

١٤٩. قلعجي، قدري، اراء العلماء والقادة السوفيت في الامة والطبقة والوحدة والمقاومة وقضية فلسطين، دار الكاتب العربي، (بيروت، د. ت).
١٥٠. كامل، رشاد، لغز السادات، ط١، مطابع روز اليوسف، (القاهرة، ١٩٨٩).
١٥١. _____، حياة المشير محمد عبد الحكيم عامر، ط١، دار الخيال، (القاهرة، ٢٠٠٢).
١٥٢. كتن، جورج شكري، العلاقات الروسية العربية في القرن العشرين وافاقها، سلسلة دراسات الإستراتيجية، العدد (٣٥)، مركز الامارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ٢٠٠١.
١٥٣. كروم، حسنين، عبد الناصر المفترى عليه، ط٥، دار الموقف العربي، (القاهرة، ١٩٨٥).
١٥٤. كعوش، يوسف، الدروس المستفادة من الحروب العربية الإسرائيلية ١٩٤٧-١٩٨٦، ط١، (عمان، ١٩٨٧).
١٥٥. الكنسي، حمدي، الحرب طريق السلام، اصدارات مجلة النهار، (القاهرة، ١٩٩٧).
١٥٦. لسنا وحدنا في المعركة، منشورات الوكالة العربية السورية للانباء، (سانا، دمشق، د. ت).
١٥٧. مالك، عادل، من رودس إلى جينيف، دار النهار للنشر، (بيروت، ١٩٧٤).
١٥٨. مباشر، عبده، يوميات اكتوبر في سيناء والجولان، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٧٦).
١٥٩. المجذوب، طه، سنوات الاعداد وايام النصر، (يونيو ١٩٦٧ - اكتوبر ١٩٧٣)، مركز الاهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٩).
١٦٠. _____، حرب اكتوبر- طريق السلام، الهيئة العامة للاستعلامات، (القاهرة، ١٩٩٣).
١٦١. _____، هزيمة يونيو حقائق وأسرار من النكسة حتى حرب الاستنزاف، دار الهلال، (القاهرة، ١٩٨٩).

١٦٢. مجموعة مؤلفين، النار والجليد، الامبراطورية الحمراء من المهد إلى اللاحد، دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٩٢).
١٦٣. مجموعة مؤلفين، إيران - مصر مقاربات مستقبلية، (تحرير) توفيق شومان، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، (بيروت، ٢٠٠٩).
١٦٤. مجموعة مؤلفين، حرب السويس بعد اربعين عاماً، (تحرير) رؤوف عباس حامد، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية في مؤسسة الأهرام، (القاهرة، ١٩٩٧).
١٦٥. مجموعة مؤلفين، معركة السويس - ثلاثون عاماً، ط١، دار الشروق، (لقاهرة، ١٩٨٩).
١٦٦. المحامي، كمال خالد، رجال عبد الناصر والسادات، ط٢، دار العدالة للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٨٦).
١٦٧. محجوب، علي وآخرون، مصر بعد العبور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٨٨).
١٦٨. محسن، هاشم علي، الحرب الرابعة، والقياس العلمي لتحديد طابع الحرب، دار الطليعة للطباعة، (بيروت، د. ت).
١٦٩. محمد انور السادات، رئيس جمهورية مصر العربية رجل الحرب والسلام، (١٧/١٠/١٩٧٠ - ٦/١٠/١٩٨١)، (اعداد) مركز زايد للتنسيق والمتابعة (ابو ظبي، ٢٠٠١).
١٧٠. محمود، رجب، ملحمة الاسد العالي، ط١، مركز ال اهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٦).
١٧١. مراد، محمد، السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي بين الثابت الاستراتيجي والمتغير الظرفي، ط١، دار المنهل اللبناني، (بيروت، ٢٠٠٩).
١٧٢. مراد، محمود، من كان يحكم مصر، (شهادات وثائقية)، ط١، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٧٥).
١٧٣. المرسي، فؤاد، العلاقات المصرية - السوفيتية ١٩٤٣-١٩٥٦، دار الثقافة الجديدة، (القاهرة، ١٩٧٧).

١٧٤. مروة، كريم، الشيوعيون الاربعة الكبار، في تأريخ لبنان الحديث، فؤاد شمالي - فرج الله الحلو - نيقولا شاوي - جورج حاوي، دار الساقى، (بيروت، ٢٠٠٩).

١٧٥. مزاحم، غسان يوسف، اتحاد الجمهوريات العربية، (مصر - سوريا - ليبيا)، دار حوران للطباعة والنشر، (دمشق، ٢٠٠٠).

١٧٦. المسيري، عبد الوهاب، هجرة اليهود السوفيت، دار الهلال، (القاهرة، ١٩٩٠).

١٧٧. مصر في التقارير الدولية، (اشراف) علي الدين هلال، (١ اعداد) معتر سلامة وآخرون، مركز البحوث للدراسات السياسية، (القاهرة، ٢٠٠٧).

١٧٨. مصر وأمريكا، عرض تأريخي لتطور العلاقات المصرية - الأمريكية، (إعداد) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، مؤسسة الاهرام، (القاهرة، ١٩٧٦).

١٧٩. مصطفى، حسن، معارك الجبهة المصرية في حرب رمضان ١٩٧٣، مديرية المطابع العسكرية، (بغداد، ١٩٨٢).

١٨٠. مصطفى، احمد عبد الرحيم، الولايات المتحدة والمشرق العربي، سلسلة عالم المعرفة، تسلسل (٤)، (الكويت، ١٩٧٨).

١٨١. مطر، فؤاد، اين أصبح عبد الناصر في جمهورية السادات - اسرار سقوط رؤوس النظام الناصري، دار النهار للنشر، (بيروت، ١٩٧٢).

١٨٢. _____، بصراحة عن عبد الناصر - حوار على مدى ٢٠ ساعة مع محمد حسنين هيكل، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٨٩).

١٨٣. _____، زلازل مصر السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، _____،

(بيروت، ١٩٩٩).

١٨٤. مظهر، سليمان، قصة الصراع بين السادات ورجال عبد الناصر، ط١، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩٧).

١٨٥. مقار، شفيق، قتل مصر من عبد الناصر إلى السادات، دار رياض الرئيس للنشر، (بيروت، ١٩٨٩).

١٨٦. مقلد، اسماعيل صبري، الصراع الأمريكي - السوفيتي حول الشرق الأوسط، الأبعاد الإقليمية والدولية، منشورات ذات السلاسل، (الكويت، ١٩٨٦).

١٨٧. _____، قضايا دولية معاصرة، مؤسسة الصباح، (الكويت، ١٩٨٠).

١٨٨. مكى، بابكر حسن، النميري - الامام والروليت، اسرار ١٦ سنة من حكم المشير للسودان، حق النشر والتوزيع للمؤلف، (الكويت، د. ت.).

١٨٩. من محاضر اجتماعات عبد الناصر العربية والدولية، ١٩٦٧-١٩٧٠، (اعداد) عبد المجيد فريد، مؤسسة الابحاث العربية، (بيروت، ١٩٨٥).

١٩٠. منصور، انيس، من اوراق السادات، ط٤، دار المعارف، (القاهرة، ٢٠١٠).

١٩١. منصور، ممدوح مصطفى، الصراع الأمريكي - السوفيتي في الشرق الأوسط، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩٦).

١٩٢. مهنا، محمد نصر، السوفيت وقضية فلسطين، دار المعارف، (القاهرة، د. ت.).

١٩٣. النابلسي، تيسير، حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، سلسلة دراسات فلسطينية، تسلسل (٩٠)، (بيروت، ١٩٧١).

١٩٤. نافعة، حسن، مصر والصراع العربي الإسرائيلي، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٩٨٦).

١٩٥. هويدي، امين، اضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧ وعلى حرب الاستنزاف، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٧٥).

١٩٦. _____، الفرص الضائعة: القرارات الحاسمة في حربي الاستنزاف واكتوبر، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٩٢).

١٩٧. _____، حروب عبد الناصر، ط١، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٧٧).

١٩٨. محمد حسنين هيكل، وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، (بيروت، د.ت).

١٩٩. _____، أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة، ط١، دار الشروق، (القاهرة، ٢٠٠٤).

٢٠٠. _____، الانفجار ١٩٦٧، ط١، دار الشروق، (القاهرة، ٢٠٠٤).

٢٠١. _____، حكاية العرب والسوفيت، شركة الخليج للتوزيع والص _____،

(الكويت، ١٩٧٩).

٢٠٢. _____، خريف الغضب، ط١، مركز الاهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٨٨).

٢٠٣. _____، عبد الناصر والعالم، دار النهار للنشر، (بيروت، ١٩٧٢).

٢٠٤. _____، محمد حسنين، لمصر لا لعبد الناصر، دار الشروق، (القاهرة، ٢٠٠٣).

ب- الكتب المعربة

١. أبو عز الدين، نجلاء، ناصر العرب، ترجمة: فريد ابو عز الدين، دار المستقبل العربي، ط١، (القاهرة، ١٩٨٨).

٢. الاتحاد السوفيتي والبلدان العربية - الصداقة والتعاون، منشورات وكالة نوفوستي للانباء (موسكو، ١٩٧١).

٣. اجار شيف، انتولي، التآمر ضد العرب، ترجمة: فهد كم نقش، دار التقدم، (موسكو، ١٩٨٨).

٤. اجارشيف، جمال عبد الناصر، ترجمة: سامي عمارة، دار التقدم، (موسكو، ١٩٨٣).

٥. ادميتش وآخرون، تاريخ السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي (١٩٤٥-١٩٧٦)، ج٢، دار التقدم، (موسكو، ١٩٨٠).
٦. ألون، يغال، انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي، ترجمة: عثمان سعيد، دار العودة، (بيروت، ١٩٧١).
٧. اورين، ميشيل. ب، ستة ايام من الحرب، حزيران ١٩٦٧، وصناعة شرق اوسط جديد، ترجمة: ابراهيم الشهابي، ط١، منشورات مكتبة العبيكان، (الرياض، ٢٠٠٥).
٨. أوسيوف، أ. إ، الولايات المتحدة الأمريكية والدول العربية، في السبعينيات وبداية الثمانينيات، ترجمة: محمود شفيق الشعبان، دار دمشق، (دمشق، ١٩٨٤).
٩. اوليانوفسكي، الاشتراكية والبلدان المتحررة، دار التقدم، (موسكو، ١٩٧٥).
١٠. ايلين وموتوليف، ما هو الاقتصاد السياسي، ترجمة: فهد كم نقش، دار التقدم، (موسكو، ١٩٨٧).
١١. ايمهوف، كرسstof فون، مبارزة في البحر المتوسط، موسكو تضع يدها على الشرقيين الأدنى والاوسط، وزارة الاعلام المصرية، الهيئة العامة للاستعلامات، سلسلة كتب مترجمة، تسلسل (٧٠٧)، (القاهرة، ١٩٦٩).
١٢. برغمان، اهارون، الطهري، جيهان، إسرائيل والعرب، حرب الخمسين عاماً، ترجمة: سالم سليمان العيسى، ط٢، دار الاوائل، (دمشق، ٢٠٠٤).
١٣. بريماكوف، يفيغيني، الشرق الأوسط - المعلوم والمخفي، ترجمة: علي العرب وعبد السلام شهباز، دار اسكندرون، (دمشق، ٢٠٠٦).
١٤. ، الولايات المتحدة الأمريكية والنزاع العربي - الإسرائيلي، ترجمة: علي هورو، ط٢، دار الفارابي، (بيروت، ١٩٨٠).
١٥. ، تشريح الصراع في الشرق الأوسط، ترجمة: سعيد احمد، دار ابن خلدون، (بيروت، ١٩٨٢).
١٦. بهبهاني، هاشم، الاتحاد السوفيتي والقومية العربية ١٩٧١-١٩٦٦، ترجمة: عفيف الرزاز، مؤسسة الابحاث العربية، ط١، (بيروت، ١٩٨٩).

١٧. بورتنيانكوف، إ. س، البلدان النامية - مشكلات العلاقات الاقتصادية الخارجية، ترجمة: ماجد علاء الدين، (دمشق، د. ت).
١٨. بيليبيف، ايغور، الشرق الاوسط والعرب، من هو العدو ومن هو الصديق، دار الفارابي، (بيروت، ١٩٨٤).
١٩. بيليبيف، ايغور، بريماكوف، يفغيني، مصر في عهد عبد الناصر، ط١، ترجمة: عبد الرحمن الخميسي، دار الطليعة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٧٥).
٢٠. بينن، جويل، العلم الاحمر، السياسات الماركسية والنزاع العربي - الإسرائيلي، ترجمة: كمال السيد، دار الثقافة الجديدة، (القاهرة، ١٩٩٦).
٢١. تريتيانكوف، ب.، كيف يساعد الاتحاد السوفيتي البلدان المتخلفة اقتصادياً، منشورات مكتب الانباء السوفيتي (دمشق، ١٩٦٠).
٢٢. تولستيكوف، ف، التعاون الاقتصادي للاتحاد السوفيتي مع بلدان الشرق، منشورات سفارة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية في القاهرة، (القاهرة، ١٩٦٠).
٢٣. تيودوروفيتش، تاديوش، الاتحاد السوفيتي وجمهورية مصر العربية، التعاون الاقتصادي المثمر، دار نشر وكالة نوفوستي للانباء، (موسكو، ١٩٧٣).
٢٤. جارياتشكين، جيزيادي، بحثاً عن الذهب، من تاريخ العلاقات الثقافية بين روسيا ومصر في القرن التاسع عشر، منشورات المركز الثقافي الروسي في مصر (القاهرة، ٢٠٠٣).
٢٥. جمعة، سلوى شعراوي، الدبلوماسية المصرية في عقد السبعينات، دراسة في موضوع الزعامة، ترجمة: عطا عبد الوهاب، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٩٨٨).
٢٦. جوكوف وآخرون، العالم الثالث قضايا وافاق، ترجمة: دار التقدم، (موسكو، ١٩٧١).

٢٧. الحصول على التعلم في الاتحاد السوفيتي، دار نشر وكالة نوفوستي، (موسكو، ١٩٧٤).
٢٨. الخمينوف، ف.، التعاون المتبادل النفع بين الاتحاد السوفيتي والبلدان المتخلفة اقتصادياً، منشورات دار الفارابي، (بيروت، ١٩٥٧).
٢٩. دانكوس، هيلين كارير، السياسة السوفيتية في الشرق الاوسط (١٩٥٥-١٩٧٥)، ترجمة: عبد الله اسكندر، ط١، دار الكلمة، (بيروت، ١٩٨١).
٣٠. داوننج، دايفد، هيرمان، جاري، حرب بلا نهاية وسلام بلا امل - ثلاثون سنة من الصراع العربي الإسرائيلي، الهيئة العامة للاستعلامات سلسلة كتب مترجمة، تسلسل (٧٤١)، (القاهرة، ١٩٨٠).
٣١. دايفد، كيمحي، الخيار الاخير، ط١، مكتبة بيسان، (بيروت، ١٩٩٢).
٣٢. دريبر، التحولات الثقافية في البلدان النامية، ترجمة: دار التقدم، (موسكو، ١٩٧٦).
٣٣. دزידك، جان، الشوفسكي، الاسرار والخفايا السياسية لحرب الايام الستة، ط١، ترجمة: منصور ابو الحسن، منشورات دار علاء الدين، (دمشق، ٢٠٠٢).
٣٤. دلو، لويس، العلاقات الثقافية الدولية، ط١، ترجمة: بهيج شعبان، منشورات دار عويدات، (بيروت، ١٩٧٤).
٣٥. دمشكو، بافل، الشرق العربي في ساعة الاختبار، ترجمة: جعفر دك الباب، منشورات وزارة السياحة والارشاد القومي، (دمشق، ١٩٦٩).
٣٦. روبنشتاين، موري، غولدمان، ريتشارد، قصة القوى الجوية الإسرائيلية، ترجمة: محمد عبد الرحمن عطوه، دار الاندلس، (بيروت، ١٩٨١).
٣٧. روندو، بيير، مستقبل الشرق الاوسط، ترجمة: نجدة هاجر، وسعيد الغز، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، (بيروت، ١٩٥٩).
٣٨. روندو، فليب، الشرق الاوسط في سعيه إلى السلام، ترجمة: كمال الخولي، دار المنشورات العربية، (بيروت، ١٩٨٣).

٣٩. ريمالوف، ف، التعاون الاقتصادي بين الاتحاد السوفيتي والبلدان ضعيفة التطور، ترجمة: طه الصواف، دار الطبع والنشر باللغات الأجنبية، (موسكو، د. ت).
٤٠. سالز بوري، هاريسون، النزاع الصيني - السوفيتي، ترجمة: محمد سمح السيد، منشورات هيئة تدريب القوات المسلحة السورية، (دمشق، ١٩٧٧).
٤١. سوخاريف، جيورجي، الهرم العظيم للقرن العشرين، دار وكالة نوفوستي (موسكو، ١٩٧٤).
٤٢. سوكولوف، جورج، روسيا بين ١٨١٥-١٩٩١، ج٢، القسم الاول، ترجمة: انطوان حمصي، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق، ١٩٩٩).
٤٣. الشرق الاوسط، كامب ديفيد، بعد ١٠ سنوات، (تحرير) وليام ب. كوانت، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٨٩).
٤٤. شفيدوف، رميانديسف، العلاقات السوفيتية - الليبية، دار التقدم، (موسكو، ١٩٨٦).
٤٥. الصراع السوفياتي الأمريكي في الشرق الاوسط، مخطط السياسة الأمريكية في المنطقة خلال السبعينيات (إعداد)، ج. س. هورويتز، ط١، دار النفائس للنشر، (بيروت، ١٩٧١).
٤٦. العسل والخل - الحوافز والعقوبات، والسياسة الخارجية، (تحرير) ريتشارد هاس، وميجان اوسولفيان، ترجمة: اسماعيل عبد الحكم، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٢).
٤٧. غيبب، شارل زور، سياسة الكبار في البحر الابيض المتوسط، ترجمة: خضر خضر، توزيع جروس بيرس، (بيروت، ١٩٨٦).
٤٨. غرو شيف، ايفان، المسألة القومية في الاتحاد السوفيتي، تجارب وحلول، ترجمة: فارس غصوب، دار الفارابي، (بيروت، ١٩٧٣).
٤٩. فاخرو شيف، السياسة الاستعمارية بعد الحرب العالمية الثانية، ترجمة: دار التقدم (موسكو، د. ت).

٥٠. فاسلييف، الكسي، روسيا بين الشرقين الأدنى والأوسط – من الرسولية إلى البراغماتية، ترجمة: المركز العربي للصحافة والنشر، (موسكو)، منشورات مكتبة مدبولي، (القاهرة، د. ت).
٥١. ———، مصر والمصريون، ط١، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، (بيروت، ١٩٩٤).
٥٢. فرسكو باليدي، دينو، السادات يتحدى – مصر الجديدة في قلب العالم العربي، سلسلة كتب مترجمة، تسلسل (٧٢٠)، (القاهرة، د. ت).
٥٣. فريدمان، روبرت أوين، السياسة السوفيتية تجاه الشرق الأوسط منذ عام ١٩٧٠، الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة، تسلسل (٧٢٣)، (القاهرة، د. ت).
٥٤. فيتونوي، البلدان المتخلفة وسياسة الغرب الاقتصادية، دار التقدم، (موسكو، د. ت).
٥٥. فينلكتستون، جوزيف، السادات وهم التحدي، ترجمة: عادل عبد الصبور، ط١، دار العالمية للكتب والنشر، (د. م، ١٩٩٩).
٥٦. فينوغراديوف، التأميم الاشتراكي للصناعة والبنوك، ترجمة: مجيد بكداش، دار التقدم، (موسكو، د. ت).
٥٧. قرم، جورج، انفجار المشرق العربي – من تأميم قناة السويس إلى غزو العراق، ١٩٥٦-٢٠٠٦، ط١، ترجمة: محمد علي مقلد، دار الفارابي، (بيروت، ٢٠٠٦).
٥٨. كارنجيا، ر. ل، كيف نجح عبد الناصر، ط٢، ترجمة: خيرى حماد، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٥).
٥٩. كوانت، وليام. ب، عشر سنوات من القرارات السياسية الأمريكية تجاه النزاع العربي الاسرائيلي ١٩٦٧-١٩٧٦، سلسلة كتب مترجمة، تسلسل (٧٣١)، الهيئة العامة للاستعلامات، (القاهرة، د. ت).

٦٠. _____، عملية السلام - الدبلوماسية الأمريكية والنزاع العربي الإسرائيلي منذ ١٩٦٧، ط١، ترجمة: هشام الدجاني، مكتبة العبيكان، (الرياض، ٢٠٠٢).
٦١. كوديلين وكريتشنكو، بحوث في الادب العربي ترجمة: خيرى الضامن، دار التقدم، (موسكو، ١٩٧٨).
٦٢. كوليف، أ.، رمز الصداقة السوفيتية العربية، دار نشر وكالة نوفوستي (موسكو، ١٩٧٤).
٦٣. كير، مالكوم، عبد الناصر والحرب العربية الباردة ١٩٥٨-١٩٧٠، ترجمة: عبد الرؤوف احمد عمرو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٧).
٦٤. لاکور، ولتر، الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط، ط١، المكتب التجاري للتوزيع والنشر، (بيروت، ١٩٥٩).
٦٥. لورنس، هنري، اللعبة الكبرى - الشرق المعاصر والصراعات الدولية، ترجمة: محمد مخلوف، ط١، دار قرطبة للنشر والتوثيق، (د. م، ١٩٩٢).
٦٦. لوسيف، سرغي، تيسوفسكي، يوري، الشرق الادنى - البترول والسياسة، دار التقدم، (موسكو، ١٩٨٤).
٦٧. ماركوف، مشكلة التغذية وسياسة الامبريالية، ترجمة: دار التقدم، (موسكو، ١٩٧٥).
٦٨. مانسفلد، بيتر، تاريخ مصر الحديث والشرق الأوسط، ترجمة: عبد الحميد فهمي الجمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٦).
٦٩. مجموعة مؤلفين، التركيب الطبقي للبلدان النامية، ترجمة: داوود حيدو، مصطفى الدباس، ط٢، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق، ١٩٧٤).
٧٠. مجموعة مؤلفين، حرب تشرين / اكتوبر - وجهات نظر وتحليل، ترجمة: خليل ابراهيم حسين الزوبعي، محمد نجم الدين النقشبندى، ط١، بيت الحكمة، (بغداد، ٢٠٠٢).
٧١. مجموعة مؤلفين، شمال افريقيا، التطور المعاصر، اكااديمية العلوم السوفيتية، (موسكو، ١٩٨٧).

٧٢. مجموعة مؤلفين، الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط، (تحرير)، ميشيل كونفينو وشمعون شامير، (د. م، ١٩٧٧).
٧٣. المسح الاستراتيجي ١٩٧٣، حرب تشرين وقضايا استراتيجيه عالمية، (اعداد)، المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية، ترجمة: بيار عقل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٧٧).
٧٤. مشكلات التصنيع في البلدان النامية، ترجمة: دار التقدم، (موسكو، ١٩٧٤).
٧٥. موليكونوف، ف، الاتحاد السوفيتي ومصر، دار العالم العربي، (القاهرة، ١٩٥٦).
٧٦. ميزان التسليح العربي - الاسرائيلي منذ حرب اكتوبر ١٩٧٣، تقرير المعهد الأمريكي للابحاث السياسية، ترجمة: نيقولا صقلي، دار القدس، (د. م، ١٩٧٤).
٧٧. ميشان، بنو، ذكريات سياسية ١٩٥٧-١٩٥٨، ط١، الدار العربية للموسوعات، (بيروت، ٢٠٠٢).
٧٨. ميلر، ارون ديفيد، ارض طالت وعود عودتها، البحث الأمريكي عن السلام بين العرب واسرائيل، الدار العربية للعلوم، (ناشرون)، (بيروت، ٢٠٠٩).
٧٩. ناتنج، انتوني، ناصر، ط٢، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩٣).
٨٠. نانو، جان، موت مشير، دار الاعلام العربي، ط١، (بيروت، ١٩٦٨).
٨١. نيستيروف، م. ف، توسيع العلاقات الاقتصادية والتجارية يدعم السلام، منشورات مكتب الصحافة في سفارة اتحاد الجمهوريات السوفيتية والاشتراكية في القاهرة، (القاهرة، ١٩٦٠).
٨٢. هاليدي، الفرد، السياسة السوفيتية في قوس الازمة، ط١، مؤسسة الابحاث العربية، (بيروت، ١٩٨٢).
٨٣. هانتز، هـ. أ، التورط السوفياتي في الشرق الأوسط، ترجمة: مروان خير، دار الفكر الحديث، (بيروت، ١٩٧١).

٨٤. هولبارد، كارستين، الدول العظمى والصراع الدولي، الهيئة العامة للاستعلامات، سلسلة كتب مترجمة، تسلسل (٧٤٤)، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٨١).

٨٥. هيكل، محمد حسنين، الطريق إلى رمضان، ترجمة: يوسف الصباغ، دار النهار للنشر، (بيروت، ١٩٧٥).

٨٦. بيجورين، اناتولي زاخاروفيتش، مصر في عصرنا الحديث، ترجمة: علي فهمي عبد السلام، المجلس الاعلى للثقافة، (القاهرة، ٢٠٠٦).

سادساً - الكتب الانكليزية

1. Alexander, Anne, Nasser – His Life and Times, by The American university in Cairo press, (Egypt, 2005).
2. Asher, Dani, The Egyptian strategy for The yom Kippur war, by Mcfarlad and company INC, (London, 2009).
3. Baker, Raymond William, Egypt's uncertain Revolution under Nasser and Sadat, Harvard university press, (London, 1978).
4. Beattie, Kirk J. , Egypt During The Sadat Years, printed in (U. S. A, 2000).
5. Breslau, George W., Soviet strategy in the Middle East, by Unwin Hyman LTD, (London, 1990).
6. David J. Dallin, Soviet foreign policy After stalian, by Methuen and co LTD, (London, 1960).
7. Dawisha, Karen, Soviet Foreign policy Towards Egypt, (London, 1979).
8. Dessouki, Ali E. Hillal , The primacy of Economics: The Foreign policies of Arab state, by West view press Lnc., (U. S. A, 1984).
9. Dicoson, peter W. Kissinger and The meaning of History by Cambridge university press, (new york, 1978).
10. Egypt and Nasser, Volume. 3, (1967-1972) printed in The United State of America 1973.
11. Egypt since the Revolution, Edited by P. J. Vatikiotis, (London, 1967).
12. El Hussini, Mohrez Mahamoud, Soviet – Egyptian Relations, (1945-1985), (New York, 1987).

13. Fawzi ,Mahmoud, suez 1956, Great Britain by Richard Clay, LTD, 1986
14. Farid, lbdel Magid, Nasser The Final Years press, (London, 1996).
15. Fliyd, David, Mao against Khrushev, A short History of The - Soviet confct, by Western printing services , Ltd, (London, 1964).
16. Freed man, Robert. O, Moscow and The Middle East, (New York, 1991).
17. Fukuyama, Francis, Soviet threats to Middle East 1956-1973, by Grant from The Ford foundation, 1980.
18. Glassman, Jon. D, Arms for the Arabs, the Soviet Union and war in the Middle East, The Johns Hopkins university press (Baltimore and London, 1977).
19. Golan, Galia, Soviet policies in the Middle East, from war Two To Grbachev, Cambridge university press, (Now York, 1990).
20. Heikal, Mohamad H., Sphinx and Commissar, The Rise and fall of Soviet influence in The Middle East, Ollins, (London, 1978).
21. Hinnebusch, Raymod. A, Egyptian politics under Sadat, The post – populist development of an authoritarian – Modernizing state, by The university press cabridge, (London, 1985).
22. Hirst, David, and Beeson Irene, Sadat, by Faber and Faber ltd, (London, 1981).
23. Israel and The Arabs, The October 1973 war, Edited by Lester A. Sobel, (New York, 1974).
24. Israelian, Viktor Levonovich, inside The Kremlin during The yom Kippur war, by The Pennsylvania state university press, 1995.

25. Klieman, Aron S, Soviet Russia and The Middle East, by The Johns Hopkins press, (U. S. A, 1970).
26. Kreatz , Andrej, Russia in the Middle East, friend of foe? Printed in the United State of American, 2007.
27. Laqueur, Walter, The Straggle for The Middle East 1958-1970, penguin Books LTD, (London, 1970).
28. Lenczowski, George, Soviet advances in The Middle East , (Washington, 1971).
29. Mcdermott Anthony, Egypt from Nasser To Mubarak Aflawed Revolution, by Mackays of chatham LTD, (London, 1988).
30. Narayan, Col. B. K, Anwar El Sadat: Man with A Mission, by Vikas publishing House PVT LTD, (New Delhi, 1977).
31. Ovsyany, I. D, Astudy of Soviet forign policy, printed in U. S. S. R, 1975.
32. Pennar, Jaan, The U. S. S. R and The Arabs The ideological Dimension, by Billing and Sons Limited, (London, 1973).
33. Safran, Nadav, Saudi Arabia, The ceaseless Quest for security, press of Harvard university, (London, 1985).
34. Sayed Ahmed, Mohammad Abd el- wahab, Nasser and American Foreign policy 1952-1956, by LAAM, (London, 1989).
35. Stephens, Robert, Nasser Apolitical Biography, printed in Great Britain, by Hazell Watson and Viney LTD, (London, 1971).
36. The Arms Bazaar, From Lebanon To Lockheed by Anthony Sampson, (New York, 1977).

37. The Cold war in the Middle East Regional conflict and The Super powers 1967-1973 Edited, by Nigel J. Ashton, by Routledge , (New York, 2007).
38. The impact of The six-Day war, A twenty – Year Assessment Edited by: Stephen J. Roth, The Macmillan press LTD, (London, 1987).
39. The policy of The Soviet Union in the Arab world: A short collection of publisher, (Moscow, 1975).
40. The Soviet Union in the Middle East policies and prrspectives, Edited by Adeed Dawisha and Kareen Dawisha, Royal instate of international Affairs, (London, 1982).
41. Vaagan, Robert W, The U S S R and Egypt: Soviet Egyptian Relation 1967-1976, by universities, loslo, (varen, 1982).
42. Waterbury, John, Egypt, (Burdens of The past), by field Staff, united of American universities, 1978.
43. Webling, Fred, Irresolute princes, Kremlin Decision making in the Middle East, Crises 1967-1973, Macmillan press LTD (London, 1997).
44. Wheelock, Keith, Nasser's New Egypt, by Stevens and Sons LTD, (London, 1960).
45. YodFat, Areh, Arab Polities in The Soviet Mirror, Israel Unvirsity press – Jerusem, (New York, 1973).
46. Zaalouk, Malak, power Class and foreign capital in Egypt , The rise of New Bourgeoisie , (London, 1989).

سابعاً - المذكرات الشخصية
أ- العربية

١. أبو النور، عبد المحسن، الحقيقة عن ثورة يوليو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠٢).
٢. اسماعيل، محمد حافظ، امن مصر القومي في عصر التحديات، مركز الاهرام، للترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٨٧).
٣. إمام، عبد الله، علي صبري يتذكر، مطابع روز اليوسف، (القاهرة، ١٩٨٧).
٤. بغدادي، عبد اللطيف، مذكرات عبد اللطيف بغدادي، ج ١، ج ٢، المكتب المصري الحديث، (القاهرة، ١٩٧٧).
٥. البيضاني، عبد الرحمن، أزمة الامة العربية وثورة اليمن، المكتب المصري الحديث، (القاهرة، ١٩٨٤).
٦. الجسمي، محمد عبد الغني، حرب اكتوبر ١٩٧٣، ط ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٨).
٧. الجوادى، محمد مذكرات قادة العسكرية المصرية ١٩٦٧-١٩٧٢ في أعقاب النكسة، ط ١، دار الخيال، (القاهرة، ٢٠٠١).
٨. حبيب، الصاوي، مذكرات طبيب عبد الناصر، الهيئة العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠٧).
٩. حسونه، عاصم، شهادتي - ٢٣ يوليو وعبد الناصر، مركز الأهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٩٠).
١٠. خروشوف، نيكيتا، الوصية الاخيرة، ترجمة: زهدي جار الله، الاهلية للنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٧٥).
١١. داود، ضياء الدين، ما بعد عبد الناصر أيام والسادات، دار الموقف العربي، (القاهرة، ١٩٨٦).
١٢. رابين، اسحق، مذكرات اسحق رابين، القسم الثاني، ط ١، ترجمة: دار الجليل، (عمان، ١٩٩٣).

١٣. رياض، محمود ، مذكرات محمود رياض (١٩٤٨-١٩٧٨)، البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط، ج١، ط٢، دار المستقبل العربي، (القاهرة، ١٩٨٥).

١٤. _____ ، مذكرات محمود رياض، ج٣، أمريكا والعرب، ط١، دار المستقبل العربي، (القاهرة، ١٩٨٦).

١٥. زعيرا، إيلي، حرب يوم الغفران، الواقع يحطم الاسطورة، ط١، ترجمة: توحيد مجدي، المكتبة الثقافية، (بيروت، ١٩٩٦).

١٦. الشاذلي، سعد الدين، حرب أكتوبر، منشورات، مؤسسة الوطن العربي للطباعة والنشر، (باريس، ١٩٨٠).

١٧. شازوف، يفغيني، الصحة والسلطة، مذكرات كبير أطباء الكرملين، ترجمة: إيمان يحيى، دار العرب للدراسات والنشر، (القاهرة، ١٩٩٤).

١٨. شرف، سامي، سنوات وأيام مع عبد الناصر، ط١، ج٢، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ٢٠٠٦).

١٩. عثمان، عثمان أحمد، صفحات من تجربتي، المكتب المصري الحديث، (القاهرة، ١٩٨١).

٢٠. غالب، مراد، مع عبد الناصر والسادات، سنوات الانتصار وأيام المحن، ط١، مركز الازهرام للترجمة، (القاهرة، ٢٠٠١).

٢١. غربال، اشرف، صعود وانهيار علاقات مصر وأمريكا – الاتصالات السرية مع عبد الناصر والسادات، ط١، مركز الازهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٤).

٢٢. فايز، منصور، رحلتي مع عبد الناصر، ط٢، دار الملتقى للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٩١).

٢٣. فوزي، محمد، إستراتيجية المصالحة، دار المستقبل العربي، (بيروت، ١٩٨٦).

٢٤. فوزي، محمد، حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، دراسة ودروس، ط٢، دار المستقبل العربي (بيروت، ١٩٨٩).

٢٥. _____ ، حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧-١٩٧٠، ج ١، ط ٢، دار الوحدة، (بيروت، ١٩٨٣).
٢٦. فينو غرادوف، فلاديمير، مصر في زمن الابهام، مذكرات سفير الاتحاد السوفيتي في مصر ترجمة: زكريا ألبيب خوري، دار الحصاد للنشر والتوزيع _____، (دمشق، ٢٠٠٠).
٢٧. كومزين، ايفان، بناء السد العالي (ذكريات مهندس سوفيتي)، دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية، (موسكو، د. ت).
٢٨. محجوب، محمد احمد، الديمقراطية في الميزان، ط ٢، دار النهار للنشر، (بيروت، ١٩٨٢).
٢٩. ناصف، عبد الهادي، شاهد عصر، مصر من الثورة إلى الثورة، المضادة، دار الوحدة للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٨٦).
٣٠. نصر، صلاح، مذكرات صلاح نصر، ج ١، الصعود، دار الخيال، (القاهرة، ١٩٩٩).
٣١. نوفيكوف، نيكولاي، يوميات دبلوماسي في بلاد العرب، ترجمة: جلال الماشطة، دار التقدم، (موسكو، ١٩٨٧).
٣٢. هويدي، امين، ٥٠ عاماً من العواصف ما رأيته قلته، ط ٢، مركز الازهرام للترجمة والنشر، (القاهرة، ٢٠٠٤).

ب- الأجنبية

1. El Sadat, Anwar, In search of Indentity, An Autobiography, by Harper and Row, (New York, 1978)
2. Fahmy, Ismail, Negotiating for peace in The Middle East, by Billing and Sons LTD, (London, 1983).
3. Kissinger, Henri, The White House years, Little Brown and CO, (Boston, 1979).

ثامناً - المقابلات الشخصية

١. مقابلة شخصية للباحث مع السيد صبري محمد الصافي (مدير فرع القاهرة لشركة دمياط للغزل والنسيج)، في يوم الثلاثاء الموافق ٢٠١٠/١٢/٧.
٢. مقابلة شخصية للباحث مع السيد عادل رضا (مدير عام البرامج في السيرك القومي المصري) (القاهرة)، يوم الاثنين الموافق ٢٠١٠/١٢/١٣.
٣. مقابلة شخصية للباحث مع د. نور هان الشيخ (مديرة مركز الدراسات الأمريكية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية)، جامعة القاهرة، في يوم الثلاثاء الموافق ٢٠١٠/١٢/١٤.
٤. مقابلة شخصية للباحث مع الدكتور شريف حسن بهادر، (عميد معهد الباليه في منطقة الهرم) (الجيزة)، يوم الثلاثاء الموافق ٢٠١٠/١٢/٢٨.
٥. مقابلة شخصية للباحث مع الاستاذ الدكتور عصمت يحيى، (رئيس أكاديمية الفنون الشعبية المصرية السابق)، (الجيزة)، يوم الاحد الموافق ٢٠١١/١/٩.
٦. مقابلة شخصية للباحث مع الدكتور شريف جاد، (مستشار التمثيل الثقافي في قسم العلاقات العامة في المركز الثقافي الروسي في القاهرة)، يوم الثلاثاء الموافق ٢٠١١/١/١١.
٧. مقابلة شخصية للباحث مع السيد حسن ابراهيم، (مدير عام الفرقة القومية للفنون الشعبية المصرية)، يوم الأربعاء الموافق ٢٠١١/١/١٢.

تاسعاً - البحوث والمقالات

أ- العربية

١. "١٥ عاماً في تاريخ العلاقات العربية - السوفيتية"، مجلة الطليعة، (القاهرة)، العدد (١١)، السنة الثالثة، تشرين الثاني، ١٩٦٧.
٢. "اتحاد الجمهوريات السوفيتية - المسألة القومية وقضية الاممية"، مجلة الطليعة، (القاهرة)، العدد (١٢)، السنة الثامنة، كانون الأول، ١٩٧٢.
٣. "الخلاف المصري - السوفيتي" ملف وثائقي، مجلة السياسة الدولية، العدد (٤٥)، السنة الثانية عشر، تموز، ١٩٧٦.
٤. "السياسة السوفيتية في المنطقة العربية والشرق الاوسط من نيقولا الأول حتى غربا تشوف"، مجلة افاق عربية (بغداد)، العدد (٩)، السنة السادسة عشر، ١٩٩١.
٥. "القصة كاملة: انور السادات ومحمد حسنين هيكل"، مجلة الجيل، (بيروت)، العدد (الثاني)، تشرين الثاني، ١٩٨٠.
٦. "انتصار مصري وانكسار اسرائيلي" مجلة صباح الخير، (القاهرة)، العدد (٢٦٤٩)، تشرين الأول، ٢٠٠٦.
٧. "رحلة العلاقات المصرية السوفيتية من حرب الاستنزاف إلى ما بعد مرسى مطروح"، مجلة كل شي، (القاهرة)، العدد ٩٣١، آب ١٩٧٢.
٨. أبو بكر، توفيق، "العلاقات الإسرائيلية - الأمريكية بين حربي ١٩٦٧-١٩٧٣" مجلة قضايا عربية، (بيروت)، المجلد (٧)، العدد (٧)، تموز، ١٩٨٠.
٩. احمد، كمال مظهر، "حقائق اخرى عن مؤتمر شعوب الشرق"، مجلة افاق عربية، (بغداد)، العدد (١٢)، آب ١٩٧٦.
١٠. الاسود، صادق، "الاتحاد السوفيتي والوحدة العربية" مجلة المنار (باريس)، العدد (١٩)، نيسان، ١٩٨٦.
١١. جاسم، عبد المناف شكر، "موقف الاتحاد السوفيتي من نكسة ٥ حزيران ١٩٦٧"، مجلة اداب المستنصرية، (بغداد)، العدد (١٤)، ١٩٨٦.

١٢. الجبالي، ليلي، "ثورة يوليو وتحديات السيطرة الأجنبية"، مجلة الكاتب، (القاهرة)، السنة الرابعة عشرة، العدد (١٦٠)، ١٩٧٤.
١٣. جمال، اسماعيل، "من باع من في مايو ١٩٧١"، مجلة الدستور، (لندن)، السنة الثالثة عشر، العدد (٢٦٨)، ١٩٨٣.
١٤. خليل، فادي، "السياسة السوفيتية في المشرق العربي ١٩٤٨-١٩٩١"، مجلة دراسات تاريخية، (دمشق)، العددان (١٠١، ١٠٢)، تشرين الثاني، ٢٠٠٨.
١٥. الساعف، عبد الله، "مستقبل العلاقات السوفيتية - العربية"، مجلة الوحدة، (الرباط)، العدد (٦٩)، السنة السادسة، حزيران، ١٩٩٠.
١٦. سايمز، ديمتري، "النهج السوفيتي تجاه الصراع العربي - الإسرائيلي"، مجلة السياسة الدولية، العدد (٧٤)، أكتوبر، ١٩٨٣.
١٧. السعدي، كمال، "الصراع الالكتروني في حرب ١٩٧٣"، مجلة قضايا عربية، (بيروت)، العدد، ٧-٨، السنة الثانية، تشرين الأول ١٩٧٥.
١٨. سعيد، امينة، "اسرار جديدة يذيعها الرئيس لأول مرة"، مجلة الهلال، (القاهرة)، العدد (٣) المجلد (٣)، تشرين الأول، ١٩٧٦.
١٩. سويلم، حسام، "ثغرة الدفرسوار - الاسباب والنتائج"، مجلة السياسة الدولية، العدد (١٣٤)، السنة الرابعة والثلاثون، ١٩٩٨.
٢٠. السيد، مصطفى كامل، "ملاحظات حول طبيعة السلطة في الدولة الناصرية"، مجلة دراسات عربية، (بيروت)، العدد (١٠)، السنة السابعة عشر، آب ١٩٨١.
٢١. شقره، جمال معوض، "مصر والصراع مع الغرب ١٩٥٢-١٩٥٤"، مجلة مصر والعالم المعاصر (القاهرة)، العدد (١)، السنة الرابعة عشرة، تموز ٢٠٠٩.
٢٢. الشهاري، محمد علي، "العرب والاتحاد السوفيتي"، مجلة الكاتب المصرية، السنة ١٢، العدد (١٥٢)، تشرين الثاني، ١٩٧٣.
٢٣. عزمي، محمود، "أضواء على خبرات حرب الاستنزاف"، مجلة دراسات عربية، (بيروت)، العدد (٨)، حزيران، ١٩٧٣.

٢٤. علي، فطين احمد فريد، "الضربة الجوية الإسرائيلية في الخامس من يونيو ١٩٦٧"، المجلة التاريخية المصرية (القاهرة)، المجلد (٤٤)، العدد (٢)، تشرين الثاني، ٢٠٠٦.

٢٥. كرم، سمير، "الثابت والمتغير في مبادئ السياسة السوفيتية"، مجلة شؤون فلسطينية، (بيروت)، العدد (٧٢)، تشرين الثاني، ١٩٧٧.

٢٦. مالشيف، ن. أ.، "السد العالي في اسوان"، مجلة الشرق، (القاهرة)، السنة الثالثة، العدد (٣١)، تشرين الأول، ١٩٥٩.

٢٧. محمد عبد العاطي، "تطور الفكرة العربية في مصر"، مجلة الفكر العربي، (بيروت)، المجلد (١)، السنة الاولى، العددان (٤، ٥)، تشرين الأول، تشرين الثاني، ١٩٧٨.

٢٨. مروة، كريم، "الجذور التاريخية العميقة للعلاقات العربية السوفيتية"، مجلة شؤون فلسطينية، (بيروت)، العدد (٤٣)، آذار، ١٩٧٥.

٢٩. هويدي، امين، "٣٠ عاماً على حرب العاشر من رمضان"، مجلة العربي، (الكويت)، العدد (٥٤٠)، تشرين الثاني، ٢٠٠٣.

٣٠. يونس، طالب، "سياسة أمريكا الخارجية والمواجهة العربية - الإسرائيلية في عهد جونسون"، مجلة شؤون فلسطينية، (بيروت)، العدد (٢٦)، تشرين الأول، ١٩٧٣.

ب- الاجنبية

1. Adams, Philip, " Sadat's Egypt" , British society for Middle Eastern studies, Vol.3, No. 2, 1976.
2. Adomeit, Hannes, " Soviet policy in The Middle East- problems of Analysis" , Soviet studies, Vol, 27, No.2, (Apr-1975).
3. Campbell, John. C. , " The Soviet Union and The Middle East" Russian Review, Vol. 29, No , 3(Jul, 1970)

4. Daigle, Craig A. , " The Russians Are going Sadat, Nixon and The Soviet presence in Egypt 1970- 1971" , Middle East Review of International Affairs, Vol. 8, No. 1,(March, 2004).
5. Dawisha, Karen, " Soviet Decision making in The Middle East: The 1973 October war and The 1980 Gulf war". International Affairs, Vol. 57, No. 1, (Winter, 1981)
6. Forsy, David, P. " The Soviet Union and The Middle East" Russian Review, Vol. 134, No. 2, 1971
7. Goldman, Marshall. I, "The Soviet Union", Deadalus, (MIT), press on behalf of American Academy of Arts Sciences, Vol. 104, No. 4, 1975.
8. Ibrahim, Saad E. M. , " Arab Images of The Soviet Union befor and after The June war of 1967" The Journal of conflict Resolution, Vol -61 No. 2, (Jun, 1972)
9. Israelyan, victor, " The October 1973 war: Kissinger in Moscow" , Middle East Journal , Vol. 49, No. 2 , (Spring , 1995)
10. Karawan, Ibrahim A. "Sadat and the Egyptian – Israeli peace Revisited", international Journal of Middle East studies, Vol., 26, No. 2, (May, 1994).
11. Kass, Llana Dimant " The Soviet military and Soviet policy in The Middle East (1970-73), Soviet studies, Vol. 26, No. 4, (October, 1974).
12. Quandt, William B. " The Middle East conflict in us Strategy 1970-1971" , Journal of Palestine Studies, Vol, 1 No. 1, (Autumn, 1971)
13. —————"Soviet policy in the October Middle East war – I" international Affairs, Vol. 53, No. 3, (Jul, 1977).
14. Scherer, john L. , " Soviet and American Behavior During The yom kippur war" world Affairs, Vol. 141, No. (Summer, 1978)

15. Schoenberger, Erica, and Reich Stephanie, "Soviet policy in The Middle East", Merip Reorts, No. 39, (Jul, 1975).
16. Sheehan, Edward R. "How Kissinger Did it: step by step in The Middle East" , Foreign policy, No. 22, (Spring, 1976)
17. Slater, Jerome, " The super powers and an Arab- Israeli political settlement: The cold war years" , political sponce Quarterly, Vol. 105, No. 4, (1991).
18. Smolansky, O. M. , "The united state and the Soviet Union in the Middle East" proceedings of the Academy of political science, Vol. 33, No. 1, 1978.
19. Spechler, Dina Rome" The U. S. S. R and Theird world conflicts: Domestic Debate and Soviet policy in The Middle East 1967-1973" World politics, Vol. 38, No. 3, (Apr, 1686).
20. Stein, Janice Gross, " proxy wars: The Middle East, international Journal, Vol, 35, No. 3, (1980).
21. Stwart, Philip. D, Herman, Margret G. "Modeling The 1973, Soviet Decision To support Egypt" , The American political science Review, Vol. 83, No. 1, (Mar, 1989)

عاشراً - الدوريات

أ- الصحف

١. صحيفة الاهرام (القاهرة)، العدد، ٢٥١٥٢، ١١/١٠/١٩٥٥.
- _____، العدد، ٢٥٥٤٥، ١٢/١١/١٩٥٦.
- _____، العدد، ٢٥٥٤٩، ١٦/١١/١٩٥٦.
- _____، العدد، ٢٩٢٤٣، ١٣/١/١٩٦٧.
- _____، العدد، ٢٩٣٣١، ١/٤/١٩٦٧.
- _____، العدد، ٢٩٧٩٤، ٧/٧/١٩٦٨.
- _____، العدد، ٣٠٤٧٥، ١٩/٥/١٩٧٠.

- _____ ، العدد، ٣٠٨٨٨ ، ١٩٧١/٧/٦ .
- _____ ، العدد، ٢١٠٨٨ ، ١٩٧٢/١/٢٢ .
- _____ ، العدد ، ٣١١٠٦ ، ١٩٧٢/٢/٩ .
- _____ ، العدد، ٣١١٠٧ ، ١٩٧٢/٢/١٠ .
- _____ ، العدد، ٣١١٣٣ ، ١٩٧٢/٣/٧ .
- _____ ، العدد، ٣١١٥٨ ، ١٩٧٢/٤/١ .
- _____ ، العدد، ٣١١٨٧ ، ١٩٧٢/٤/٣٠ .
- _____ ، العدد، ٣١١٩٩ ، ١٩٧٢/٥/١٢ .
- _____ ، العدد، ٣١٢٣١ ، ١٩٧٢/٦/١٣ .
- _____ ، العدد، ٨١٢٨٧ ، ١٩٧٢/٨/٨ .
- _____ ، العدد، ٣١٤٢٣ ، ١٩٧٢/١٢/٢٢ .
- _____ ، العدد، ٣١٤٧٤ ، ١٩٧٣/٢/١١ .
- _____ ، العدد، ٣١٤٩٠ ، ١٩٧٣/٢/٢٧ .
- _____ ، العدد، ٣١٥٢٨ ، ١٩٧٣/٤/٦ .
- _____ ، العدد، ٣١٥٧٢ ، ١٩٧٣/٥/٢٠ .
- _____ ، العدد، ٣٣٢٦٠ ، ١٩٧٨./١/٢ .
٢. الاخبار (القاهرة) ، العدد، ٤٦٤٢ ، ١٩٦٧/٥/١٦ .
- _____ ، العدد، ٦٢٨٠ ، ١٩٧٢/٨/٨ .
- _____ ، العدد، ٦٥٣٢ ، ١٩٧٣/٥/٢٩ .
- _____ ، العدد، ٦٥٣٣ ، ١٩٧٣/٥/٣٠ .
- _____ ، العدد، ٦٦٥١ ، ١٩٧٣/١٠/٥ .
- _____ ، العدد، ٦٦٤٤ ، ١٩٧٣./١٠/٧ .
٣. اخبار اليوم (القاهرة)، العدد، ١٢٣٦ ، ١٩٦٨/٧/١٣ .
- _____ ، العدد، ١٤٤٨ ، ١٩٧٢/٨/٥ .
- _____ ، العدد، ١٤٥٠ ، ١٩٧٢./٨/١٩ .
٤. الجمهورية (القاهرة) ، العدد، ٦٤٠٣ ، ١٩٧١/٧/٧ .
- _____ ، العدد، ٧٠٢٤ ، ١٩٧٣/١/٢٠ .
- _____ ، العدد، ٧٠١٨ ، ١٩٧٣./٣/١٤ .
٥. المصري اليوم (القاهرة)، العدد، ١٢٨٤ ، ٢٠٠٧./١٢/١٩ .
٦. المساء (القاهرة)، العدد، ٣٧٢٥ ، ١٩٦٧./٢/٢ .
٧. برفادا (موسكو)، العدد، ١٦٦ ، ١٩٦٩/٦/١٥ .

- _____، العدد، ١٢٢، ١٩٧٢./٥/١
٨. ازفستيا (موسكو)، العدد، ٢١٣، ١٩٤٣/٩/١٩.
- _____، العدد، ١٦١، ١٩٦٨/٧/١٢.
- _____، العدد، ٢٤٥، ١٩٧١./١٠/١٦
٩. الجمهورية (بغداد)، العدد، ١٨٣٢، ١٩٧٣./١٠/٩
١٠. الثورة (بغداد)، العدد، ١٥٨١، ١٩٧٣./١٠/١٠
١١. الحياة (بيروت)، العدد، ٧١٢١، ١٩٦٩/٦/١٤.
- _____، العدد، ٨٢٤٢، ١٩٧٢./٨/٢٠
١٢. النهار (بيروت)، العدد، ١١٣٩٣، ١٩٧٢/٥/١.
- _____، العدد، ١١٤٧٢، ١٩٧٢./٧/٢٠
١٣. نداء الوطن (بيروت)، العدد، ٥٧٤، ١٩٦٦./١٢/١٤
١٤. العمل (تونس)، العدد، ٨٠٧٥، ١٩٧٢./٧/٢٦
١٥. اليوم (الرياض)، العدد، ٧٧٨٣، ١٩٦٩./٢/١١
١٦. الجريدة (الكويت)، العدد، ٦١٢٢، ١٩٧٢/٨/١.

ب- المجلات

١. مجلة الاخبار السوفيتية، وكالة انباء نوفوستي، (بغداد)، العدد (١٠)، ايار، ١٩٦٤.
٢. مجلة الاخبار السوفيتية، وكالة انباء نوفوستي، (بغداد)، العدد (١٩)، تشرين الأول، ١٩٧٠.
٣. مجلة معلومات دولية، (دمشق)، السنة السابعة، العدد (٦٢)، ١٩٩٩.
- حادي عشر- الدوريات المحفوظة في ارشيف دار البعث (دمشق) رمز المحفظة: ١/٢/١١/٦/١

اولا- الصحف

١. صحيفة الصفاء، (بيروت)، ١٩٦٨/٧/١٢.
٢. صحيفة الانوار، (بيروت)، ١٩٦٨/٧/٢٧.
٣. نيوزويك، (واشنطن)، ١٩٦٩/٦/٢٣.
٤. صحيفة الفيغارو، (باريس)، ١٩٧٢/٥/١٦.
٥. صحيفة الفيغارو، (باريس)، ١٩٧٢/٧/٢١.
٦. الهيرالد تريبيون، (واشنطن)، ١٩٧٢/٧/٣١.

ثانيا- المجلات

١. مجلة انباء موسكو، (موسكو)، العدد (٦٢)، تموز ١٩٦٩.

٢. مجلة انباء موسكو، العدد (١١٠)، ايار، ١٩٧١.

٣. مجلة انباء موسكو، العدد (٩٤)، كانون الثاني، ١٩٧١.

ثاني عشر- الندوات

١. "تحدي الشرق الأوسط ١٩٨٠-١٩٨٥، ندوة باشراف معهد بحوث الشرق الأوسط،

جامعة بنسلفانيا، ترجمة: عبد الهادي حسن جيايد، نبيل برادعي، مذكورات وزارة الثقافة والاعلام، (بغداد، ١٩٨١).

٢. ندوة الحوار العربي - السوفيتي، (القاهرة)، ١٤-١٥ يناير ١٩٨٩.

ثالث عشر - الموسوعات والقواميس

أ- العربية

١. بدوي، احمد زكي، معجم المصطلحات السياسية والدولية، دار الكتاب المصري، (القاهرة، ١٩٨٩).
٢. بهيج، بحليس، موسوعة احداث القرن العشرين، قادة واعلام، ج١، ط١، دار نوبليس، (بيروت، ٢٠٠٤).
٣. سعدي، سعد، معجم الشرق الأوسط (العراق - سوريا - لبنان - فلسطين - الاردن)، ط١، دار الجيل، (بيروت، ١٩٩٨)، ص٢٧٤.
٤. الكيالي، عبد الوهاب وآخرون، موسوعة السياسة، (ج١، ٤، ٥)، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، ١٩٩٠).
٥. الكيالي، عبد الوهاب وآخرون، موسوعة السياسة، ج٧، (بيروت، ١٩٩٤).
٦. مبيض، عامر رشيد، موسوعة الثقافة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، مصطلحات ومفاهيم، من منشورات وزارة الاعلام السورية، (دمشق، ١٩٩٩).

ب- الاجنبية

1. Encyclopedia American, INC, Volume 11, Willim chiago, (U. S. A, 1987) .
2. who's who in the Soviet Union Edited by Broys Lewytyzi, (New York, 1984).

رابع عشر - البرامج الفضائية

١. برنامج (بانوراما)، قناة روسيا اليوم الفضائية
٢. برنامج رحلة في الذاكرة، قناة روسيا اليوم الفضائية.
٣. برنامج مع هيك - تجربة حياة - الطريق إلى أكتوبر ١٩٧٣ - حرب الاستنزاف - قناة الجزية الفضائية.
٤. برنامج ملفات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ من عهد الملك فاروق حتى عهد السادات، قناة (دريم ٢) الفضائية.

خامس عشر - مواقع الانترنت

- 1- <http://www.arabic.rt.com.news-all-inf>.
- 2- <http://www.4flying.com.showthread.php?p=7/420g>.
- 3- <http://www.Nasser.org>
- 4- <http://www.Nsarchive.org>